جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
قسم الأنثروبولوجيا

وقائع ندوة

الدِّنـــــكا

ومشكلة جنوب السودان

بسم الله الرحمن الرحيم

ترتيب أوراق " الدنـكا "

تقديم بقلم
الأستاذ الدكتور / السيد فليفل
عميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة

تعد الدولة الأفريقية دولة حديثة نسبياً ، إذ قامت على أساس الحدود السياسية التى أنشأتها الدول الاستعمارية ، وقد أسفرت عن جمع كثير من القبائل والجماعات العرقية داخل حدود دولة واحدة ، وقد تكون تجربتها التاريخية تجربة صراعية ، ومن ثم تصبح الدولة عرضة لمواجهات متعاقبة بين هذه القبائل والجماعات كما هو شائع الآن فى عدد من دول القارة الأفريقية وكذلك قد توجد على جانبى الحدود جماعة جرى تشتيتها فى أكثر من دولة مثل **الآزاندى** فى السودان ، أفريقيا الوسطى والكونغو ، فيكون ذلك مثاراً لمواجهات عنيفة أخرى.

وفيما يتعلق بالسودان الحبيب فإنه جرى تشكيله ثقافياً عبر مخاض تاريخى طويل منذ العصور القديمة ، كما أنه أخذ إطاره الحضارى فى ظل الإسلام عبر انتشار سلمى طويل أيضا للدعوة الإسلامية التى صبغت البلاد بصبغتها ، حتى تبلورت كيانات إسلامية عريقة كان أبرزها سلطنة سنار الإسلامية أو سلطنة الزرقاء ، التى اعتمد كيانها على رابطة عربية مع قبيلة جنوبية هى الشلك فضلاً عن عشرات المشيخات الأخرى، وعن إمارات البجا فى شرقى السودان . وخلال عمل هذه السلطنات والمشيخات لم تبرز ظاهرة الفتح الإسلامى الذى عرفته مصر وبقية شمالى أفريقيا.

ومن الناحية السياسية فإن تشكيل السودان الحديث تم بمعرفة الحكم العثمانى والإدارة المصرية عبر أكثر من ستين عاماً ، إذا شهد مطلع العقد الثالث من القرن التاسع عشر توجه جيش محمد على إلى سنار وبلاد البحر فى عام ١٨٢١ (النيل) وشهد العقد الرابع فتح شرقى السودان (بلاد التاكا) وسواحل البحر الأحمر فى

١٨٣٨ ، بينما شهد العقد السابع فتح جنوبى السودان (مديرية خط الاستواء) ، وشهد العقد الثامن فتح غرب السودان (سلطنة دار فور)، فى عام ١٨٧٤.

بيد أن السودان العثمانى المصرى كان أوسع مدى من السودان البريطانى المصرى، ناهيك عن السودان فى العهد المهدى. ففى ظل الإدارة المصرية كان السودان أكثر امتدادا إلى منطقة البحيرات العظمى وأوغندا تحديداً .

ولقد نجم عن الإدارة المصرية دعم مسار العمل الثقافى الإسلامى فى السودان حيث نشأت المدارس الحديثة فى البلاد ، وازداد الارتباط بالأزهر الشريف، كما ازداد الارتباط بالكنيسة المصرية ، التى صارت ذاتها تصب فى ذات المسار العربى أيضاً. ولكن العمل المصرى لم تتح له المدة الكافية فى جنوب السودان لكى يحقق تحولاً حقيقياً فى الوضع الوثنى السائد فى المديرية الاستوائية، وإن كانت بعض بوادر قد بدت لذلك حيث كان غالب العاملين فى المديرية من سودانى الشمال الذين شعروا بواجب لابد أن يؤدى تجاه الجنوبيين ، ولم يحل هذا بالطبع دون هبات وثورات قبلية هنا وهناك.

ومع المهديين تراخت مظاهر التأثير الشمالى فى جنوب السودان، وازداد الأمر حدة مع الحكم البريطانى ، حيث ظهر ما عرف بالسياسة الجنوبية فى مطلع القرن العشرين ، وتتابعت قرارات وقوانين تجعل التأثير مستحيلاً والاتصال صعباً فحرم الوصول إلى الإقليم على تجار الشمال، ومعلميه ورجال الدين الإسلامى، ثم بلغ الأمر حد الهوس حين حرم الجنوبى من ارتداء الجلباب السودانى، سعياً من الإدارة الاستعمارية إلى الحد من مظاهر المد الإسلامى ، وهو ما حرصت عليه حتى لو ظل الجنوبى عارياً ليظل البديل الوحيد أمامه هو الارتباط بالمستعمر ثقافة ولغة وحضارة وقد يتساءل المرء لماذا ؟ لأن هذا الارتباط – فى نظر المستعمر – يوفر للجنوبى الحماية من اخيه الأفريقى العربى المسلم فى الشمال. وفى ظل هذا المفهوم نشأت فى الشمال قوة دفاع السودان، ونشأت فى الجنوب الفرقة الاستوائية.

ولعل هذا الوضع غير المنطقى هو الذى جعل بعض الجنوبيين – عندما صارت قضـــية اســتقلال السودان وانفصاله عن مصر قاب قوسين أو أدنى من التحقق ، وصارت أيضاً قضية وحدة وادى النيل السياسية إلى أفول – جعلهم يرفضون وطناً يجمعهــم مــع الشــماليين ، حــتى لو اقتضى الأمر التمسك بالوجود الاستعمارى الــبريطانى ، فــيقول بوث ديو ، إن الصلة بهذا الاستعمار حتمية ، بل هى زواج كاثولــيكى ويقــول أيضاً أموت ولا أكون شمالياً وهو الأمر الذى جعل من مؤتمر جوبــا ١٩٤٧ يقر مبدأ الفيدرالية كإطار جامع بين الإقليمية ، حتى لا تضيع "هوية" الجنوب.

كــان معنى هذا أن عملية كاملة من التنشئة البريطانية قد أتت أكلها الفاسد وسممت العلاقة بين شمال وجنوب السودان.

وكــان معــنى هــذا أيضاً أنه استقر مفهوم يقوم على أن الشمال لابد أن يضــطلع بــدور فى تحديث وتمدين الجنوب ، وإنقاذه من حالته الثقافية المتخلفة . وكان هذا المفهوم على صحته إلى حد كبير يحمل نوعاً من الوصاية على الجنوب ، ويهــدد بمحق هويته التى كانت أساساً هوية أفريقية، غطيت بغطاء رقيق وقشرة شــفافة من الثقافة العربية. ومن ثم انطلقت حملات غربية تتحدث عن غزو ثقافى إســلامى للجــنوب المســيحى ، ولم يكن هذا صحيحاً ، فلم يكن الجنوب يضم من المسيحيين إلا نحواً من عشرة إلى خمسة عشرة فى المائة من بين سكانه ، وهو ما يماثل نسبة المسلمين تقريباً.

ومــن ثــم مــا كادت مصر وبريطانيا تتوصلان لاتفاق الحكم الذاتى فى الســودان ويــتولى إسماعيل الأزهرى مسئولية إدارته ، حتى تبدت – جلية – كل ســلبيات عملــية التنشئة البريطانية ، حين حاولت حكومة الأزهرى دمج قوة دفاع الســودان والفرقة الاستوائية ، فانطلقت قوة من الجنود الجنوبيين فى توريت تقتل الشماليين رجالاً ونساء وأطفالاً ، تحت مظنة أنهم سيعاملون فى الشمال إذا ما نقلوا إليه – معامل الرقيق ، وسيباعون على هذه الشاكلة ، ثم غادروا ثكناتهم إلى الغابات

والمستنقعات ، فى أغسطس ١٩٥٥ ، لتبدأ أزمة عاصفة ولتصب – ليس فقط جسد الدولة السودانية ، بل أيضاً الشعب السودانى جمعيه ، والعلاقات العربية والإسلامية / الأفريقية ككل.

من بعد ذلك تعاقبت أشكال من التنظيمات الجنوبية الرافضة للحكم السودانى "الشمالى" حتى ولو كان هذا الحكم يمثل الجنوبيين فى أركان نظامه تمثيلاً ملائماً . وظهـرت شخصيات تقود ما سمى بالتمرد حيناً، والحركة السياسية الأفريقية حيناً آخـر كان الشماليين ليسوا أفارقة ، والعمل الجنوبى حيناً ثالثاً . وتباينت رؤى هذه القيادات بين حق الجنوب فى الفيدرالية أولاً ، وحق الجنوب فى الحكم الذاتى ثانياً، أو تقريـر المصـــير ثالثاً إلى حق الجنوب فى السودان "الأفريقى" رابعاً ، حتى لو اقتضـــى الأمـــر أن يصرح البعض بأن مبتغاه هو تحرير السودان من "الشماليين" وردهـــم إلـــى جزيرة العرب". وفى كل هذه التوجهات كانت قيادات الدينكا هنالك تقول وتفعل .

جـــرى الـــتعامل أيضـــاً مع أحداث الجنوب – من قبل حكومات السودان المتعاقـــبة – وفقاً لرؤى متعددة ، فثم رؤية أنها محض تمرد عسكرى يجب قمعه ، وثمة رؤية أنها محض هراء وهوس "زنجى" حتى ليكتب واحد من أحلم السودانيين عاطفـــة، وأنقاهم سريـــرة ، وأخلصهم لسودانـــه الموحد، سبق له أن تولى وزارة الخارجية بالسودان "فضوها سيرة" وليذهب الجنوب حيث يشاء.

وعلى الرغم من مشاعر الاستبعاد هذه، التى امتلكت الفريقين ، فإنه تجدر ملاحظـــة هامة وهى انه لم يخل الشماليون من مطالبين بضرورة إعطاء الجنوب فرصة تفهم الشمال ، والعكس صحيح. كذلك فلم يخل الجنوبيون من مطالبين بوحدة الـــبلاد . ولـــم يخل الأمر من شماليين فى حركة الجنوب ، فى محاولة للتأكيد بأن القضـــية ليست شمالاً وجنوباً ، بل هى حكومة ومعارضة ، أو طغمة شمالية ذات مخلـــية مريضة على حد ما ذهب منصور خالد، وقد كان وزير خارجيتها حيناً من الدهر .

ولــم تقف دول الجوار موقفاً واحداً على طول الخط إلا فيما ندر فبعضها، كأثيوبــيا ، قايض السودان وفق قاعدة أريتريا مقابل الجنوب ، ومن ثم كان اتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ ، واتفاق كوكدام وغيره من الوساطات.

والبعض الأخر وفر ملاذاً آمناً للثوار ناوشه السودان بدعم خصومه، تراجع . وكان من المواقف الثابتة الداعية إلى مبدأ الوحدة السودانية الأبدية والتعايش على مــبدأ المواطنة ، موقف مصر، الذى لم يتردد لحظة ، ولم يناور ، على الرغم من كثرة خلافات حكومة مع حكومات السودان.

ومــن الملاحــظ أن مشــكلة الجنوب كانت تتصاعد كلما ازداد حدة النظم السودانية ، وتمايزت برامجها الثقافية والحضارية عن "الإطار السودانى" ، وتنبت توجهــات تثير حفيظة الجنوب ، أو استخدمت آلية القمع العسكرى . ولقد ظهر هذا جلياً فى ظل حكم عبود، ثم فى ظل تطبيق الشريعة أواخر عهد نميرى ، ثم فى ظل حكم جبهة الإنقاذ الوطنى ، وانقلاب العسكر (البشير) مع التيار الإسلامى (الترابى) . ولعــل مراحل التطرف كانت أوخم عاقبة على السودان ففى إحداها كان الحديث عن "تقرير المصير" المفضى غالباً إلى الانفصال.

ومن ثم يتصارع الأن منظوران للتسوية ، يدور الأول حول مبادرة "إيجاد" ومــنطلقها تقرير المصير. ويدرو الثانى "المبادرة المصرية الليبية" ومنطلقها وحدة الســودان الأولى تخص مشكلة الجنوب ، والثانية تخص السودان كله، فهى أشمل وأرحب مدى.

ويظل القول صحيحاً بأن قسماً هائلاً من قيادة الجنوب كان من الدينكا سواء ســاد السلام ، كما حدث خلال عقد كامل بعد اتفاق أديس أبابا ، أم سادت المواجهة كما حدث قبله ، وكما حدث بعده حين تطبيق الشريعة فى عام ١٩٨٣ وحتى الآن.

ولقــد آن الأوان لــنا كباحثين مصريين وعرب وأفارقة فى آن واحد ، أن نقترب من هذه المشكلة التى تتناوش جسد السودان الحبيب، وأمن مياه النيل

للســودان ومصر وتنخر فى جسد العلاقات العربية الأفريقية ، بل ودورنا الافريقى. إننا مدعوون أن نقيم اقترابنا من المشكلة على الفهم والتحليل ، الذى يفتح العقل للقبول بإخواننا الأفارقة، فعسى أن يؤدى هذا إلى مفتاح سليم لما استغلق من مفاهــيم مغلوطة، وربما قادنا هذا إلى تواصل سودانى على قاعدة المواطنة ، تنهى الصــراع ، وقد طال لنصف قرن وأثق أن الوجه الآخر من الصورة ، ربما يكون وجهنا أيضاً، إذا كان وجه الشقيق الشريك فى الأرض والوطن.

إن قراءتــنا للدينــكا بداية لقراءات عديدة لإخواننا الأفارقة ، يعتزم باحثو معهــد البحوث والدراسات الأفريقية أن يقدموها لقراء العربية من المختصين ، من مــنطلق نقدنا للذات وليكن جهد هذا الجيل من باحثى المعهد اعتذاراً عن تقصير لا مبرر له فى قراءة شعوبنا الأفريقية ، فهذا هوالمدخل الصحيح لخدمة الوطن ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

" ندوة الدنكا " معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة ،

٦ يونيو ص ٨ : ٤١

الدنكا : الخصائص البيولوجية

الدكتور / محب محمد شعبان[١]

مقدمة :

ليست الخصائص البيولوجية لأي مجتمع إنساني - من حيث الشكل الفيزيقي ، نمط الصحة و المرض و السمات الديموجرافيه... إلخ- وليدة الصدفة و إنما هي نتاج ضروري للتفاعل مع عناصر البيئة المختلفة (**Ecosystem**) و كذلك المحتوى الجيني (**Gene pool**) للمجتمع.

و يتناول هذا البحث شعب الدنكا و هو من أكبر الشعوب النيلية في شرق إفريقيا التي تعايشت و تكيفت ليس فقط بيولوجياً بل و ثقافياً مع البيئة التي تعيش فيها. يقع موطن الدنكا جنوب السودان حيث يشغل جزءاً كبيراً منه و يتداخل و يتجاور مع موطني النوير و الشلك النيليين. و تدرس هذه الورقه الخصائص البيلوجيه لشعب دنكا، متناولاً إياها بالمناقشة و التقييم و التفسير في إطار الظروف البيولوجية و الثقافيه و البيئية التي يعيش فيها ذلك المجتمع. و تشمل هذه الخصائص علي العناصر الآتيه: الصفات المورفولوجيه – الخصائص السيرولوجيه للدم – نقص إنزيم الاكتيز– الصحه و المرض – السمات الديموجرافيه.

تنبع أهميه هذه الدراسة من طبيعه الانعكاسات التي تمليها العوامل البيئية – و ما تقتضيه من آليات التكيف البيولوجي و الثقافي – علي إستمراريه الجماعة الإنسانية و عناصر قوتها. و لا شك أن شعب الدنكا يمثل في هذا السياق حاله دراسية هامة في ضوء ما يمثله حجم هذا الشعب باعتباره من أكبر الجماعات الإثنيه في شرق إفريقيا من ناحية و لدوره المتعاظم في الصراع السياسي الراهن في السودان من ناحيه أخري.

---

[١] مدرس الأنثروبولوجيا الطبيعيه – معهد البحوث و الدراسات الأفريقيه ، جامعه القاهره.

البيئة الطبيعية لموطن الدنكا :

الدنكا من أكبر جماعات السودان الإثنية حيث بلغ تعدادهم حوالي المليون نسمه[2] في إحصائيات عام ١٩٥٦ و بلغ حوالي ٢,٩٦٠,٠٠٠نسمة في أواخر القرن الماضي[3] . و يمتد موطن الدنكا ليغطي جزءاً كبيراً من جنوب السودان حيث تبلغ مساحته ٢٥٠,٠٠٠كيلومتراً مربعاً من أراضي السافانا و التي تشكل قوساً يحيط بمستنقعات حوض النيل الأعلى ، و يقع هذا الوطن بين خطي عرض ست درجات و اثني عشرة درجة شمال خط الإستواء ، من مدينة الرنك (**Renk**) في الشمال إلى ما يبعد نحو ١٩٠ كيلومتر عن حدود أوغندا، مع امتداد عرضي نحو الغرب ليشمل معظم مديرية بحر الغزال عابراً نهر بحر العرب حتى كردوفان[4] .

ويتميز وطن الدنكا بأنه إقليم منبسط يغطي معظمه حشائش السافانا و يتخللها الكثير من المجاري المائية ، كما يكاد يخلو من الجبال و الكثبان إلا بعض الأجزاء المرتفعة قليلاً عن مستوى السهل فلا تغمرها مياه الفيضان. و لهذه الأجزاء أهمية خاصة للدنكا حيث يبنون عليها قراهم و كذا تكون مراعاهم في موسم الفيضان[5] .

و كان لتلك الظروف البيئية التي تعيش فيها قبائل الدنكا أثرها البالغ على طرق تكيفها الثقافي و البيولوجي. إذ يعتمد اقتصاد الدنكا بصفة أساسية على الرعي و القليل من الزراعة حيث يتنقل الدنكا مع ماشيتهم إلى مناطق الرعي حول ضفاف الأنهار و المجاري المائية و المستنقعات خلال موسم الجفاف (ديسمبر - إبريل) ثم العودة مرة ثانية إلى قراهم الثابتة فوق الأماكن المرتفعة نسبياً خلال موسم الأمطار حيث يزرعون الذرة، الدخن، السمسم، الفول السوداني و التبغ[6]. و تمثل الماشية محور

---

[2] **Beswick,S.F. (1998) Violence, Ethnicity and political consolidation in south Sudan: A history of the Dinka and their relation with their neighbors. Ph. D.Thesis, Michigan state university, Michigan.**

[3] **Encyclopoedia Britanica 2001**

[4] **Seligman,C.G. and B.Z. Seligman (1932) Pagan tribes of the Nilotic Sudan. London: George Routledge & Sons, LTD. P. 135.**

[5] **ابراهيم أحمد زرقانه:الجغرافيا البشرية لحوض النيل،القاهرة،١٩٥٥،ص١٥٢**

[6] **Stubbs ,J.M. and G.G.T. Morison (1938) The western Dinkas ,Their land and their agriculture.SNR Vol. 21:250-265**

الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية و الدينية للدنكا. فيقدر ثراء الفرد و مكانته الاجتماعية بقدر ما يمتلك من أبقار، و بها تدفع المهور و الدية و تقدم كقرابين لأرواح السلف لاسترضائها و طلب معونتها[٧]. هذا الارتباط الوثيق بالماشية في جميع أحوال الدنكا جعلها بؤرة الحياة الثقافية عندهم مما دفع الباحثين إلى تسمية هذه الظاهرة بـ "عقدة الماشية" أو "مركب الماشية"[8].

أما من ناحية التكيف البيولوجي، فنجد أن الصفات الفيزيقية التي تميز الدنكا قد انتخبتها طبيعة وطن الدنكا الحار المفتوح انتخاباً طبيعياً من بين عدة طفرات. هذا بالإضافة إلى عامل الاختلاط و طبيعة نمط التزاوج المتبع بينهم و اللذان أسهما بدورهما في تكوين "محتوى جيني" (**Gene pool**) يشتمل على موروثات معينة ذات تكيف عال مع خصائص البيئة التي تعيش فيها قبائل الدنكا.

الصفات المورفولوجية :

يتميز الدنكاويون ببعض الخصائص الفيزيقية التي تميزهم عن الجماعات الإفريقية الأخرى، فالرأس مستطيل و ضيق، حيث يبلغ معامل الرأس (**Dolichocephaly**) * ٧١,٧ (جدول ١). أما الشعر فهو صوفي مفلفل و عظام الحاجب غير بارزة ولا تكاد تظهر، و الأنف أضيق قليلاً من الزنوج حيث أن قصبة الأنف عند الدنكا منتصبة و هي بذلك تشبه إلى حد كبير نظيرتها عند القوقازيين، إلا أن عظمة الأنف أكثر تباعداً و تحديداً عن بقية الأنف و وجنة الوجه. وبالنسبه للشفاه فهي أرق من الزنوج و لكنها غليظة في عمومها و مقلوبة و تميل إلى التفلطح كما لو كانت مضغوطة من الأمام فهي ليست منتفخة كما في سائر الزنوج. و أما عظام الذقن

---

[7] Butt, A. (1952) The Niloties of The Anglo-Egyptian Sudan and Uganda. Part 4 of Ethnographic Survey of Africa, D.Ford ed., London: Oxford University Press. P. 121.

[8] هارولد ك. شنايدر (١٩٦٦) مقاومة الباكوت للتغير ، في كتاب الثقافة الإفريقية ترجمة عبد الملك الناشف، بيروت المكتبة العصرية ص٣٢٦- ٣٣٨.

* معامل الرأس = (أكبر عرض للرأس / أكبر طول للرأس ١٠٠x)



شكل (١) الصفات المميزة لرأس الدنكا*

فهي مكتملة النمو و التكوين و ليست متراجعة كما هو الحال عند الزنوج، كما أن الوجه مستقيم الى حد كبير حيث لا يوجد بروز للفك العلوي كما هو واضح في الزنوج (أنظر شكل ١) عظام الكتف عالية و ذات زوايا واضحة على عكس استدارة الكتف عند الزنوج . و بالنظر إلي الجسد يظهر لأول وهله طول الأطراف بالنسبة للجذع، كما يتميز الجسد بالضيق و النحافة و الأذرع و السيقان طويلة و نحيفة و خاصة الساعد و الساق السفلى (القصبة). كما تتميز القدم ببروز واضح للكعب (عقب القدم)[٩].

ويعتبر الدنكا من عمالقه العالم حيث يبلغ متوسط طول القامة ١٨١سم و متوسط وزن الرجل البالغ ٥٧ كيلو جرام و متوسط نسبة معامل ارتفاع القامة/الجذر التكعيبي للوزن ١٤,٢ حيث يشير إلى بنية نحيفة[10] (**Ectomorphy**) و البشرة سمراء داكنة

* Baker, J.R. (1974) Race. London: Oxford university press. P. 330

[9] Ibid.. . P. 329.

Titherington, G.W. (1927) The Raik Dinka of Bahr El Ghazal province.SNR Vol. 10:159-209.

[10] Roberts, D.F. and D.Bainbridge (1963) Nilotic physique. Am.J.Phys.Anth. Vol.21:341-370

فالدنكا أكثر سماراً من الزنوج، و يعتبرون من أشد الجماعات الإنسانية سُمرة في العالم[11]. كما أن قرنية العين تميل إلى اللون البني و تظهر نقط بنية على اللسان وصفة لون البشرة السمراء من أكثر الصفات المورفولوجية تأثراً بالمناخ لما لها من أهمية خاصة في حماية الجسم من أشعة الشمس الضارة.

و في دراسة أنثروبومترية حديثة[12] على عدد كبير (٢٢٣٣ فرد) من الأشخاص البالغين (٥٠,٨٪دنكا-٤٣,٨٪ نوير-٣,٤٪ أنواك - ٢٪شلك) تم اختيارهم بطريقة عشوائية من بين النيليين اللاجئين من جنوب السودان و اللذين استقروا في مدينة إتانج **(Itang)** جنوب غرب إثيوبيا.

تم حساب متوسط ارتفاع القامة و الوزن و معامل كتلة الجسم*(**Body mass index)**. و كانت النتائج كالتالي

البيـــان	متوســـط ارتفاع القامة	متوسط الوزن	متوسط معامل كتلة الجسم
الدنكا (ذكور)	١٧٦,٤±٩	-	-
النوير (ذكور)	١٧٥,٧±٩	-	-
الأنواك (ذكور)	١٧١,٧±٨	-	-
الشلك (ذكور)	١٧٢,٦±٦,١	-	-
القبائل مجتمعة(ذكور)	١٧٥,٩±٩	٥٩,٧±٨	١٩,٤±٢
القبائل مجتمعة(إناث)	١٦٩±٩	٥٤±٨	١٩,١±٣

---

[11] Baker, J.R. (1974) Race. NewYork: Oxford university press. P. 329

[12] Chali, D. (1995) Anthropometric measurements of the Nilotic tribes in refugee camp. Ethiop. Med. J. Vol. 33:211-217.

*معامل كتلة الجسم = الوزن (كجم) / مربع ارتفاع القامة (م٢)

و قد أوضحت الدراسه أيضا أن الدنكا و النوير أطول من الشلك و الأنواك، كما أن نساء النوير أقل في ارتفاع القامة و الوزن و معامل كتلة الجسم من نساء القبائل الثلاث الأخرى. وعموما فإن الدراسة تؤكد مرة أخرى أن للنيليين في جنوب السودان أجساما نحيفة و رشيقة و أنهم من أطول البشر في العالم. و قد كان ممكناً أن ترتفع القامة أكثر من ذلك إذا توافرت الظروف البيئية المناسبة أثناء مرحلة النمو في فترتي الصبا و المراهقة و التي تساعد على إظهار إمكانياتهم الوراثية.

و قد حاول روبرتس و بينبريدج[١٣] استخدام نظام شيلدون لتصنيف أنماط الجسم في دراسة لبيان توزيع نمط بنية الجسم عند الدنكا*. و نظرا للطبيعة المتميزة لبنية جسم الدنكا من نحافة شديدة و ارتفاع في القامة وجد الباحثان أن نظام شيلدون بحاجة إلى إجراء بعض التعديلات حتى يستوعب هذا النمط الجديد، حيث أن العينة التي استخدمها شيلدون في دراسته كانت من الأوروبيين القوقازيين و التي تختلف في بنيتها عن بنية الدنكا. قام الباحثان باستحداث بعض القياسات الأنثروبومترية و التي تظهر تميز البنية الجسدية للدنكا ، و عليه فقد تم التوصل إلى تحديد ٣٦ نمطا للبنية الجسدية في العينة المستخدمة، منهم أربعة أنماط جديدة لم تدخل ضمن مجموعة شيلدون، و تلك الأنماط الأربعة تمثل ١١,٧٪ من العينة.

و بمقارنة الدنكا مع بعض المجموعات الإنسانية الأخرى من شرق إفريقيا و الأمريكيين البيض و اليابانيين، اتضح الفرق الكبير في البنية الجسدية بين الدنكا و تلك المجموعات، حيث تبين ما يتميز به الدنكا من نحافة مفرطة و طول فارع (جدول ٢). و هنا يجب الإشارة إلى أن النحافة التي تميز الدنكا ليست بسبب سوء التغذية كما قد يظن البعض حيث أن غذاء الدنكا متنوع و كاف[١٤] كما أن نسبة الهيموجلوبين في الدم

---

[13] Roberts, D.F. and D. Bainbridge (1963) Nilotic physique. An. J. Phys. Anth. Vol. 21:341-370.

*تتكون عينة البحث من ٢٢٧ فرداً من دنكا الرووينج (Ruweng Dinka)، و ٥٢ فرداً من دنكا أجير(Ageir Dinka)و ١٠ أفراد دنكا نجوك(Ngok Dinka) و ٤٨ فرداً من الشلك

[14] Titherington, M.G. W. (1927) The Raik Dinka of Bahr El Ghazal Provience. SNR Vol. 10:191.

عند البالغين مناسبة رغم تواجد بعض الطفيليات المتوطنة[15]، مما يدل علي أن هذا النمط الجسدي ليس إلا نتيجة للتكيف مع متطلبات البيئة التي تعيش فيها قبائل الدنكا**. فارتفاع القامة من الصفات البيولوجية التي تتأثر تأثرا بالغا بتفاعل العوامل البيئية- و بخاصة طبيعة الغذاء و درجة توفره و طبيعة الأمراض و المناخ- مع العوامل الوراثية[16].

و يمكن تفسير نمط بنيه الجسم السابق ذكرها في ضوء بعض المعطيات البيولوجية ، من ناحية، حيث يحتاج الإنسان مثل جميع الثدييات أن يحافظ على ثبات درجة حرارة الجسم الداخلية عند مستوى معين، و هو ما يتوقف علي كل من حجم و بنيان الجسم، ففي البيئة الباردة يعمل الجسم على الاحتفاظ بالطاقة الحرارية بينما في البيئات الحارة يعمل على التخلص من الحرارة الزائدة التي تنتج عن عملية الأيض (**Metabolism**) و عن امتصاص أشعة الشمس. و يتخلص الجسم من الحرارة الزائدة بطريقتين أساسيتين هما البخر و الذي يتم بإفراز العرق (**Perspiration**) و الإشعاع(**Radiation**).

و ترتبط فاعلية عملية الإشعاع - كوسيلة للتخلص من الحرارة الزائدة - بنسبة مساحة سطح الجسم(**Surface area**) إلى كتلته (**Body mass**). ومن خصائص الشكل الكروي أن له أقل مساحـــة سطـح لكل وحدة كتلة مقارنة بالأشكال الأخرى ثلاثية الأبعاد. و بما أن الحجم يزداد بالتكعيب و مساحة السطح تزداد بالتربيع

---

[14] Deng, F.M. (1972) The Dinka of the Sudan. New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc. P. 20.
Roberts, D.f. and D. Bainbridge (1963) Nilotic physique .Am J. Phys.Anth . Vol .21:359

[15] Roberts, D.F. and D. Bainbridge (1963) Nilotic physique. Am. J. Phys. Anth. Vol. 21:359.

من المعلوم أن الجماعات الإنسانية تختلف اختلافاً كبيراً في مقدار ارتفاع القامة، إلا أن القارة الإفريقية تتميز بوجود أقصر و أطول الجماعات الإنسانية في العالم. فنجد الأقزام الذين يبلغ متوسط ارتفاع القامة عندهم ١٥٢ سم كما نجد الدنكا و هؤلاء يبلغ متوسط ارتفاع قامتهم ١٨١ سم.

[16] Tanner, J.M. (1978) Fetus into Man. Cambridge: Harvard University Press. P. 137-153.

فبالتالي يولد الأشخاص الممتلئين طاقة حرارية تزيد عن تلك التي يولدها الأشخاص ذوي الجسم النحيف. كما أن مساحة السطح لجسد الممتلئين قصيري القامة - و التي تتسرب من خلالها الطاقة الحرارية- قليلة، أما الأشخاص ذوي الجسم النحيف طويلي القامة فإنهم يولدون حرارة أقل كما أن لأجسادهم مساحة سطح كبيرة. و من الضروري في البيئات الباردة أن تكون نسبة فقدان الطاقة الحرارية عند حدها الأدنى، لذلك نجد الأشخاص في تلك البيئات ممتلئ الأجساد قصار القامة و الأطراف كما في شعب الإسكيمو[١٧]، و على النقيض نجد النيليين جنوب السودان يمتلكون من الخصائص الفيزيقية ما يزيد من فقدان حرارة الجسم، فهم من أطول الجماعات الإنسانية مع ما يميزهم من نحافة و الأطراف الطويلة جداً. هذا التكوين الجسدي يتميز بمساحة سطح كبيرة تسمح بالتخلص من حرارة الجسم الزائدة عن طريق الإشعاع و خاصة من الأطراف.

و من ناحية أخري، فإن هناك جانبا آخر للتفسير يستند إلي البيئه الثقافية، حيث أن هناك من القيم الثقافيه السائده في مجتمع الدنكا ما يعزز النتيجة السابقة بشأن الصفات المرفولوجية للدنكا. إذ تسود لديهم قيم جمالية تحبذ أن يكون جسد الفتي أو الفتاه ممشوقاً غير مترهل، و يعد البطن المترهل لدى الدنكا من الملامح القبيحة المثيرة للاشمئزاز. هذا فضلا عن أن من عادات تناول الطعام عند الدنكا ألا يقوم الفرد بتناول كل الطعام المقدم له و لو كان قليل الكمية فمن اللياقة أن يترك الفرد بعضا من الطعام، كما أنه ليس من الكياسة أن يأكل الفرد إلي حد التخمة[١٨]. بالطبع هذا السلوك الثقافي يضيف إلى رشاقة بنية الجسم.

---

[17] كارلتون إس. كون و إدوارد أ. هنت الإبن، (١٩٧٥) السلالات البشرية الحالية، ترجمة محمد السيد غلاب: مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص٢٠٥

[18] Deng, F.M. (1972) The Dinka of the Sudan. New York: Holt, Rinehart and Winston. Inc. P. 20.

و تفسر العوامل البيولوجية أيضا شكل شعر الرأس عند الدنكا الذي يتصف بأنه مفلفل صوفي كما أشرنا من قبل. حيث يرى العلامة كون[١٩] أنها صفة ذات قيمة تكيفية في الأماكن الحارة والجافة فهي تعمل كنوع من العازل الحراري للدماغ. كما أن استطالة الرأس صفة ذات قيمة في المناطق الشديدة الحرارة والجافة حيث أثبتت التجارب أن عند وضع مصدر ضوئي حراري بطريقة عمودية فوق مجموعة من الجماجم فإن درجة الحرارة داخل صندوق المخ ترتفع ببطء في حالة الجماجم المستطيلة والمرتفعة[٢٠].

* **نقص إنزيم اللاكتيز (Lactase dificiency)**

يعد نقص إنزيم اللاكتيز من الصفات الوراثية التي لاقت اهتماماً كبيراً من قبل الأنثروبولوجيين الفيزيقيين، و ذلك لارتباطها بتاريخ الجماعات الإنسانية الثقافي في الاعتماد على اللبن و منتجاته كأحد مكونات الغذاء الأساسية[٢١]. و الوظيفة الأساسية لهذا الإنزيم هي هضم سكر اللبن **(Lactose)** إلى سكر بسيط جلوكوز و جالاكتوز **(Glucose & galactose)** يسهل امتصاصه، و لهذا فإن للأطفال في جميع الجماعات الإنسانية القدرة على إفراز هذا الإنزيم بكميات كافية لاعتمادهم على اللبن كغذاء أساسي. إلا أن في معظم الجماعات الإنسانية في العالم وبعد بلوغ الأطفال عمر سنتين أو أربع أي بعد تحول الأطفال عن لبن الأم إلى غذاء المجتمع العادي فإن كمية الإنزيم التي يفرزها الجسم تتناقص إلى الحد الذي لا يتمكن الإنسان معه من هضم سكر اللبن، وفي هذه الحالة فإن تناول اللبن في الغذاء يسبب متاعب معدية منها آلام وتقلصات في المعدة وانتفاخ و غازات وإسهال[٢٢]. وفي الغالب

---

[19] كارلتون إس. كون وإدوارد أ. هنت الإبن (١٩٧٥) السلالات البشرية الحالية، ترجمة محمد السيد غلاب، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص ٢٩٠

[20] Hiernaux, J. (1974) The people of Africa. London: Weidenfled and Nicolson. P. 82.

[21] Jhonson, J.D. et al., (1974) Lactose malabsorption: its biology and history. Adv. Pediat. Vol. 21:197-237.

[22] McCracten, R.D. (1971) Lactase deficiency: an example of dietary evolution. Curr. Anthropol. vol. 12:484.

لا يعرف الإنسان البالغ أنه لا يستطيع هضم سكر اللبن إلا إذا دعته الضرورة إلى تناول كميات كبيرة منه. إلا أن هناك بعض الأفراد البالغين قادرين على هضم سكر اللبن حتى في السن المتأخرة، وتفسر هذه الظاهرة بأن هؤلاء الأشخاص اكتسبوا هذه القدرة بسبب إنتمائهم إلى مجتمعات ذات تاريخ في الاعتماد على اللبن ومنتجاته كعنصر أساسي في غذائهم حتى بعد فترة الطفولة. وهذا بدوره أدى إلى استمرار استثارة عمل الجين المسئول عن تخليق إنزيم اللاكتيز في الجسم[٢٣]. والتفسير الثاني لهذه الظاهرة أنة عندما كانت المجتمعات الإنسانية تتخذ من الصيد والجمع والالتقاط نشاطاً اقتصادياً لها، لم تكن هناك ضرورة بأن يكون عند البالغين القدرة على هضم سكر اللبن، حيث لم يمثل عنصراً أساسياً في الغذاء بعد الفطام في تلك الفترة وبالتالي لم تكن هناك أي قيمة تكيفية (**adaptive advantage**) لامتلاك الفرد هذه الصفة. إلا أن الأمر قد تغير فمنذ حوالي عشرة آلاف سنة مضت قامت بعض المجتمعات الإنسانية باستئناس الحيوان وبدأ اللبن ومنتجاته يمثلان عنصراً أساسياً في الغذاء لتلك المجتمعات. وبالتالي كان على البالغين الاحتفاظ بالقدرة على هضم سكر اللبن حتى يستطيعوا الاستمرار من الاستفادة من هذا الغذاء السائغ المتكامل والضروري لهم وللأطفال على حد سواء. وهنا برزت القيمة التكيفية لهذه الصفة وبالتالي عمل الانتخاب الطبيعي على انتخاب الجينة المسئولة عن تخليق إنزيم اللاكتيز وزيادتها في مجتمعات الرعاة حتى اكتسب معظم البالغين القدرة على الاستمرار في هضم سكر اللبن طوال حياتهم[٢٤]. ونجح هذا السيناريو في تفسير نمط توزيع تواجد صفة القدرة على هضم سكر اللبن بين الأوروبيين الشماليين اللذين لهم تاريخ في تربية الماشية وقبائل الرعاة في أفريقيا.

---

[23]**Kretchmer, N. (1972) Lactose and lactase. Scientific Amarica, vol. 277:74.**

[24] **Jhonson, J.D. et al., (1974) Lactose malabsorption: its biology and history. Adv. Pediat. Vol. 21:197-237.**
McCracten, R.D, (1971) Lactase deficiency: an example of dietary evolution Curr. Anthrop. Vol. 12: 479-500.

ففي دراسة نمط توزيع صفة القدرة على هضم سكر اللبن في السودان[٢٥] تبين أنه هناك نسبة عالية من الأفراد البالغين القادرين على هضم سكر اللبن بين الجماعات البدوية في الشمال حيث يمثل اللبن ومنتجاته عنصراً حيوياً في غذائهم. أما قاطني وادي النيل فقد ظهر أن هناك نسبة متوسطة تمثل القادرين وغير القادرين على هضم سكر اللبن، بينما عند زنوج الجنوب فقد زادت نسبة عدم القادرين على تناول اللبن زيادة كبيرة بغض النظر عن نوعية النشاط الاقتصادي - زراعي أو منتجات الألبان- الذي يقومون به. أما بالنسبة للدنكا فقد كان من المتوقع أن تكون نسبة القادرين على هضم سكر اللبن عالية ، إلا أن الدراسة المقارنة[٢٦] بين البجاة والنيليين والممثلين بأغلبية من الدنكا أظهرت أن نسبة غير القادرين على هضم سكر اللبن بلغت ٧٤,٥٪ بينما كانت النسبة عند البجاة ١٦,٨٪ ويفسر ذلك بأن البجاة رعاة رحل خلص يعتمد اقتصادهم على الرعي بصفة أساسية مع القليل من الزراعة. ويعيش البجاه في بيئة صحراوية قاسية شديدة الجفاف قليلة النباتات، ففي مثل هذه البيئة يلعب اللبن ومنتجاته دوراً أساسياً وحيوياً في المحتوى الغذائي اليومي لديهم وعلى مدار العام. حيث أنه من الطبيعي أن يتناول الفرد أكثر من ثلاثة لترات من اللبن يومياً في الأوقات شديدة الجفاف حيث يكون هو الغذاء الوحيد المتوفر[٢٧]. وبالتالي يمثل اللبن كغذاء ضرورة حيوية لاستمرار بقاء البجاه، لذلك كان هناك انتخاب طبيعي قوي لصالح صفة القدرة على هضم اللبن أدى إلى زيادة الجينة المسئولة عن تخليق إنزيم اللاكتيز بين البجاه. بينما يختلف الأمر عند الدنكا حيث أنهم مستهلكون للبن وليسوا معتمدين عليه في الغذاء بنفس الدرجة التي رأيناها عند البجاه. فالدنكا قوم ذوي نشاط إقتصادي فصلي ومتنوع، فهم يعتمدون على الزراعة في فصل المطر والرعي في فصل الجفاف حيث يمثل اللبن في تلك الفترة جزءاً أساسياً من الغذاء، هذا بالإضافة إلى ما يقومون به من صيد بري وبحري. كما أن هذا النمط في توزيع جين اللاكتيز يتوافق مع الاتجاه العام

---

[25] **Bayoumi, R.A. et al., (1981) Distribution of the lactase phenotypes in the population of the Democratic Republic of the Sudan. Hum. Genet. Vol. 57:279-281.**
[26] **Bayoumi, R.A. et al., (1982) Beja and Nilotes: Nomadic pastoralist groups in the Sudan with opposite distributions of the adult lactase. Vol. 58:173-178.**
[27] **Ibid., P. 174 - 176**

في انخفاض نسبة صفة عدم القدرة على امتصاص سكر اللاكتوز على امتداد وادي النيل ثم ازديادها مرة ثانية، حيث تبلغ النسبة في شمال مصر (٨٥ ٪)، جنوب مصر العليا (٦٠ ٪)، وسط السودان (< ٥٠ ٪) ثم إرتفاع عند جنوب السودان (٨٠-٧٥ ٪) حتى تصل إلى أكثر من ٩٠ ٪ بين جماعات البانتو الزراعية في أوغندا [٢٨].

* **الخصائص السيرولوجية للدم:**

تشكل الدراسات الإثنوجرافية - أقوال المسنين والإخباريين، الأساطير والحكايات، الفولكلور...الخ - في معظم الأحيان المصدر الأساسي للمعلومات المتاحة لنا عن علاقات المجتمعات الأفريقية وأصولها وهجراتها وتحركاتها وأنسابها. لذلك من المفيد أن يتوافر لدينا مصدر آخر للمعلومات يمكننا من التحقق من نتائج هذه المصادر التقليدية. وهنا تظهر أهمية الدراسات السيرولوجية التي وفرت معلومات مفيدة عن بعض الخصائص الوراثية للدم للجماعات الإنسانية الأفريقية[٢٩]. ومن أهمها خصائص نظم مجموعات الدم[٣٠] (**Rh, MNS, ABO**) التي لها أهمية خاصة في الأنثروبولوجيا الفيزيقية، فقد أثبتت قيمتها في الإجابة عن تساؤلات كثيرة فيما يخص الهجرات وأصول الجماعات الإنسانية وعلاقاتها.

من المواضيع التي استحوذت على جانب كبير من اهتمام الدارسين هو العلاقة بين الدنكا والنوير من جانب وعلاقتهما بالشلك من جانب آخر، والمجموعات الثلاث يطلق عليهم النيليين الشماليين، معظم هذه الدراسات كانت تعتمد في تحليلها

---

[28] Bayoumi,R.A. et al., (1981) Distribution of the lactase phenotypes in the population of the Democratic Republic of the Sudan. Hum. Genet. Vol. 57:279-281.

[29] Domaniewska-Sobczak and A.E. Mourant (1962) Blood groups and other genetical characters in Africa. J. Afr. His. Vol. 111:294-296.
Garlick , J.P. (1962) Blood group maps of Africa. J. Afr. His. Vol. 111:297:300.

[30] Mourant, A.E. (1962) The use in anthropology of blood groups and other genetical characters. J. Afr. His. Vol. 111:291-296.

على أوجه التشابه والاختلاف في عناصر الثقافة المادية والاجتماعية ونتائج الدراسات الإثنوجرافية*.

فنجد مثلا سليجمان[٣١]قد استخدم بعض الشواهد من عناصر الثقافة المادية واللغة وشكل الرأس ووضع التصور الآتي: أن النيليين قد نشأوا في منطقة ما شرق البحيرات العظمى ومنها تحركت موجتان من البشر إتجهوا شمالاً واحدة منهما ظهر منها الدنكا والنوير والأخرى ظهر منها الشلك والأنواك (**Anuak**) واللو (**Luo**) .

قام الباحث روبرت باستخدام نظام مجموعة الدم (**ABO**) في بيان العلاقة بين بعض المجموعات النيلية الشمالية وبخاصة الدنكا والنوير والشلك[٣٢]. فمن الواقع الثقافي لهذه الجماعات الثلاث - من حيث اللغة، النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخ - توصل إلى أن الدنكا والنوير متقاربان إلى حد كبير بينما تقع الشلك على مسافة منهما إلا أنه من دراسة التوزيع التكراري لجينات نظام مجموعة الدم **ABO** اتضح أنه لا يوجد اختلاف معنوي بينهم وبحساب التوزيع التكراري المتوقع لهذه الجينات لأسلاف الشلك - الجيل الثامن عشر في الماضي عند حوالي عام ١٥٠٠م - أخذين في الاعتبار عوامل التغير- مثل الانحراف الجيني، الاختلاط ، نمط التزاوج- إتضح أن التوزيع التكراري لهذه الجينات متقارب إلى حد كبير مع ما هو

---

* Beswick, S.F. (1998) Violence, ethnicity and political consolidation in south Sudan: A history of the Dinka and their relation with their neighbors. Ph.d. Thesis, Michigan State University, Michigan.
Southhall, A. (1976) Nuer and Dinka are people: ecology, ethnicity and logical possibility. Man, vol. 11:463-491.
Urrutia, B. (1973) The Dinka and the Nuer. Man, vol. 8:479.
Richen, D. (1973) The Nuer and the Dinka. Man, vol. 8:307-308.
Newcomer, P.J. (1972) The Nuer are Dinka: An essay on origins and environmental determinism. Man, vol. 7:5-11.
Glickman, M. (1972) The Nuer and the Dinka: A further note. Man, vol. 7:587-594.

[31] Seligmen, C.G. (1932) Pagan tribes of the Nilotic Sudan. London: George Routledge & Sons. LTD. P. 16-19.

[32] Roberts, D.F. (1962) Serology and the history of the northern Nilotes. J. Afr. His. Vol. 111:301-305.

موجود عند الدنكا الآن(٣٣). أي أن المجموعات الثلاث متجانسة بيولوجياً من ناحية مجموعة الجينات المسئولة عن نظام مجموعة الدم **ABO** .

وفي دراسة أخرى(٣٤) شملت الدنكا (ممثلة بثلاث قبائل) والنوير والشلك والبيورون* (**Burun**) استخدمت فيها نظم مجموعات الدم **RH, MNS, ABO** اتضح أنه لا يوجد أي فروق معنوية في التوزيع التكراري للنمط الظاهري لنظم مجموعات الدم بين قبائل الدنكا الثلاث، لذلك اعتبرت مجموعة واحدة ممثلة للدنكا الشماليين. كما بينت المعالجة الإحصائية للنتائج أنه لا توجد أي فروق معنوية بين التوزيع التكراري للنمط الظاهري والجينات لنظم مجموعات الدم الثلاث في الجماعات النيلية الثلاث. أما جماعة المابان فهي تختلف اختلافاً معنوياً عن الجماعات الأخرى، فنجد مثلاً أن التوزيع التكراري لجين مجموعة الدم **B** عندها هو ضعف ما هو موجود عند الجماعات النيلية الثلاث. وهذا يتوافق مع ما ذكره الإخباريون عن هذه الجماعة بإختلاف أصولهم عن النيليين الشماليين وإرتباطهم بسلف واحد مع جماعة النوبا في كردفان. بينت الدراسات التقليدية أن الدنكا والنوير والشلك يختلفون في بعض العناصر الثقافية ويشتركون في البعض الآخر لهذا السبب وبسبب تقارب أوطانهم فقد جرت العادة على تسميتهم بالنيليين الشماليين وفي الواقع بينت التحاليل السيرولوجية عدم وجود أي اختلافات لنظم مجموعات الدم المختلفة عند هذه الجماعات الثلاث، هذا بالإضافة إلى أنه قد ثبت عدم تواجد جينة الهيموجلوبين الغير طبيعي **S** (المسئولة عن تواجد صفة الخلية المنجلية) عند أي منهم(٣٥). بالتالي هذا

---

[33] **Roberts, D.F. (1962) Serology and the history of the northern Nilotes. J. Afr. His. Vol. 111:303.**

[34] **Roberts, D.F. et al., (1955) Blood groups of the Northern Nilotes. Ann. Hum.Genet. Vol. 20:135-154**

***البيورون(Burun) إسم أطلق على بعض الجماعات التي تختلف من حيث اللغة والشكل الفيزيقي عن النيليين الشماليين ويعيشون في شمال شرق مديرية أعالى النيل، ومن هذه الجماعات، جماعة مابان(Mabaan) وهي أكثر جماعات البيورون تشابها من حيث اللغة والشكل الفيزيقي مع النيليين الشماليين، لذلك مثل المابان جماعة البيورون في عينة البحث.**

[35] **Roberts, D.F. and H. Lehmann (1955) A search for abnormal haemoglobins in some southern Sudanes peoples. Brit. Med. J. vol. 1: 519-521.**
Foy, H. et al., (1954) The variability of sickle-cell rates in the tribes of Kenya and the southern Sudan. Brit. Med. J. vol. 1: 294-297.

التجانس يؤيد استخدام مصطلح "النيليون الشماليون" ليس فقط على أسس ثقافية إثنوجرافية وإنما أيضا على أسس وراثية بيولوجية، كما يؤيد هذا التحليل إدعاء النوير بأن لهم أصل مشترك مع الدنكا والشلك والأنواك[٣٦]، كما أن وضع الشلك ضمن مجموعتي اللو (Luo) واللانجو (Lango) على أساس لغوي داخل المجموعة النيلية اللغوية بدلا من وضعها إلى جانب مجموعتي الدنكا والنوير غير معزز من ناحية الخصائص السيرولوجية للشلك.

* **الصحة والمرض:**

من المعروف أن المناطق الاستوائية في العالم - إفريقيا جنوب الصحراء - أكثر عرضة للإصابة بالأمراض المعدية عن المناطق المعتدلة. ويرجع ذلك إلى عوامل بيولوجية وبيئية تعمل على ارتفاع مستويات التنوع الحياتي (**biodiversity**) عند كل من مستقبل المرض (**Host**) وناقل المرض (**Vector**) ومسبب المرض (**Pathogen**) هذا بالإضافة إلى بعض الممارسات والقيم الثقافية والاجتماعية التي قد تعوق محاولات السيطرة على المرض.

يعتبر مرض الملاريا من مشاكل القارة الأفريقية الصحية جنوب الصحراء. فالملاريا من الأمراض المتوطنة التي يعاني منها الدنكا، وهو مرض منتشر في أوطانهم نتيجة لانتشار المستنقعات، حيث الطبيعة المنبسطة لأراضي الدنكا تساعد على تجمع المياه خلال فترة الأمطار، والتي بدورها توفر البيئة المناسبة لتكاثر البعوض ناقل المرض.

لقد أشرنا إلى أن الدراسات السيرولوجية التي أجريت على النيليين الشماليين والتي شملت كل من الدنكا والنوير والشلك لم تسفر عن وجود أي من الهيموجلوبين الغير طبيعي **S** (المسئول عن تواجد الخلية المنجلية)، **E, C, D** أو **G** وهذا أمر غير متوقع في ظل إنتشار مرض الملاريا، حيث أن الهيموجلوبين $\mathbf{Hb^S}$ يزود حامله بقدرة

---

[36]oberts, D.F. et al., (1955) **Blood groups of the Northern Nilotes. Ann. Hum. Genet. Vol. 20:146**

علـى مقاومـة مـرض الملاريـا، عـندما يكـون التركيـب الجينـي للفـرد بالنسـبة لألـيل (Allele) الخلية المنجلية غير متماثل (Hb^A Hb^S) أمـا إذا كـان التركيـب الجينـي متماثل(Hb^S Hb^S) (Homozygous) فإنـه يسبب مرضـاً مميتاً هو أنيميا الخلية المنجلية.

لذلك يعمل الإنتخاب الطبيعي في ظل هذه الظروف لصالح حاملي العوامل الوراثية الغير متماثلة(Hb^A Hb^S)[٣٧] وضد حاملي العوامل الوراثية المتماثلة (Hb^A Hb^A) (Hb^S Hb^S) و يمكن تفسير عدم وجود هذا الجين عند الدنكا، بأنه ليس هناك ضغط كافي من مرض الملاريا والمتمثل في إرتفاع معدل الوفيات بسبب المرض، حيث أنه هناك مجموعة من العوامل[٣٨] التي تؤثر على الأهمية النسبية للأنواع المختلفة من البعوض كناقل للمرض: ١-اعتمادالبعوض على دماء الإنسان أم الحيوان. ٢- فترة ملازمه البعوض للإنسان. ٣- مكان تعرض الإنسان للدغ داخل أماكن المعيشة أو خارجه. ٤- توقيت نشاط البعوض ، ليلاً ، نهاراً، عند الفجر أو وقت الغسق.

هذه العوامل تلعب دوراً كبيراً في مدى الضغط الذي يسببه مرض الملاريا على الإنسان وقدر الخسائر التي يتكبدها - ممثلة في معدل الوفيات - من جراء الإصابة بالمرض، وما إذا كان المجتمع يستطيع تحمل هذه الخسائر أم لا؟ وهنا يجب على المجتمع الإنساني الذي يعيش في ظل ظروف انتشار مرض الملاريا أن يجد وسيلة للحماية من الإصابة بالمرض أيا كانت الوسيلة بيولوجية أم ثقافية. ويبدو أن جماعة الدنكا قد استجابت ثقافياً لضغط المرض فمن الممارسات الثقافية[٣٩] التي تحد من تعرضهم للبعوض هي حرق الكثير من روث الحيوان حيث يعمل الدخان الناتج على طردها، وكذلك عادة النوم إلى جانب مواقد النار ليلاً حيث يغطي الرماد

---

[37] Livingstone, F.B. (1958) Anthropological implications of sickle cell gene distribution in West Africa. Am. Anthropol. Vol. 60:533-562.
Weisenfield, S. (1967) Sickle-cell trait in human biological and cultural evolution. Science vol. 157:1134-1140.

[38] Sattenspiel, L. (2000) Tropical environments, human activities and the transmission of infectious diseases. Year Book of Am. J. Phys. Anthropol. Vol. 43:9.

[39] Titherington, G.W. (1927) The Raik Dinka of Bahr El Ghazal province. SNR vol. 10:179.

المتصاعد أجسادهم، هذا بالإضافة إلى أن أحد طرق العناية بالجسم هي اعتياد الدنكا دهن أجسادهم بالدهن بعد الاستحمام - حماية من أشعة الشمس والرياح - ومن الطبيعي أن تعلق الأتربة وتلتصق بأجسادهم مكونة طبقة عازلة.

و من الأمراض الطفيلية الأخرى واسعة الانتشار[٤٠] مرض تسببه دودة غينيا (Guinea-worm) ***dracunculiasis*** ينتج عن شرب مياه ملوثة بيرقات هذه الدودة. والتي تستقر في أنسجة البطن حيث تتكاثر جنسياً، الذكر منها يموت ويبقى داخل جسم الإنسان أما الأنثى المحملة بملايين الأجنة تتحرك داخل الجسم إلى أن تصل في النهاية إلى الجزء السفلي من الأرجل والقدم، حيث تخترق الجلد محدثة آلاماً مبرحة ومكونة قرحة والتي من خلالها تقذف الدودة بصفة دورية الأجنة مرة ثانية في الماء لتكتمل دورة الحياة[٤١]. هذا ويسهل السيطرة على هذا المرض إذا ما توافرت المياه الصالحة للشرب، و بتوعية الناس باستخدام قطعة قماش كفلتر قبل تناول الماء، فطبقا لتقرير لمنظمة الصحة العالمية[٤٢] أنه هناك فرصة مواتية للتخلص من هذا المرض نهائيا في المستقبل القريب.

الالتهاب الرئوي مرض شائع وفي الغالب مميت ولكنه لم يصل إلى حد الوباء. و يظهر شلل الأطفال والحصبة على فترات متواترة ويسبب ارتفاع في معدل وفيات الأطفال ، كما يظهر مرض الالتهاب السحائي[٤٣] في صورة أوبئة في أماكن مختلفة في شمال وجنوب السودان وغالبا ما يظهر خلال أشهر الجفاف وينتهي مع بداية سقوط الأمطار. إلا أنه يمكن السيطرة على المرض إذا توافرت الخدمة الصحية اللازمة من علاج وتوعية صحية.

---

[40] **Ibid., P. 207-208**

[41] **Sattenspiel, L. (2000) Tropical environments, human activities and the transmission of infectious diseases. Year Book of Am. J. Anthropol. Vol.43:25.**

[42] **World Health Organization (WHO). (1996) The world health report 1996: fighting disease, fighting development. Report of the Director-General. Geneva:WHO.**

[43] **Kirk, R. (1950) Two epidemics of cerebrospinal meningitis. SNR vol. 31:43-53.**

الدوسنتاريا المعوية[٤٤] (visceral leishmaniasis) مرض متوطن في بعض أجزاء جنوب السودان إلا أنه ظهر بصورة وبائية في غرب النيل الأعلى عام ١٩٨٩. فالحرب الأهلية الدائرة التي بدأت مرة ثانية في عام ١٩٨٣ والحركة الجماعية للسكان وسوء التغذية من العوامل التي أدت إلى خلق ظروف مواتيه لانتقال المرض إلى جماعتي الدنكا والنوير. وقد أدى الوباء إلى ارتفاع في معدل الوفيات في جميع الأعمار حيث بلغت نسبته في بداية ظهور المرض ٣٨-٥٧٪ وزادت إلى ٧٠٪ في الأماكن شديدة الإصابة بالمرض. ويعتقد الدنكاويون أن أرواح السلف في حال غضبها ترسل الأمراض وسوء الحظ إلى الأحياء من الأقارب، كما أنهم يعتقدون أن هذه الأرواح هي التي تحميهم من الكوارث وتقدم لهم العون والمساعدة في أوقات المحن والشدائد. وتقام طقوس سنوية عند الدنكا الشماليين لوضع نهاية للأمراض التي تصيبهم وخاصة مرض الملاريا وقد وصف نورمان نيون[٤٥] أحد هذه الطقوس. ويرى الدنكا أن استخدام الخدمات الطبية الحديثة يتعارض مع معتقداتهم الدينية لذلك رفض الدنكاويون كل أنواع العلاج الحديث حتى في أقصى الظروف المرضية - كانتشار وباء مرض الجدري - حيث كان الدنكاويون يفرون من تلقي التطعيم، بالرغم من أن هذا السلوك يتعارض مع قيم الشجاعة والإقدام التي تؤكد عليها ثقافتهم[٤٦] كما كان الكاهن المعالج يشجع على رفض وسائل الطب الحديث أو التعامل مع موظفي الصحة، حيث يعتبرون هذا السلوك هو عمل ضد أرواح السلف والأجداد. إلا أن الأمر لم يدم طويلا وتغير حينما لمس الدنكاويون النتائج الإيجابية لاستخدام وسائل الطب الحديث وبدأ الكاهن المعالج بعد وصفة للعلاج التقليدي يوصي المريض بزيارة الطبيب حتى يحصل على أفضل النتائج[٤٧]. ويعتني الدنكا بأسنانهم عناية كبيرة، حيث

---

[44] Seaman, J. et al., (1996) The epidemic of visceral leishmaniasis in western Upper Nile, southern Sudan: course and impact from 1984-1994 Int. J. Epidemiol. Vol. 25:861-871.

[45] Nunn, N. (1942) A Denka public health measure SNR vol. 25:139-140.

[46] Deng, F.M. (1972) The Dinka of the Sudan. New York: Holt, Rinehart and Winston. P. 160.

[47] Kirk, R. (1950) Two epidemics of cerebrospinal meningitis. SNR vol.31:50.

أن من القيم المرغوبة عندهم أن تظل بيضاء ناصعة، لذلك يهتمون بنظافتها ودعكها باستمرار باستخدام الرماد وقطع الفحم، كما أن الدنكاوي حريص على المضمضة قبل وبعد تناول الطعام[٤٨] و هذا بدورة يعظم من صحة الفم.

يوجد عند الدنكا أجار (Agar) أربع فئات من المتخصصين في علاج كل من الإنسان والحيوان أكثرهم أهمية هم اللذين برزوا في جراحة الخراريج وعلاج الجروح وتجبير العظام وقابل الماشية والقائمين بعملية خصاء الحيوانات. ومعلوماتهم التشريحية والفسيولوجية عن الماشية ممتازة كما أن معرفتهم لأمراض الماشية المعدية غزيرة، وهذه المكانة لا تورث وإنما تكتسب عن طريق السمعة والمهارة في أداء المهمات[٤٩].

الخصائص الديموجرافية:

ما من شك أن الخصائص الديموجرافية للمجتمع مؤشر حساس لمدى تكيف ذلك المجتمع لكل عناصر البيئة التي يعيش فيها، فهي تعبير صادق عن العلاقة القائمة بين الثقافة والبيئة وبيولوجيا ذلك المجتمع. وفي بيان الخصائص الديموجرافية للدنكا سوف نعتمد على نتائج دراسة روبرتس[٥٠] لقرية التير (Tir) كمثال لأحد قرى الدنكا. تمثل القرية عند الدنكا جنوب السودان الوحدة المكانية والسياسية، ومجموع القرى المتجاورة يكون قطاع من القبيلة ومجموع القطاعات تمثل قبيلة والتي تحتل أراضي متصلة ببعضها البعض. وأعضاء القبيلة الواحدة يجتمعون في حالة الحرب عند الدفاع أو النزاع مع القبائل الأخرى.

---

[48] Op. Cit, P. 16.

[49] Schwabe, C.W. and I.M. Kuojok (1981) Practices and beliefs of the traditional Dinka healer in relation to provision of modern medical and veterinary services for the southern Sudan Hum. Org. vol. 40:231-238.

[50] Roberts, D.F. (1989a) A demographic study of a Dinka village. Hum. Biol. Vol. 61:731-757.
Roberts, D.F. (1989b) Update to "A demographic study of a Dinka village. Hum. Biol. Vol. 61:758-761.

كل فرد دنكاوي يعتبر عضو في نسب ينحدر من جد أسطوري، وهذا الجد بدوره يعتبر من نسل جد آخر ينحدر من الماضي البعيد حيث يعتقدون أنه مؤسس القبيلة. وترتب الأنساب في مجموعات أدناها يسمى جول (Gol) وأكبرها تمثل القبيلة. وشكل (٢) يمثل مخطط لهذه التقسيمات كما هو قائم عند دنكا آجير (Ageir Dinka)، ويمثل الدين (Din) مجموعة من القرى المترابطة مع بعضها البعض، وكل قرية هي في الأساس محل لإقامة جول واحد أو أكثر، وفي أحيان أخرى يسكنها جزء من جول ويلعب النسق القرابي دور كبير في حياة الدنكا، فالعلاقات الشخصية للأفراد، وترتيب المنازل ونظام الزواج، وأماكن رعي الماشية والكثير من الأمور الهامة تتأثر بنمط النسب، ومن الناحية الديموجرافية، فإن أهم الوظائف التي يقوم بها نظام النسب هو تنظيم الزواج. فالزواج إغترابي حيث لا يسمح بالتزاوج من داخل الجول ويسمح به من داخل الدين والتقاسيم الأعلى على ألا يكون المشاركين في عملية الزواج وثيقي القرابة من ناحية الأم[51].

والقرية محل الدراسة هي قرية تير (Tir) وتقع حوالي مائة ميل شمال شرق مدينة مالاكال (Malakal) واحد و عشرين ميلا شمال شرق ميلوت (Melut) عند خط عرض عشر درجات وإثنان وثلاثين دقيقة شمالا وخط طول إثنان وثلاثين درجة وتسع وعشرين دقيقة شرقا. وهي قرية لدين راوان (Din Rwan) لقطاع ابويا (Wut Abuya) لقبيلة Ageir (أنظر شكل ٢) وخلال موسم المطر توفر القرية مكاناً لإقامة جولين - هما يروونج (Yirwong) وماجوار (Magwar) - والدراسة تمت في الأسبوع الثاني من يناير ١٩٥٤ قبل بداية الانتقال إلى معسكرات الماشية. في هذا الوقت كان تعداد مباني القرية مائة و تسعاً و عشرين مبنى منها خمس كانت في مرحلة البناء وإثنين تم هدمهم وتسع و عشرون مخصصون كزرائب للماشية.

مجموع قاطني القرية خلال فترة الدراسة كان ثلاثمائة و خمس و سبعين فرداً، هذا يعني أن متوسط عدد الأفراد لكل مبنى من مباني القرية هو ٣,٠٢ فرداً و متوسط عدد الأفراد لكل كوخ مخصص للمعيشة هو ٤,٤٦ فرداً. ٤٨٪ من سكان

---

[51] Seligman,C.G. and B.Z. Seligman (1932) Pagan tribes of the Nilotic Sudan. London: George Routledge & Sons, LTD. P. 175.

القرية تحت سن الخامسة عشر و تبلغ نسبه الأفراد فوق عمر الخامسة والستين أقل من ٢٪ .

(شكل ٣)، ويتكون أفراد القرية من مائة و اثنين و ثمانين ذكراً ومائة و ثلاثٍ و تسعين أنثى وهذا يعطي نسبة جنسية مقدارها ١٠٦ أنثى لكل ١٠٠ ذكر. كما بين التركيب العمري للقرية أنه هناك إتجاه عام لزيادة النسبة الجنسية مع العمر (شكل ٥). وبمقارنة النسبة الجنسية للدنكا بالنسب الجنسية للقبائل النيلية الجنوبية (كينيا ليو ١٠١,٤ ، أوغندا لانجو١٠١,٨، أوغندا أشولي١٠٢,٦) نجدها عالية إلى حد ما ولكن هذه النسبة تقع في المدى الملاحظ للجماعات الإنسانية الأخرى مثل: إنجلترا عام ١٩٥٨ كانت النسبة ١٠٨,١ و الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٠ كانت النسبه[٥٢] ١٠٩ . أما بالنسبة لإزدياد النسبة الجنسية مع تقدم العمر فهو مؤشر طبيعي للمخاطر التي يتعرض لها الذكور في حياتهم.

متوسط عمر الذكر عند الزواج هو ٢٧ عاماً وللأنثى هو ١٨ عام. هذا الاختلاف الجنسي في سن الزواج ظاهرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بعدد الأبقار المملوكة للأسرة، كما أنه هناك سلوك إجتماعي يحتم على الأسرة إتباع نظام معين في ترتيب زواج الأخوة الذكور، حيث تكون الأولوية دائما للأخ الأكبر فالأصغر. فعلى الأخ الأصغر أن ينتظر حتى يتجمع قدر كاف من الأبقار حتى يستطيع الزواج. وبالرغم من أن تعدد الزوجات مباح إلا أن الغالبية العظمى (٨٠٪) مرتبط بزوجة واحدة (شكل ٤) وتبني المجتمع لنظام تعدد الزوجات ونظام الزواج الليفيراتي - زواج الأخ من زوجات أخيه المتوفي- يعمل على تقلص الأثر السلبي لزيادة النسبة الجنسية ولكنه لا يستوعب العدد الكبير من الأرامل الذي كشف عنه التحليل (شكل ٧). فالأرامل صغيرات السن (تحت سن الأربعين) سوف يتزوجن من أخوة أزواجهن كما يقتضي النظام الاجتماعي عند الدنكا وبالتالي تكون هؤلاء الزوجات جزء من الجماعة المتناسلة مرة أخرى. و من العوامل التي قد تكون السبب في ظاهرة ارتفاع نسبة الأرامل الآتي: ١) زيادة

---

[52] Salzano, F.M. (1972) Genetic aspects of demography of American indians and eskimos. In: The strcture of human populations. G.A. Harrison and A.J. Boyce eds., London: Oxford University Press. pp. 234 -251.

النسبة الجنسية لصالح النساء. ٢) نمط الوفيات وإرتباطه بالجنس (زيادة وفيات الذكور). ٣) إنخفاض نسبة تعدد الزوجات. ٤) الإرتفاع النسبي لسن الزواج عند الذكور وانخفاضه بالنسبة للإناث. ٥) هجرة بعض رجال القرية للعمل أو الاستقرار في مكان آخر. كما لوحظ أيضا أنه خلال السنتين السابقتين على الدراسة أن تعرضت القرية لوباء الدوسنتاريا المعوية الكالا آزار **Kala azar** **(Visceral Leishmaniasis)** الذي أدى إلى زيادة معدل الوفيات في القرية خاصة بين الذكور.

ومن الخصائص الديموجرافية التي أظهرتها النتائج هي الزيادة الكبيرة في معدل الوفيات (شكل ٣) حيث هناك فقدان ثابت لحوالي ثلث الأفراد عند الانتقال من مجموعة عمريه إلى أخرى، بمعنى آخر، أنه من بين خمس وأربعين فرداً من الذين يصلون إلى سن العشرين، ثلاثون منهم فقط سوف يصلون إلى عيد ميلادهم الثلاثين ومن هؤلاء عشرون فردا فقط سوف يبلغون سن الأربعين. كما أن وفيات الأطفال عالية هي الأخرى ولكن تقع في مستوى معدلات الوفيات الملاحظة عند القبائل الأفريقية الأخرى[٥٣].

أما بالنسبة لمعدل المواليد فهو أيضاً مرتفع إذ يبلغ متوسط عدد المواليد الأحياء لكل امرأة خلال فترة خصوبتها هو ٥,١ طفل وهي نسبة ليست عالية جدا ولم تصل إلى حد القدرة البيولوجية للمرأة على الإنجاب حيث نجد أن متوسط المواليد الأحياء للمرأة في مجتمع الهيوتيريت[٥٤] **(Hutterite)** فى الولايات المتحدة الأمريكية يبلغ ١٠,٣ مولود، كما أن متوسط مواليد المرأة الدنكاوية يقترب من المتوسط الملاحظ (٦,٦) عند المجتمعات الزراعية الغير صناعية[٥٥]. وبمقارنة المرأة الدنكاوية بمثيلاتها في القبائل الأفريقية الأخرى نجد أن النسب متقاربة. كما اتضح من

---

[53] Roberts, D.F. (1989a) A demographic study of a Dinka village. Hum. Biol. Vol. 61:731-757.

[54] Henry, L. (1961) Some data on natural fertility. Eugenics Quarterly Vol. 8:81-91.

[55] Hassan, F.A. (1981) Demographic Archaeology. New York: Academic Press. P. 134.

التحليل أنـه فـي ظـل هـذا المعـدل العالـي فـي الوفيات والذي يجابهه معدل عال للمواليد هناك زيادة في عدد سكان قرية تير.

كمـا لوحظ أن القرارات السياسية وحل الخلافات يتم عن طريق الحوار بين كبار السن في القرية، فهم أكثر خبرة وحنكة ودراية وهذا يؤدي إلى أن ينتظم المجتمع ويعمل بكفاءة. ولكن النمط الديموجرافي يظهر أن هناك فرصة ضئيلة لوصول الفرد إلـى فئة كبار السن (أقل من ٢٪وق سن الخامسة والستين) لذلك كان الإهتمام بكبار السن وتبجيلهم واحترامهم من ضروريات الحياة الاجتماعية.

جدول (١) متوسط بعض القياسات الأنثروبومترية لبعض الجماعات النيلية[1]

	الدنكا	النوير	الشلك	الأنواك
إرتفاع القامة(سم)	١٨١(١٧٨)*	١٧٩ (١٧٩)*	١٧٩(١٧٧)*	١٧٧
طول الرأس(مم)	١٩٦	١٩٦	١٩٦	١٩٢
عرض الرأس(مم)	١٤٠	١٣٧	١٣٩	١٣٨
ارتفاع الوجه(مم)	—	١١٤	—	١١٠
عرض الوجه(مم)	١٣٧	١٣٤	١٣٥	١٣٥
ارتفاع الأنف(مم)	٤٦	٤٧	٤٧	٤٤
عرض الأنف(مم)	٤٢	٤١	٤٢	٤١
معامل الرأس(مم)	٧١,٧(٧٢,٧)*	٧٠,١(٧٣,٥)*	٧١,٩(٧١,٣)*	٧١,٩
معامل الوجه(مم)	— (٨٦)*	٨٥,٤(٨٣,١)*	— (٨٣,٢)*	٨١,٧
معامل الأنف(مم)	٩٠,٦(٩١,٦)*	٨٦,٩(١٠٠)*	٨٧,٩(٩٣,٣)*	٩٢

جدول (٢) المتوسط و الإنحراف العياري لارتفاع القامة و الوزن و نسبة معامل ارتفاع القامة/ الوزن[2]

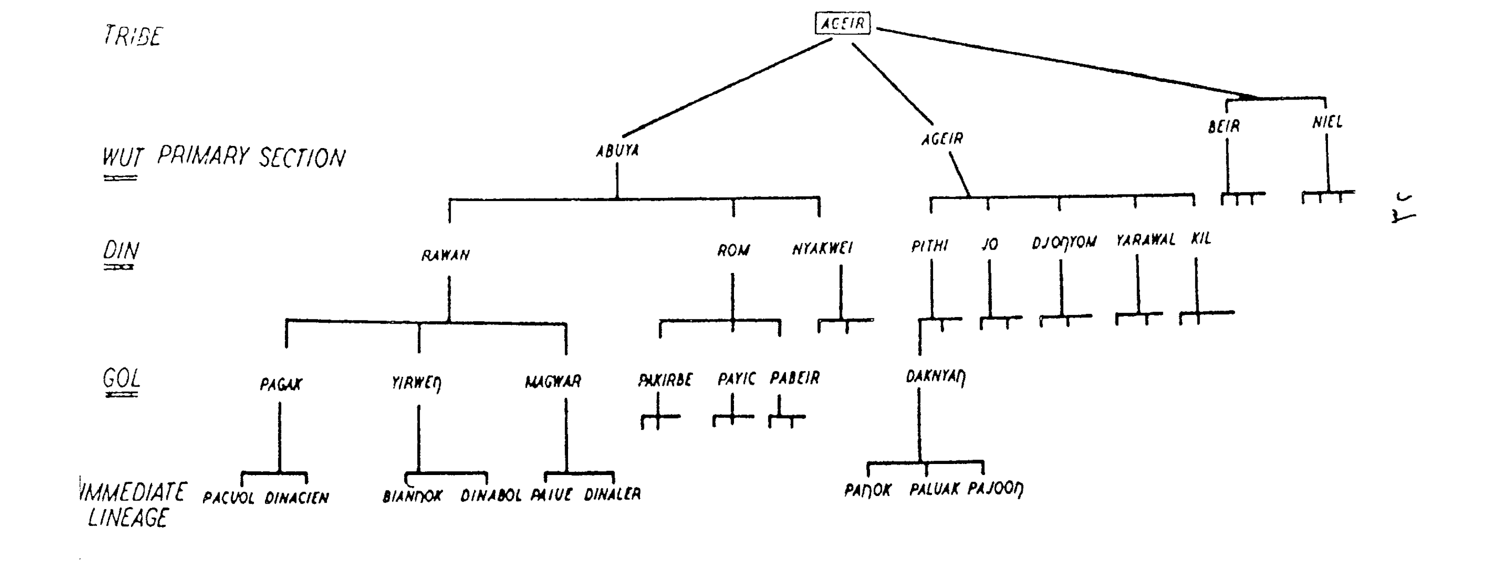
		ارتفاع القامة(بالبوصة)		الوزن (بالرطل)		ارتفاع القامة/ الوزن	
	العدد	المتوسط	الإنحراف العياري	المتوسط	الإنحراف العياري	المتوسط	الإنحراف العياري
الشلك	٤٨	٧٠,٣٤	٢,٨٥	١٢٧,٩٤	١٦,٢٢	١٤,٠	٠,٥٤
دنكا الرووينج	٢٢٧	٧١,٣٨	٢,٥١	١٢٧,٨٧	١٢,٩٢	١٤,٢	٠,٤١
دنكا أجير	٥٢	٧١,٨٨	١,٩١	١٣٠,١٠	١٣,٣٢	١٤,٢	٠,٤٤
مجموع الدنكا	٢٧٩	٧١,٤٧	٢,٤١	١٢٨,٢٩	١٣,٠٠	١٤,٢	٠,٤١

---

[1] Hiernaux, J. (1974) The people of Africa. London: Weidenfeld and Nicolson. P. 147

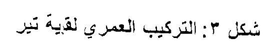
* Seligman, C. G. (1932) Pagan tribes of the Nilotic Sudan. London: George Routledge and Sons. LTD. P. 13

[2] Roberts, D.F . and Bainbridge (1963) Nilotic Physique. Am.J.Phys.Anthropol.. Vol.21:356.

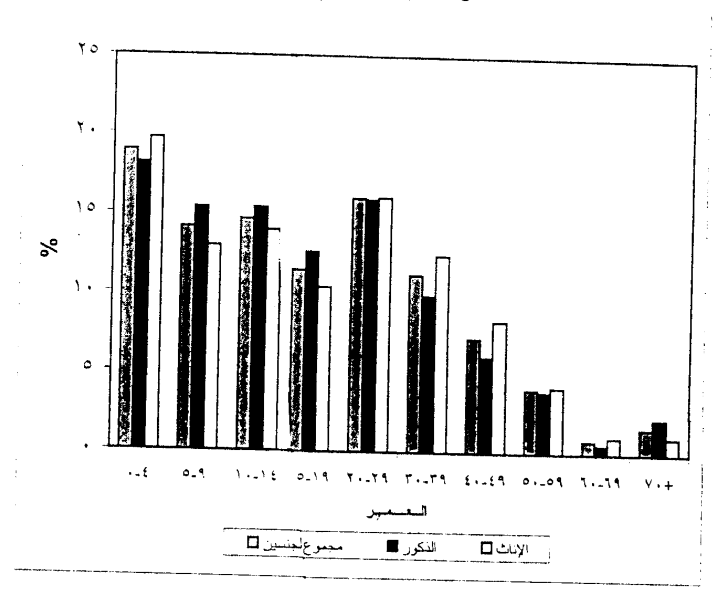


شكل(٢): الوحدات المورفولوجية المكونة لقبيلة دنكا آجير*.

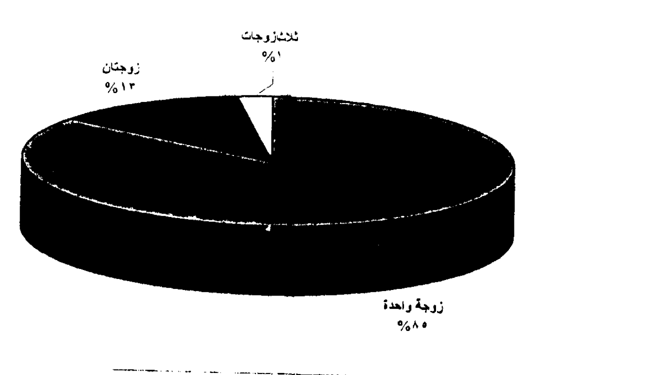
*Roberts, D.F. (1989) A demographic study of a Dinka village. Hum. Biol. Vol. 28:372



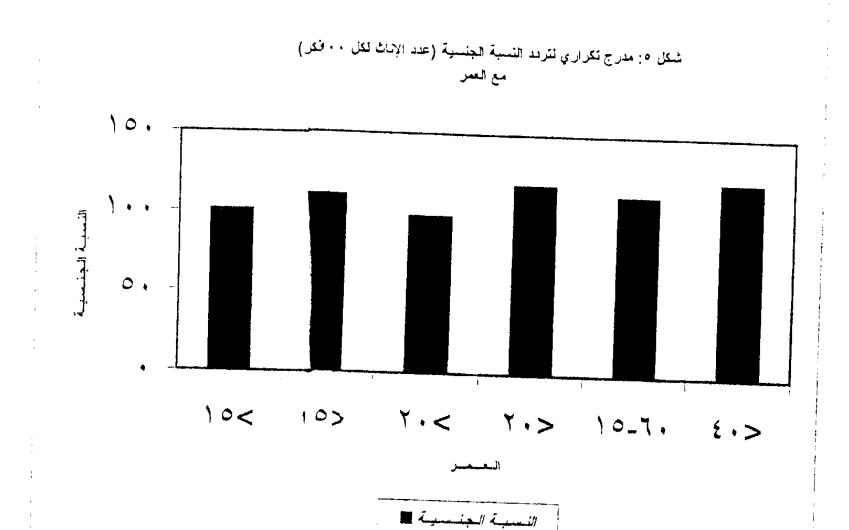
شكل ٣: التركيب العمري لقرية تير



شكل ٤ : النسبة المئوية لعدد الزوجات

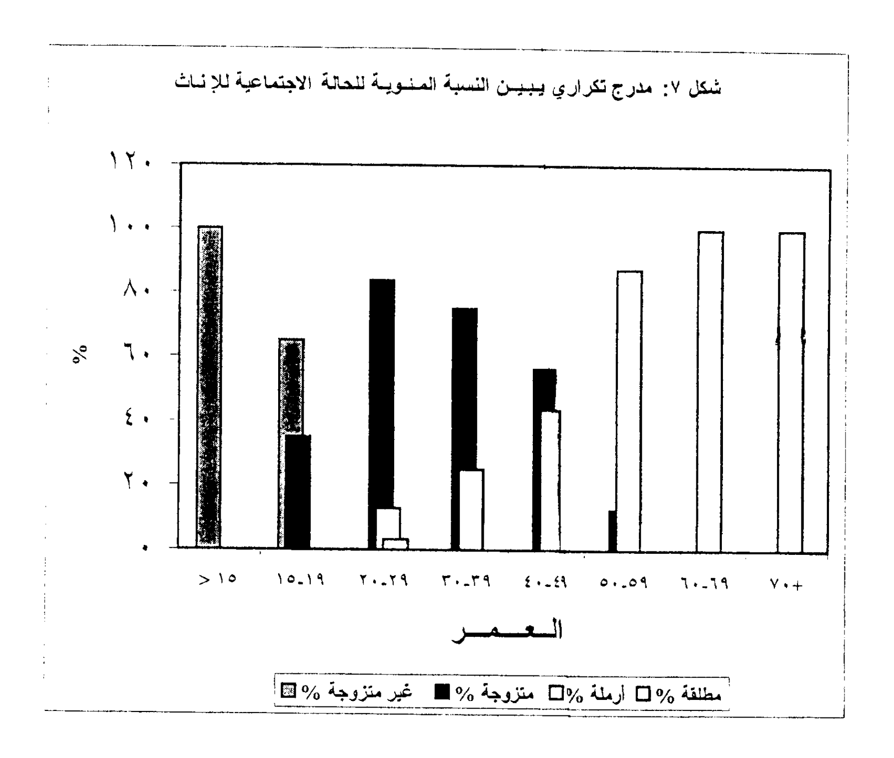


شكل ٥: مدرج تكراري لتردد النسبة الجنسية (عدد الإناث لكل ١٠٠ ذكر) مع العمر



شكل ٦: مدرج تكراري يبين النسبة المئوية للحالة الاجتماعية للذكور




شكل ٧: مدرج تكراري يبين النسبة المئوية للحالة الاجتماعية للإناث
١٢٠
١٠٠
٨٠
٦٠
٤٠
٢٠
٠
%
> ١٥
١٥-١٩
٢٠-٢٩
٣٠-٣٩
٤٠-٤٩
٥٠-٥٩
٦٠-٦٩
٧٠+
العمر
مطلقة % أرملة % متزوجة % غير متزوجة %

الخلاصــة

-

الدنكا من أكبر الشعوب النيلية الشمالية التي تعيش على مساحة كبيرة من جنوب السودان، يتميزون بالطول الفارع والنحافة المفرطة و يعد هذا تكيفاً مثالياً مع ظروف البيئة التي يعيشون فيها. وتعاني نسبة كبيرة من الدنكاويين من نقص إنزيم اللاكتيز مما يؤيد قول بعض الإخباريين بأنه يصاحب تناول اللبن بعض المتاعب المعدية التي سرعان ما تزول. بينت الدراسات السيرولوجية تجانس قبائل الدنكا والنوير والشلك بيولوجيا، مؤيدة بذلك إطلاق إسم النيليين الشماليين عليهم على أسس وراثية بيولوجية. كما أظهرت التحليلات أن جين الخلية المتجلية غير متواجد عند الدنكا. وأن هناك بعض الممارسات الثقافية لها أهميتها في منع زيادة الإصابة بمرض الملاريا، وأيضا معرفة المعالجين المتخصصين بقدر وافر من المعلومات التشريحية والفسيولوجية والأمراض المعدية عن ماشيتهم. ومن الخصائص الديموجرافية لإحدى القرى الدنكاوية أن ٤٨٪من سكان القرية تحت سن ١٥ سنة وأن أقل من ٢٪ أكبر من ٦٥ سنة، ورغم إباحة تعدد الزوجات فإن الغالبية العظمى (٨٠٪) مرتبطين بزوجة واحدة.

متوسط عمر الذكر عند الزواج هو ٢٧ سنة، و ١٨ سنة للأنثى. وهناك اتجاه لزيادة النسبة الجنسية ونسبة الأرامل مع العمر. يلاحظ أيضاً ارتفاع معدل الوفيات ومعدل المواليد ولكن هذا المستوى من المعدلات يقع في المدى الملاحظ للقبائل الإفريقية الأخرى. ورغم هذه المعدلات العالية للوفاة والمواليد إلا أنه هناك اتجاها لزيادة عدد سكان القرية.

<u>**المصادر العربية:**</u>

١- إبراهيم أحمد زرقانة (١٩٥٥) الجغرافيا البشرية لحوض النيل، القاهرة.

٢- كارلتون إس. كون و إدوارد أ. هنت (١٩٧٥) السلالات البشرية الحالية، ترجمة محمد السيد غلاب، مؤسسة الجامعة، الإسكندرية.

٣- هارولد ك. شنايدر (١٩٦٦) مقاومة الباكوت للتغير، في كتاب الثقافة الأفريقية، تحرير وليم باسكوم و ملفيل هيرسكوفتز، ترجمة عبد الملك الناشر، بيروت، المكتبة العصرية.

المصادر الإنجليزية:

1- Baker, J.R. (1974) Race, London: Oxford University Press.

2- Bayomi, R.A., N. Saha, A.S. Salih, A.E. Bakkar and G. Flatz (1981) Distribution of the lactase phenotypes in the population of the Democratic Republic of the Sudan. Hum. Genet. Vol. 57:279-281.

3- Bayomi, R.A., S.D. Flatz, W. Kuhnau and G. Flatz (1982) Beja and Nilotes: nomadic pastoralist groups in the Sudan with opposite distributions of the adult lactase phenotypes. Am. J. Phys. Anthropol. Vol. 58:173-178.

4- Beswick, S.F. (1998) Violence, ethnicity and political consolidation in south Sudan: A history of the Dinka and their relation with their neighbors. Ph. D. Thesis, Michigan State University, Michigan.

5- Butt, A. (1952) The Niloties of the Anglo-Egyptian Sudan and Uganda. In East Central Africa, part 4 of Ethnographic Survey of Africa, D. Forde ed., London: Oxford University Press.

6- Chali, D. (1995) Anthropometric measurements of the Nilotic tribes in refugee camp. Ethiop. Med. J. vol. 33:211-217.

7- Deng, F.M. (1972) The Dinka of the Sudan. New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc.

8- Domaniewska-Sobczak, K. and A.E. Mourant (1963) Blood groups and other genetical characters in Africa. J. Afr. His. Vol. 111:294-296.

9- Foy, H., A. Kondi, G.L. Tims, W. Brass and F. Bushra (1954) The variability of sickle-cell rates in the tribes of Kenya and the southern Sudan. Brit. Med. J. Vol. 1:294-297.

10- Garlick, J.P. (1962) Blood group maps of Africa. J. Afr. His. Vol. 111:297-300.

11- Glickman, M. (1972) The Nuer and the Dinka: A further note. Man, Vol. 7:587-594.

12- Hassan, F. A. (1981) Demographic Archaeology. New York: Academic Press.

13- Henry, L. (1961) Some data on natural fertility. Eugenics Quarterly Vol. 8:81-91.

14- Hiernaux, J. (1974) The people of Africa. London: Weidenfled and Nicolson.

15- Howell, P.P. (1951) Notes on the Ngork Dinka of Western Kordofan. S.N.R. Vol. 32:243-245.

16- Johnson, J.D., N. Kretchmer and F.J. Simoons (1974) Lactose malabsorption: its biology and history. Adv. Pediat. Vol. 21:197-237.

17- Kirk, R. (1950) Two epidemics of cerebrospinal meningitis. S.N.R. Vol. 31:43-53.

18- Kretchmer, N. (1972) Lactose and Lactase. Scien. Am. Vol. 227:74.

19- Livingstone, F.B. (1958) Anthropological implications of sickle cell gene distribution in west Africa. Am. Anthropol. Vol. 60:533-562.

20- McCraten, R.D. (1971) Lactase deficiency: an example of dietary evolution. Curr. Anthropol. Vol. 12:479-500.

21- Mourant, A.E. (1962) The use in anthropology of blood groups and other genetical characters. J. Afr. His. Vol. 111:291-296.

22- Newcomer, P.J. (1972) The Nuer and Dinka. Man. Vol. 7:5-11.

23- Nunn, N. (1942) A Dinka public health measure. S.N.R. Vol. 25:139-140.

24- Riches, D. (1973) The Nuer and the Dinka. Man, vol. 8:307-308.

25- Roberts, D.F. (1962) Serology and the history of the northern Nilotes. J. Afr. His. Vol. 111:301-305.

26- Roberts, D.F. (1989a) A demographic study of a Dinka village. Hum. Biol. Vol. 61:731-757.

27- Roberts, D.F. (1989b) Update to "A demographic study of a Dinka village. Hum. Biol. Vol. 61:758-761.

28- Roberts, D.F. and D. Bainbridge (1963) Nilotic Physique. Am. J. Phys. Anthropol. Vol. 21:341-370.

29- Roberts, D.F. and H. Lehmann (1955) A search for abnormal haemoglobins in some southern Sudanes peoples. Brit. Med. J. Vol. 1:519-521.

30- Roberts, D.F., E.W. Ikin and A.E. Mourant (1955) Blood groups of the northern Nilotes. Ann. Hum. Genet, vol. 20:135-154.

31- Salzano, F. M. (1972) Genetic aspects of the demography of American Indians and Eskimo. In: The structure of human populations. G.A. Harrison and A.J. Boyce eds., London: Oxford University Press. pp. 234-251.

32- Sattenspiel, L. (2000) Tropical environments, human activities and the transmission of infectious diseases. Year Book of Am. J. Phys. Anthropol. Vol. 43:3-31.

33- Schwabe, C.W. and I.M. Kuojok (1981) Practices and beleifs of the traditional Dinka healer in relation to provision of modern medical and veterinary services for the southern Sudan. Hum. Org. Vol. 40:231-238.

34- Seaman, J., A.J. Mercer and E. Sondorp (1996) The epidemic of visceral leishmaniasis in western Upper Nile, southern Sudan: course and impact from 1984 to 1994. Int. J. Epidemiol. Vol. 25:862-871.

35-Seligman, C.G. and B.Z. Seligman (1932) Pagan tribes of the Nilotic Sudan. London: George Routledge & Sons. LTD.

36- Southall, A. (1976) Nuer and Dinka are people: ecology, ethnicity and logical possibility. Man, Vol. 11;463-491.

37- Stubbs, J.M. and C.G.T. Morison (1938) The western Dinkas, their land and their agriculture. S.N.R. Vol. 21:250-265.

38- Tanner, J.M. (1978) Fetus into Man. Cambridge: Harvard University Press.

39- Titherington, G.W. (1927) The Raik Dinka of Bahr El Ghazal province. S.N.R. Vol. 10:159-209.

40- Urrutia, B. (1973) The Dinka and the Nuer. Man, Vol. 8:479.

41- Weisenfield, S. (1967) Sickle-cell trait in human biological and cultural evolution. Science, Vol. 157:1134-1140.

42-World Health Organization (1996) The world health report 1996: fighting disease, fighting development. Report of the Director-General. Geneva: WHO.

إيكلولوجية شعوب الدينكا في جنوب السودان

أ.د / فاروق عبد الجواد شويقة
أستاذ متفرغ – قسم الانثروبولوجيا – معهد البحوث والدراسات الأفريقية

كانت نظرة مصر إلى السودان بإستمرار منذ أقدم العصور أنه جزء مكمل لها ، وقـد سـاعد على ذلك وعمقه ورود مياه النيل وهى مصدر الحياة الوحيد لمصر ،من الجنوب حيث السودان ، والحقيقة أن الدينكا كانت تمثل وما زالت أهم و أكبر وأنشط قبائل وشعوب الجنوب في سودان وادى النيل.

تسمى (الدينكا Dinka) نفسها (جنج Jieng-Jenge) من كلمتين Deng- ika وهم يشغلون أوطاناً في جنوب السودان تمتد على منطقة واسعة تشغل نحو ست دوائر من درجات العرض (٦-١٢ شمالاً) حيث تمتد من بلدة الرنك على النيل الأبيض شمالاً إلى قرب حدود السودان مع أوغندا جنوباً .

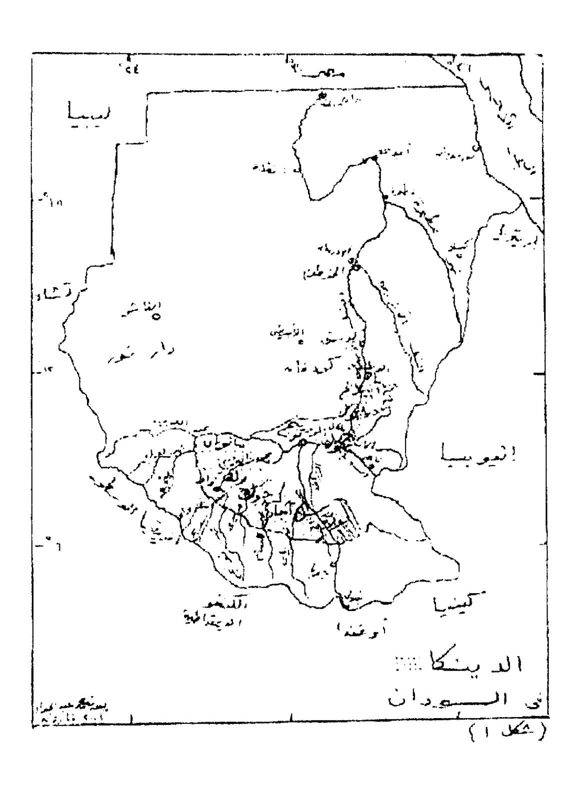
وتعد الدينكا إحدى الشعوب النيلية (Nilotes) التى تعد من عماقة أفريقيا ويعيشون فـي مـنطقة السدود (Sudd) حيث تنمو النباتات المائية نتيجة توافر حرارة الجو المرتفعة وغزارة الأمطار وفيضان مياه المجارى المائية ، ولما كان انحدار الأرض قليلاً للغاية (١: ١٥ألف) وطبيعة التربة صلصالية فقد ساعد ذلك على أنسياح المياه السـطحية وتوافـر الحشـائش الغنية العالية بغزارة حيث أصبحت مرعى طبيعياً لقطعـان الأبقـار التى تعتمد عليها الشعوب النيلية عامة والدينكا خاصة في حياتها الإجماعـية اليومـية والفصـلية والسـنوية حيـث ظهر أثرها على كافة الأنساق الأنثروبولوجيا .

وتحـيا الديـنكا علـى الأراضى المرتفعة الجافة وسط منطقة السدود التى تغمـرها مـياه النـيل الأبيض وفرعه الرئيسى بحر الغزال التى تنبع فروعه من المـرتفاعات المكونـة للحـدود المائية (خط تقسيم المياه) والحدود السياسية بين

السودان من جانب وكل من جمهورية الكنغو الديموقراطية وجمهورية أفريقيا الوسطى من جانب آخر ، هذه المنطقة المائية التى تفقد فيها كل المياه التى ترد اليها ولا يكاد يصل منها شئ إلى بحيرة نو وما بعدها حتى الخرطوم.

هذا وقد ساعدت الأحوال الإيكلوجية على أن تعتمد الدينكا فى غذائها الأساسى على الحبوب وعلى المنتجات الحيوانية (من الأبقار) ، كما أن قلة وصعوبة المواصلات كان له أثر كبير على محدودية أشياء كثيرة كان منها محدودة التعليم مما أثر على المشاركة السياسية على المستوى القومى والمحلى .

فكان هذا مدعاة للموافقة على تنفيذ مشروعات لتنمية الجنوب ،خاصة مشروعات قناة جونجلى تلك التى عند اتمام تنفيذها سوف تؤدى الى حدوث تغيرات جذرية فى حياة شعوب جنوب السودان حيث سيمكنهم الإستقرار التقدم الحضارى نتيجة أدخال أنماط زراعية وصناعية حديثة متقدمة . (شكل رقم ١)



(شكل ١)

يقصد بالجوانب الإيكولوجية الظروف المكونة للمكان الذى يحيا فيه الكائن الحى محل الإهتمام، خاصة المكونات الطبيعية تلك التى تؤثر على الكائنات الحية الــتى تحــيا فــيها ، ولا تملــك هذه الأخيرة حيالها أى تأثير إلا فى حدود ضيقة ومحدودة ، ولقد تحمل هــــذه الجوانب أخيراً التأثيرات العكسية أيضاً وهى كثيرة ودائمة وأصبحت مؤثرة مع التقــــــدم التكنولوجى .

هــذا وتشغل أوطان الدينكا Dinka في جنوب السودان منطقة واسعة تمتد على نحو ست درجات من درجات العرض (خط ٦- ١٢ شمالاً) حيث تمتد من بلـــدة الرنــــك Renk على النيل الأبيض شمالاً إلى قرب حدود السودان مع جمهورية أوغندا جنوباً حيث لا تبعد أوطانهم عن أوغندا إلا بنحو ١٢٠ ميلاً فقط ، ويشغل معظم هذه المنطقة حوض بحر الغزال الذى يعتبر أهم وأكبر أحواض روافد نهر النيل من المنابع الاستوائية .

هذا وبينما تشغل أوطان النوير NEUR داخل منطقة الدينكا فيما بين خطى عرض ٧،٣٠ْو ٩،٣٠ْ شمالاً(شكل واحد). ولعل هذا التحديد المكانى الفلكى يعد المكون الأول لعنصر موطن هذا الشعب الكبير والهام فى جنوب سودان وادى النيل وتسمى الدينكا DINKA (من كلمتين DENG KA) نفسها جنج (JENKA) JIENG ، وهم يمثلون ٤٩% من سكان جنوب السودان وهم من الشعوب العريقة فى أعالي حـــوض نهر النيل حيث تجاور أوطانهم أحواض مجرى بحر الجبل وبحر الغزال وروافدهمـــا حيث تمتد أوطانهم من الرنك الواقعة إلى الجنوب من الخرطوم بنحو ٣٠٠ ميل جنوباً إلى قرب الرجاف (بنحو ١٠٠ ميل) كما تمتد شرقاً وغرباً بحيث تغطـــى مـــنطقة الســـدود(١) كلهـــا فى كل من مديريات أعالى النيل وبحر الغزال

---

(١) Seligman C.G.& Seligmen .B.Z. :Pagan Tribes of The Nilotic Sudan p 30

(٢) **فاروق عبد الجواد شويقة :" خريطة رقمية للسلالات والشعوب فى القارة الأفريقية " فى : الموسوعة الأفريقية. مج ٤ (الأنثروبولوجيا) القاهرة . معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ٣٠٩- ٣٩٤ .**

والأسـتوائية ولا يشاركهم فى هذه المنطقة الواسعة سوى النوير والشلك وهما من القبائل النيلية مثل الدينكا أيضاً .

والجدير بالذكر أن الحدود السياسية وكذا الفواصل الأدارية في هذه المنطقة شـأنها شـأن كـل مثـيلاتها في أفريقيا كلها تقريباً – لا تمثل حدوداً ولا فواصل إثنولوجـية (شعوبية) ولا قبائلية حيث نجد أن السلالات والشعوب والقبائل تتداخل وتتعايش وتتحرك على طرفي الحدود والفواصل[٢].

هـذا وتـنحدر أراضى الدينكا من الجنوب إلى الشمال بصفة عامة بدليل جريان الأنهار والنهيرات المائية (جدول رقم ١) نحو الشمال .

جدول رقم (١)

يوضح مناسيب بعض المدن والبلدان وموقعها الفلكى

بعض مدن وبلدان موطن الدينكا		**الموقع الفلكي**		**بعض المدن والبلدان حول الموطن للمقارنة**		**الموقــع الفلكي**	
المكان	المنسوب بالمتر عن مصب فرع رشيد	خط الطول (درجة)	دائرة العرض (دقيقة)	المكان	المنسوب بالمتر عن مصب فرع رشيد	خـــــط الطول (درجة)	دائرة العرض دقيقة)
الرنك	٣٨٠	٣٢ ، ٤٧	١١ ،٤٥	**وادى حلفا**	١٢٥	٢١و٣١	
ملكال	٣٨٨	٣١ ، ٣٩	٩ ،٣٣	عطبرة	٣٢٥	٥٨و٣٣	
بور	٤١٩	٣١ ، ٣٣	٦ ،١٢	الخرطوم	٣٨٠	٣٣و٣٢	
واو	٤٣٥	٢٨ ، ٠١	٧ ،٤٢				
جوبا	٤٦٠	٣١ ،٣٦	٤ ،٥٢				

وعليه فإن منطقة السدود فى جنوب السودان تنحدر نحو الشمال ببطئ شديد (متر واحد/ فى كل ١٥ كم أى ١ : ١٥ ألف) مما أدى إلى تكون إقليم سهلى مغمور بالمياه (من مياه نيل فيكتوريا وبحر الجبل ومن مياه الأمطار الساقطة) تصل مساحته إلى ثمانية ألاف كم٢ تزداد كثيراً إذا كان موسم المطر طويل وغزير مياهه [١] فى هذه المنطقة خاصة فى أعالى روافد بحر الغزال تعيش الدينكا على الأراضى ذات الارتفاع التى يبعدها عن المستنقعات الدائمة التى يفقد بحر الغزال مياهه فلا يكاد يصل منها شيء على الإطلاق حالياً إلى الخرطوم .

---

(١) رشدى سعيد : نهر النيل ، نشأته واستخدام مياهه فى الماضى والمستقبل . القاهرة ، دار الهلال ،١٩٩٢، ص ٢٤

وتـــتكون تـــربة هذه المنطقة من رواسب بحيرية قديمة (القوز) ويقال أنها بقايا رواسب بحيرة السد المغلقة التى قال بوجودها ولكوكس وجون بول من قبل.

هذا ولا تكاد تتفاوت درجة حرارة الجو فى مناطق الدينكا طوال العام فهى مـــرتفعة بحكـــم وقوعهـــا فى المنطقة المدارية ، كما توضح ذلك درجات الحرارة (جدول رقم ٢).

جدول رقم ٢ يبين مؤشر عن درجة الحرارة في موطن الدينكا من خلال المتوسط اليومي (شهرياً ــ سنوياً) بالدرجة السيليزية (متوسط الفترة ١٩٥١ ــ ١٩٨٠)*

المحطات	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
كوستى	٦,٢٧	٢٩,٠	٣١و٨	٣٤و٨	٣٥و٥	٣٣و٨	٣٠و٩	٢٩و١	٣٠،٦	٣٢و٥	٣١،٢	٢٨،١	٣١و٢
الرنك	٢٣و٩	٢٥,٨	٢٩و١	٣١و١	٣١و٥	٢٩و٣	٢٧و٣	٢٦و٥	٢٧و١	٢٨و٢	٢٧،٤	٢٤،٧	٢٧و٧
ملكال	٢٩و٩	٣١,٣	٣٣و٣	٣٣و٦	٣١و٧	٢٩و٢	٢٧و٧	٢٧و٦	٢٨و٤	٢٩و٥	٣٠،٠	٢٩،٤	٣٠و١
بور	٢٧و٩	٢٨,٧	٢٩و٤	٢٨و٥	٢٧و٥	٢٦و٦	٢٥و٧	٢٥و٧	٢٦و٥	٢٧و١	٢٧،٥	٢٧،٦	٢٧و٤
جوبا	٢,٢٨	٢٩,٣	٣و٠	٢٨و٩	٢٧و٧	٢٦و٦	٤٥و٨	٢٥و٧	٢٦و٥	٢٧و٢	٢٧و٤	٢٧،٥	٢٧و٦
واو	٢٦و٨	٢٨و٤	٣٠و٣	٣٠،٤	٢٩،١	٢٧،٣	٢٤،٩	٢٦،١	٢٦،٩	٢٧،٥	٢٧،٥	٢٦،٦	٢٧و٧

*** Sudan Meteological Depatrtment : Climatic Normals 1951 –1980 K Rartoum ,Sudan .**

هذا ويبدو أن الرياح الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية والغربية الشمالية والشمالية الشرقية هى المسئولة عن التساقط فى منطقة الدينكا خاصة منطقة واو (جدول رقم ٣).

جدول رقم ٣ – يبين اتجاه لرياح على مدينة واو [(١)]

	شمال	شمال شرق	شرق	جنوب شرقي	جنوب	جنوب غربي	غرب	شمال غربي	سكون
يناير	٢٦,٩	١٨,٥	١٦,٣	١٦,٧	١٢,٢	١,٨	٢,٢	٥,٤	٠,٠
فبراير	٢٠,٩	١٩,٢	١٤,٧	١٤,٨	١٠,٥	٥,٦	٧,٠	٧,٣	٠,٠
مارس	١١,٦	٨,٨	١٢,١	١٤,٥	١٨,٤	١٣,٨	١٥,٢	٥,٦	٠,٠
إبريل	٥,٤	٤,٣	٨,٢	١٤,١	٢٩,٦	١٧,٦	١٦,٦	٤,٠	٠,٢
مايو	٣,٥	٢,١	٨,١	١٣,٧	٣٧,٨	١٦,٣	١٤,١	٤,٣	٠,١
يونيه	٣,٥	٢,٧	٥,٧	١٥,٦	٣٤,٤	١٦,٦	١٧,٢	٤,٣	٠,٠
يوليه	٢,٨	١,٠	٣,٠	٨,٢	٢٩,٠	١٨,٢	٣٠,٠	٧,٧	٠,٠
أغسطس	٥,٤	٣,٥	٦,٥	١٠,٥	٢٣,٣	١٧,٣	٢٤,٨	٩,٦	١,٠
سبتمبر	٨,٦	٤,٦	١١,٣	١١,٤	٣٣,٨	١١,٤	٢١,١	٧,٨	٠,٠
أكتوبر	٧,٣	٦,٠	١٢,٥	١٣,١	٢٤,٧	٨,٧	١٠,٨	٦,٩	٠,٠
نوفمبر	١٥,٦	١٧,١	١٨,٦	١٧,٠	١٨,٧	٣,٨	٣,٠	٦,٢	٠,٠
ديسمبر	٢٠,٦	٢٠,٤	٢٠,٢	١٤,٦	١٥,٣	١,١	٣,٠	٥,٧	٠,٠
المتوسط	١١,٠	٩,٠	١١,٤	١٤,٥	٢٣,١	١١,٠	١٣,٧	٦,٣	٠,٠

وتـتفاوت الأمطـار الساقطة من مكان إلى آخر حيث تصل إلى أكثر من ٤٠٠ ملليمـتر سـنوياً فـى الرنك فى الشمال بينما تجاوز الـ ١٦٠٠ ملليمتر فى أعالي بحر الغزال في الجنوب حيث ينبع من مرتفعات خط تقسيم المياة بين النيل والكنغو ، بل وتبلغ ٢٢٠٠ ملليمتر على مرتفعات الأماتونج ، هذا ويستمر موسـم التسـاقط فـى الفترة ما بين فبراير إلى نوفمبر حيث تبلغ الذروة فى شهر أغسـطس ، مع ملاحظة عظم التفاوت فى كمية الأمطار وتوزيعها وذبذبتها وعدم استقرارها من مكان إلى أخر ومن سنة إلى أخرى (جدول رقم ٤).

(١) **محمد عوض : نهر النيل ، ص ٢٣٠**

جدول رقم ٤ يبين مؤشر عن التساقط فى موطن الدنيكا من خلال المتوسط الشهرى والسنوى بالمليمتر *

المحطات	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	السنة
كوستى	صفر	صفر	٠و٢	١و٤	١٠و٦	٤٧و٨	١٠٢و٢	١١١و٢	٦٥و٠	١٠و٤	صفر	صفر	٣٤٨و٨
الرنك	صفر	صفر	٠و١	٤و٨	٢٠و٢	٥٢و٤	٨٥و٤	١٤٦و٢	٧٤و٦	٣٣و٦	صفر	صفر	٤١٨و٤
ملكال	صفر	صفر	١٦و٤	٢٩و٤	٧٦و٦	٨٩و٨	١٢٨و٨	١٨٨و٤	١١١و٤	٦٤و٢	٧و٠	صفر	٧٢٢و٠
بور	١٦و٢	٤و٦	٤٠و٠	٦٥و٠	١٢٨و٠	٧٩و٢	١٢١و٤	١٤٦و٦	١٠٥و٢	١٢٨و٨	٢٤و٤	٥و٠	٨٧٠و٤
جوبا	٨و٢	٢٠و٤	٤٠و٦	٩٨و٨	١٤٦و٨	١٢٨و٨	١١٢و٦	١٥٩و٠	١٠٧و٤	١٠٣و٤	٢٧و٢	١١و٠	٩٦٤و٠
واو	٤و٤	٨و٤	٣١و٨	٦٣و٢	٩٨و٠	١٦٤و٤	١٥٢و٠	١٨٨	١٥٢و٤	١٠٨	١٨و٨	٢و٠	٩٨٩و٦

*** مستخرج من متوسط الأرقام الفعلية عن السنوات الخمسة من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٢**
(المصدر Monthly and Annual Raisfall Tables)

وتحيا الدينكا فى المناطق المرتفعة الجافة وسط منطقة السدود التى تغمرها مـياه النيل الأبيض وفرعه الرئيسي بحر الغزال الذى ينبع من المرتفعات المكونة للحـدود المائـية (خـط تقسـيم المياه) والسياسية بين السودان وجمهورية الكنغو الديمقراطية وجمهورية أفريقيا الوسطى؛ هذه المنطقة المائية التى تفقد فيها كل المـياه الـتى تـرد إلـيها ولا يكاد يصل منها شيء إلى بحيرة نو ومن بعدها إلى الخرطوم (جدول رقم ٥).

جدول رقم (٥) يوضح قيمة تصرف بعض المجارى المائية
فى مواضع مختارة فى منطقة الدينكا[١]

الموضع	متوسط التصرف م٣/ ثانية
ملكال	٨٩٠
نو	٤٥٠
بور	٧٠٠
جونجلى	٨٠٠
منجلا	١٣٧٢

وتجمع روافد بحر الغزال المياه من خط تقسيم المياه بين حوض نهر النيل ونهر الكنغو وذلك من خلال مجموعة روافد كبيرة يصل عددها إلى ثمانية يعد من أهمها أنهار: ياى ، رهل ، مريدى ، تونج ، جور؛ خاصة الأخير الذى يمثل الرافد الوحـيد الـذى تصـل مياهه مباشرة إلى بحر الغزال فى الأراضى الواقعة شمال المستنقعات فى مشرع الرق.

هـذا ولا يكاد مجرى بحر الغزال تتضح معالمه إلا بعد نحو ٣ كم من بلدة مشرع الرق حيث يتسع المجرى ويأخذ صورة غدير عرضه كيلو مترين وطوله

(١) مستخرج من : محمد عوض محمد : نهر النيل ، مصدر سابق .

١٦ كم حيث تجرى المياه ببطئ ملحوظ رغم اقتران بحر العرب و مياه نهر جور بمياه بحر الغزال وتتهادى كلها ببطيء شديد حتى بحيرة نو.

لـــذا كانت هذه المنطقة بحث أكبر وأكثر مناطق أفريقيا خسراناً حيث تفقد فـــيها موارد طبيعية كثيرة أولها الموارد المائية وهى ليست بآخرها ، إلا إذا تدارك الإنسان الواعى الجدير بإنسانية الموقف وعمل على حل مشاكلها ومشاكله .

فى هذه البيئة المائية تنمو حشائش كثيرة أهمها البردى Papyrus وما على شـــاكلته مـــن النباتات قوية وشديدة النتح [1] ، فكانت مصادر فقدان الموارد المائية كثـــيرة مـــنها الجـــوى (الـــبخر) ومنها النباتى (النتح) ومنها الأراضى (التسرب) وغيرها.

وتعـــد بيئة جنوب السودان حيث تعيش الدينكا باعتبارها من القبائل النيلية مـــنطقة فقـــدان للمياه دائمة ، حيث تسود المستنقعات فى منطقة السدود Sudd لذا فإنها تشكو قلة الصخور والمعادن. وحيث تدفع قطعان الماشية إلى أراضى المرعى والحشـــائش؛ لذا تمثل ألبان ودماء هذه القطعان أهم مصادر غذائهم ، لذا أصبحت منـــتجاتها ومخلفاتهـــا هـــى المحور الأساسى الذى تدور حولها حياتهم الاقتصادية والسياسية بل والروحية والدينية ,كل أنساقهم الاجتماعية.

لذا يطلق على هذه المنطقة بلاد النهيرات Pays des Rivieres إذ تجرى أنهـــار صغيرة تكون الروافد الفرعية لبحر الغزال ولبحر العرب ، ويعد نهر ياى ونهر النعام ونهر مريدى ونهر تونج ونهر سويح ونهر واو أهم روافد بحر الغزال بيـــنما يعد نهر منجو ونهر لولو أهم روافد بحر العرب وهذه الأنهار كلها تنبع من مرتفعات خط تقسيم المياه (الحدود المائية) بين حوضى نهر النيل ونهر الكنغو كما سبقت الإشارة .

---

(1) Turnbull, Colin M.: Man in Africa. London, David & Chasrles, 1976, p. 62

هذا وتتشابه جميع روافد بحر الغزال فى أن مجراها الأدنى بطئ الجريان نظــراً لقلة إنحدار الأرض (حول ١/ ١٥ ألف) مما تتكون معه المستنقعات المائية الــتى تــنمو فــيها السدود وهذا يعمل على فقدان كميات كبيرة من المياه كما سبق ذكره. وفى محاولة لتجاوز الفقد الكبير لمياه بحر الجبل بدء في انشاء مشروع قناة جونجلى [١] وهى التى تربط ما بين بلدتي بور والملكال لتفادى الفاقد من الأنسياح والــبخر فى وادى بحر الجبل وحيث تعيش الدينكا وأشقائهم النوير، وهذا المشروع فــى حالة إنجازه سوف يؤدى إلى حدوث تغييرات جذرية فى حياة شعوب جنوب السودان المشار إليهما مع الشلك وغيرها أيضاً ، حيث كان سيؤدى إلى تحول أعداد غفــيرة منهم من الإعتماد على الرعى ومنتجاته وثقافتها ، إلى الزراعة ومنتجاتها وثقافتهم ثم التحول إلى الزراعة الاقتصادية النقدية التصديرية خاصة زراعة قصب الســكر والأرز وغيرها من زراعات الري غزيرة المياه ، وبذلك يتحول النيليون هناك إلى سكان مدن إنتاجية حديثة متقدمة خاصة إذا صاحب ذلك دخول صناعات مناسبة.

هــذا وينقســم جنوب السودان مناخياً ونباتياً إلى إقليمين هما : السدود فى الشــمال حيث المستنقعات وحشائش البردى والاستوائية فى الجنوب حيث الغابات وأخشــابها ومــع أن المجــارى المائية تتوغل وتتخلل الاقليمين إلا أنها فى منطقة السدود وخاصة فى المجرى الأدنى لبحر الغزال – تنساح مكونة مستنقعات صعبة الإجتــياز والمعيشة فيها بيسر ، مما جعل الحياة صعبة ومرهقة على من يحترف رعى الماشية [٢] أو من يزرع المحاصيل الغذائية أو النقدية علماً أن كلتى الحرفتين هــنا فــى هذه البيئة المدارية تعتمد على الحركة والتنقل من مكان إلى أخر و من موسم إلى آخر ومن سنة إلى أخرى.

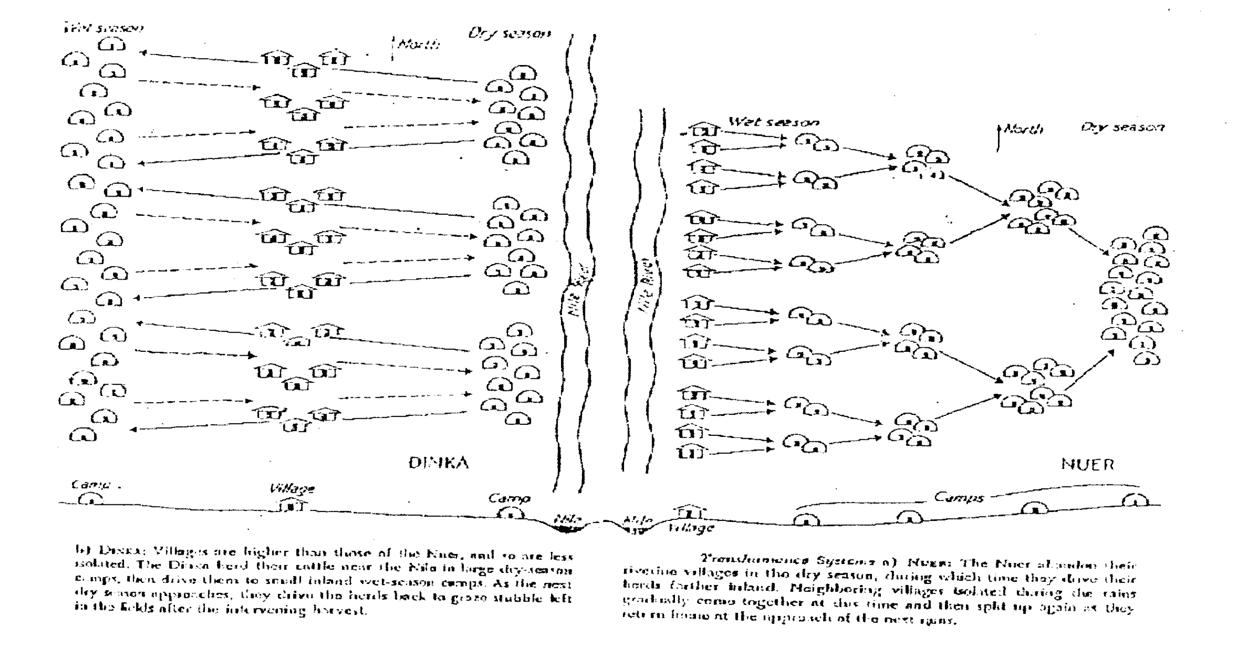
---

(١) **يرجى الرجوع لما كتب حول هذا المشروع الهام.**

(٢) قدر (١٩٥٤) عدد رؤوس الأبقار فى المديريات الجنوبية بحوالى ٢,٢٨٣,١٥٠ رأساً وعدد الضأن والماعز ٢,٥٦٢,١٠٠ رأساً (محمد على بشير: مشكلة جنوب السودان، ص ١٣).

هـــذا وتـــتأثر حركة الرعى تبعاً لموسم المطر أو موسم الجفاف حيث تقيم الدينكا قراهم على المرتفعات بعيداً عن المجارى المائية بعكس الحال عند جيرانهم الـــنوير (شكل رقم ٢) ويرجع ذلك إلى أسباب إيكولوجية تفصيلية انعكست آثارها علـــى الإنســـاق الثقافـــية و الاقتصادية فى هذه الإصقاع ذات السمات الإيكولوجية الخاصة والجدير بالذكر والإشارة أن انتشار ذبابة تسى تسى Tesi Tesi تتسبب فى نفوق أعداد كبيرة من الثروة الحيوانية، خاصة الأبقار مما يزيد المعيشة رهقاً.

وتمتد أوطان الدينكا بجوار المجارى المائية كما تبتعد منها أحياناً موغلة فى أراضى منطقة السدود، لذا كان غذائهم معتمداً على الحبوب التى يزرعونها كغذاء وللشـــرب المخمرات الشائعة عندهم ثم على لحوم صيد البحر (خاصة فرس النهر) حيـــث يستعملون الرمح العريض والسهام كما أنهم عرفوا الأسلحة النارية بأنواعها أخيراً.



Transhumance Systems a) NUER: The Nuer abandon their riverine villages in the dry season, during which time they drive their herds farther inland. Neighboring villages isolated during the rains gradually come together at this time and then split up again as they return home at the approach of the next rains.

b) DINKA: Villages are higher than those of the Nuer, and so are less isolated. The Dinka herd their cattle near the Nile in large dry-season camps, then drive them to small inland wet-season camps. As the next dry season approaches, they drive the herds back to graze stubble left in the fields after the intervening harvest.

ونظـــراً لتباعد مناطق الدينكا فقد ظهرت فيها ولهم قبائل فرعية لعل من أهمها أربع مجموعات هى:-

- دينكا الآجار وتعيش فى جنوب شرق حوض بحر الغزال.
- دينكا رق وتعيش فى شمال وشمال شرق مدينة واو.
- ديـــنكا بـــور وتعيش فيما بين مدينتى بور وجوبا وبلدتى جونجلى ويورل فى وسط حوض بحر الجبل وأعالى حوض بحر الزراف.
- ديـــنكا دونجول وفروعها وتعيش على الضفة الشرقية (اليمنى) للنيل الأبيض فيما بين الملكال والرنك.

وتخضـــع كـــل قبيلة أو بطن لطوطم معين ، وإن كان (نهيالك Nhialic الإله الأكبر عند الدينكا) مرتبط بالسحر وخاصة بطلب سقوط المطر.

ومـــن الآثـــار الإيكولوجية الواضحة فى حياة الدينكا الاجتماعية ، أن من يقوم بـــدور الساحر (شخص له قوة جسمية وروحية) جالب المطر (يوهم أفراد المجتمع بقدرته على إسقاط الماء من السماء) تكون له الحظوة والسيطرة فى المجتمع، وذلك لمـــا للمطـــر من أهمية ودور هام فى إنبات النباتات والمزروعات التى يحيا عليها أفراد المجتمع وقطعانهم من الماشية، هذا طبعاً قبل تزايد وتنوع الموارد والتي منها ظهور البترول أخيراً(١).

وهـــذا الساحر غالباً ما كان يقوم بدور الملك المقدس الذى يرشد اتباعه فى كل أمـــور حـــياتهم بما فيها الإنتاج الاقتصادى ، وكانت تستمر مكانته طوال استمرار محافظته على العطاء النافع، وعندما يعتريه الوهن سرعان ما يتخلصوا منه بصورة أو بأخرى.

وقـــد ســـاعدت الأحوال الأيكولوجية على أن تعتمد الدينكا فى غذائهم الأساسى على الحبوب وعلى المنتجات الحيوانية حيث تدور اهتمامات حياتهم حول قطعان

---

(1) Seligman , C G.: Races of Africa, p. 115.

من الماشية (الأبقار) وحركتهم معها، كما أن قلة وصعوبة وسائل المواصلات أثــر علـــى محدودية أشياء كثيرة فى حياتهم اليومية كان منها لسوء الحظ انتشار التعلـــيم رغـــم الجهـــود الكثـــيرة المبذولة ، مما أثر على محدودية وبطئ الحراك الاجتماعـــي ، وقلـــة توافـــر الكوادر المتعلمة التى يمكن أن تساهم فى المسئوليات السياسية على المستوى القومي بل والمحلى ، هذا وتمد البحيرات الأهالي بالأسماك الـــتى تعتبر مصدراً قيماً للغذاء ، وتعد حقوق صيد السمك هناك من الحقوق القبلية المتعارف عليها ، هذا ويؤكل السمك إما طازجاً وإما بعد حفظه مجففاً بعد تعرضه لأشعة الشمس ، نظراً لتزايد الإقبال على طلب هذا السمك المجفف فى بلاد الدينكا أو عـــبر الحدود فى الكنغو وأوغندا ، فقد تزايدت أعداد الأفراد العاملين فى حرفة صـــيد الأســـماك ، وهـــذا دليل واضح على التوافق الكامل مع الظروف والأحوال الإيكولوجية السائدة فى هذه المناطق المائية التى تسود فيها المستنقعات والبحيرات والمجارى المائية الكثيرة.

والمعـــتقد أنه يمكن أن تصبح هذه الثروة السمكية مصدراً من مصادر الموارد الطبيعـــية الـــتى يمكـــن أن تصدر مثلجة أو مجمدة أو مجففة إلى مناطق السودان المختلفة الأخرى وغيرها من الأقطار الخارجية ، وذلك بعد استقرار الأوضاع فى جـــنوب الســـودان خاصـــة وأن بنية خطوط النقل والمواصلات من خطوط سكك حديدية ومطارات وملاحة نهرية يمكن تحسينها(١).

ولما كانت هذه الأرجاء تعد من المناطق التى تصلح لإنتاج العديد من المنتجات الزراعـــية مـــثل الفـــول السودانى والسمسم واللحوم والجلود والأخشاب والصمغ والقطـــن والزيوت وغيرها كثيرة أيضاً ، فإنها تعد من الأقاليم الإيكولوجية الواعدة فى السودان وفى أفريقيا كلها .

هذا وتكثر سلالات وفصائل من النمل الأبيض Termites فى هذه البيئة حيث تعمل أسرابها على تنظيف التربة من بقايا النباتات والحيوانات مما يزيد من سماكة وانـــتفاخ الـــتربة خاصة فى الكنتورات (الأراضى) المرتفعة ، لذا تعمل الدينكا فى

جنوب السودان وقرنائهم من القبائل المجاورة على الاستفادة من هذا النمل الأبيض فى إعادة القوة والخصوبة للتربة حيث يغطون الأراضي بالأغصان الجافة بإرتفاع قدميـــن وبمرور بعض الوقت يحول النمل الأبيض هذه الأغصان إلى تراب حيث تتحول التربة مرة أخرى كى تصبح صالحة للزراعة[٢] .

وعلـــيه فإن الدينكا تعتمد فى معيشتها على الرعى والصيد والزراعة حيث إن ذلك جاء انعكاساً طبيعياً لمعطيات البيئة التى يحبون عليها فهى تتفاوت بين مناطق المســـتنقعات حيث نمو الحشائش التى تصلح تماماً كمرعى طبيعى لقطعان الماشية الـــبقرية الـــتى تقـــوم بـــدور مخزن الثروة والسلطة والنفوذ، بالإضافة إلى قيامها بوظائف اجتماعية عديدة هامة فى الحياة اليومية للأهالى.

كمـــا أن المجارى والمسطحات المائية وتعدد وكثرة الحيوانات الطبيعية البرية والبحرية والطيور، تمثل مصدراً طبيعياً غنياً لحرفة الصيد بمختلف أنماطها وأيضاً يقال على أراضى المرتفعات بتربتها الخصبة تعد بيئة مناسبة جداً مع مناسبة أحوال الطقس والمناخ لزراعة الحبوب والمحاصيل اللازمة للتغذية الذاتية بل إن مناسبة الظـــروف الإيكولوجية شجعت على إقامة مشروعات كبرى (مشروع الزاندى) فى بيئة مماثلة.

ولكن يقف حجر عثرة الآن القلاقل والحروب الناشئة فى هذه المناطق من جنوب السودان منذ عام ١٩٥٥ ضد الحكومة المركزية فى الخرطوم لأسباب عديدة.

---

(1) Grove , A. T. : Africa, p. 90

(2) Grove , A. T. : Africa , south of the sahara, p. 63

هذا وينتمى معظم قيادات وضباط جيش تحرير جنوب السودان إلى قبيلة الدينكا ، تلــك القبيلة التى كان لها نشاط عريق فى العمل السياسى السودانى فهذا الضابط الديــنكاوى عبد العزيز عبد الحى أحد أبطال ثورة اللواء الأبيض عام ١٩٢٤ الذى عمــل مع رفيق دربه على عبد اللطيف الضابط الدينكاوى أيضاً والذى ارتحل إلى مصــر عـــام ١٩٤٣ بعد قضاء سنوات عقابه فى سجون الاستعمار البريطانى فى السودان فأقام فى حى الروضة بالقاهرة إلى نهاية حياته ، فكرمته مصر بأن أطلقت اسمه حتى اللحظة على مدرسة على عبد اللطيف الإعدادية للبنين فى ميدان التحرير بجوار مسجد عمر مكرم بالقاهرة.

وتحــرص مصر بطبيعة الحال على إيجاد حل لمشكلة الجنوب فى السودان لذا فقــد تقدمــت مع ليبيا بمشروع مثل تلك التى تقدمت بها – مع بعض التباينات – مجموعـــة الإيجاد ، علماً بأن هاتين المبادرتين وغيرهما من المحاولات والاتفاقات الســـالفة تهــدف كلهـــا إلى تحقيق المصالحة الوطنية الشاملة فى الوطن السودانى الشـــامل ، لذا فإنها (مصر) تستقبل العديدين من أبناء الجنوب للإقامة والعمل فيها كمـــا حرصت مصر على توجيه الدعوة للدكتور جون قد نق لزيارة القاهرة حيث حضر مع وفد كبير وأقام بها خلال المدة من ٢٤ نوفمبر إلى ٥ ديسمبر عام ١٩٩٧ حيــث نشـــر عـــن هـــذه الـــزيارة تقريـــراً محرراً بمعرفة الدكتور الواثق كمير (من البجة)[1].

هــذا والحقيقة التاريخية تسجل أن الدينكا كانت أحرص الجميع على وحدة السودان وتعاونـــه الكـــامل مع مصر ، فهذا (عبد العزيز عبد الحى) الضابط الدينكاوى أحد أبطال ثورة اللواء الأبيض عام ١٩٢٤ الذى عمل مع رفيق دربه على عبد اللطيف الضابط الدينكاوى أيضاً والذى أرتحل الى مصر عام ١٩٣٤ بعد قضاء سنوات

(١) رقم الإيداع ٨٩/٨٢/٤ بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

عقابه في سجون الاستعمار البريطاني في سجون السودان ، فأقام في حي الروضة بالقاهـــرة إلـــى نهاية حياته ، فأكرمته مصر بأن أطلقت أسمه حتى اللحظة على مدرســـة (على عبد اللطيف) الإعدادية للبنين في ميدان التحرير بجوار مسجد عمر مكرم بالقاهرة .

فهل سيستمر فكر الدينكا كما كان واعياً لمصلحته ...أعتقد ذلك ، خاصة وإن في أحاديث الدكتور جون قرنق في القاهرة أثناء زيارته لها (٢٤ نوفمبر- ٥ ديسمبر ١٩٩٧) لخير دليلٍ على ذلك.

ببيلوجرافية

*Grove,A.T. & F.M.G.Klein : Rural Africa.Cambrigde, Univ.Press,1979 .

- المسألة السودانية.فى : آفاق أفريقية. القاهرة ، هيئة الأستعلامات، مج ٣ ، ع ١١ خريف ٢٠٠٢

*Seligman,C.G. and Selgmen,Brenda Z.: Pagan Tribes Of The Nilotic Sudan .London , Routledge & Kegan Peul LTD . ,1932,(1965) Tuprbull. Cain M . : Man in Africa . London . New Abbot ; David & Charles ,1976

- رشدى سعيد : نهر النيل : نشأته واستخدام مياهه فى الماضى والمستقبل . القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٩٢.

*معهد البحوث والدراسات الأفريقية .جامعةالقاهرة. حوض النيل . الندوة الدولية مارس ١٩٨٧

*Races And Peoples Contemporary Ethpic and Racial Problems Moscow , Prcgress Publiskes ,1974 .

*محمد عوض محمد : نهر النيـل . ط٤ . القاهـرة ، لجنة التأليـف والترجمـة والنشر ،١٩٥٤ .

" ندوة الدنكا " معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة ،
٦ يونيو ص ٦١: ٨٣

الدور الاجتماعي- السياسي للمرأة الدنكاوية
في المجالين الخاص و العام

The Socio-Political Role of Dinka Women In The Private and Public Domains

للدكتوره / إيمان يوسف البسطويسي

مقدمة : موضوع و أهداف البحث:

يعد هذه البحث محاولة لإلقاء الضوء علي الدور الاجتماعي- السياسي للمرأة الأفريقية في قبائل الدنكا في كل من المجالين الخاص و العام، و ذلك بدراسة و تحليل أدوار المرأة و أسلوب ممارستها لهذه الأدوار و ما يتعلق بها من مسئوليات اجتماعية و سياسية، و حقوق و واجبات يقوم المجتمع بتحديدها وفقا لثقافته و قيمه.

و بعرض و تحليل أدوار المرأة المختلفة في ضوء بعض المفاهيم الاجتماعية و السياسية الأنثروبولوجية الجديدة التي نتجت عن دخول الباحثات الأنثروبولوجيات مجال العمل الميداني، و هي مفاهيم تتعلق بالسلطة و القوة و صناعة القرار و توزيع الثروة، و التفرقة بين الدور الظاهر appearance و الواقع reality للمرأة، يتم تحديد المكانة الاجتماعية و السياسية الفعلية للمرأة الدنكاوية و التي تتعارض مع تلك الصورة السلبية للمرأة الدنكاوية كما جاءت في الدراسات القليلة التي تناولت مجتمع الدنكا. فنصيب المرأة من الثروة و أسلوبها في ممارسة أدوارها المختلفة كابنة و زوجة و أم يؤهلها لتكون طرفا مؤثرا في شبكة من العلاقات الاجتماعية و السياسية المختلفة التي تقوم بين أفراد هذا المجتمع و من ثمة عامل من عوامل تماسك أو تفكك بنائه الاجتماعي و السياسي.

والوضع الراهن للسودان سواء السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي يجعل من الدراسات الأنثروبولوجية الجديدة في شتي المجالات أمرا ضروريا، ليس فقط علي المستوي الأكاديمي بل و علي المستوي التطبيقي أيضا. فالوضع لا يسمح بالدراسة

من أجل متعة الدراسة و البحث العلمي فقط، و إنما لتسخير الخبرة العلمية للوصول إلـــي الحقـــائق و الوقائع الفعلية التي تمكن المسئولين و أولي الأمر من معرفة و إدراك الواقع و صناعة و اتخاذ القرارات المناسبة لهذا الواقع.

و بعيدا عن بعض تلك التصورات التي نسجها بعض الباحثين حول المرأة الأفريقية في المجتمعات القبلية الرعوية و التي طالما أخذنا بها كأمر مسلم به غير قـــابل للتغيـــير، فـــإن دراسة المرأة في الدنكا و تحليل شبكة العلاقات الاجتماعية السياســـية socio- political network فـــي ضوء المفاهيم الجديدة التي تبنتها الدراســـات الأنثروبولوجـــيا الحديثة يكشف عن واقع هذه المرأة التي هي نصف مجـــتمع الدنكـــا، ليـــتم رسم و تطبيق السياسات الاجتماعية و السياسية و الثقافية الملائمة له.

محـــاور البحث : يتم مناقشة القضايا المطروحة في هذا البحث من خلال المحاور الآتية:

المحور الأول: صورة المرأة الأفريقية في المجتمعات القبلية في الدراسات الأنثروبولوجية .

المحور الثاني: المجال الخاص و العام لمجتمع الدنكا، و قنوات الاتصال .

بيـــنها مـــن خـــلال دراســـة و تحليل أنماط و أشكال الزواج القائمة في هذا المجتمع، كما يتم مناقشة قيمة المرأة كعامل رئيسي من عوامل التماسك الاجتماعي السياسي لمجتمع الدنكا متمثلا في دورها في التنشئة الاجتماعية السياسية socio- political socialization، بالإضافة إلي تتبع قيمة المرأة كما جاءت في أساطير و معتقدات الدنكا.

المحور الثالث : قنوات توزيع الثروة بين أعضاء مجتمع الدنكا و نصيب المرأة منها

- المحـــور الأول :صورة المرأة الأفريقية في المجتمعات القبلية في الدراسات الأنثروبولوجية:

في ضوء الثقافة الأبوية السائدة التي تقوم كل من الذكورة و الأنوثة لم تهتم الدراســـات الأنثروبولوجية التي أجريت علي المجتمعات القبلية الرعوية الأفريقية

الاهتمام الكافي بتفسير و تقويم أدوار المرأة، بل و لم تتفهم أساليب و وسائل المرأة فـي أدائهـا لـلأدوار التـي حددها لها المجتمع، فكان أن اتهمت المرأة في هذه المجتمعات بالضعف و السلبية و التبعية، خاصة فيما يتعلق بالمجال الاقتصادي و السياسـي و ممارسـة القـوة و صناعة القرار، فتري Nelson " أن المرأة في المجتمعات القبلية في الشرق الأوسط ليست بهذا الضعف الذي صورته لنا الكتابات الأنثروبولوجـية التقليدية، فواقع هذه المجتمعات يؤكد مدي قصور إدراك الباحثين لمفهـوم القوة و السلطة، و من ثم عدم تفهمهم لوضع المرأة الحقيقي في مجتمعات الشـرق الأوسـط." (١) و قد كانت هناك عدة عوامل مجتمعة ساعدت علي تأصيل هذه الصورة للمرأة في الدراسات الأنثروبولوجية، منها:

١) **جنس الباحث و علاقته باختيار الموضوعات البحثية :**

جـاء تفسير و تقويم أدوار المرأة و مكانتها في المجتمعات القبلية الأفريقـية في الغالب تعبيرا عن وجهة نظر الباحثين من الرجال، فقد تأخر دخـول المرأة الباحثة مجال العمل الميداني، فهي و إن كانت باحثة إلا أنها تخضع بدورها للثقافة السائدة في عالم يميز بين الرجال و النساء، و لا يسمح للمرأة فيه بحرية الحركة و الانتقال إلي المجتمعات المختلفة للقيام بالدراسات الميدانـية، ممـا أثـر علي اختيار الموضوعات و المجالات البحثية. فمن الطبيعـي أن تتعدد و تتنوع و تتجدد الاهتمامات و الآراء في وجود باحثين مـن الـرجال و النسـاء، و هذا ما حدث عندما دخلت المرأة مجال العمل الميدانـي فـي علـم الأنثروبولوجـيا اسـتجابة لحركات تحرير المرأة Emancipation of women بعد الحرب العالمية الثانية. كما كان لظهور نظـرية Feminism التـي تـنادي "بالمساواة بين الجنسين اجتماعيا و اقتصـاديا و سياسـيا فـي ضوء العدالة الاجتماعية التي تؤمن بالمساواة و الحـرية،" (٢) و نشـأة فرع جديد للأنثروبولوجيا Anthropology of Women أثره في الاهتمام بالدراسات التي تتعلق بوضع و مكانة المرأة في المجتمعات المختلفة.

٢) **ثقافة الباحث:**

و التـــي كان لها أثرها علي كثير من النتائج التي توصل إليها العلماء من الـــرجال فـــيما يـــتعلق بمكانة المرأة في المجتمعات القبلية و من الملكية العامة و الخاصة. و قد تنبه **EVANS- PRITCHARD** إلي هذه الحقيقة في مقالته الشهيرة التي قارن فيها بين وضع كل من المرأة الغربية و "المرأة البدائية"، و توصل إلي " أنـــه من الصعب إن لم يكن مستحيلا أن يخضع تقويم وضع المرأة في أي مجتمع مـــن المجتمعات البدائية للموضوعية، لأن أي حكم في نهاية الأمر إنما يصدر من واقـــع آرائنا و ممارستنا. و بدون الدراسة الممتدة يكون الحكم سطحيا إذ أنه يستند إلي حكمنا علي بعض المظاهر بأنها غريبة بدلا من استنادنا إلي الوقائع الاجتماعية التـــي وراء هذه المظاهر... ."(٣) و بعد مرور عشرين عاما علي هذه المحاضرة (ألقيت المحاضرة في عام ١٩٥٥، ثم نشرت كمقالة عام ١٩٦٥) والتي أدلي فيها Evans- Pritchard بـــرأيه هـــذا، جاءت Nelson لتؤكد هذا المعني حين رأت "أن المـــادة العلمـــية التـــي يقوم الباحث الإثنوجرافي بجمعها هي نتيجة تفاعله مع الموقف **Interactive situation** الذي هو أحد أطرافه... فما هي المعايير التي يتم في ضوئها انتقاء تلك المعلومات التي تمدنا بالصورة الحقيقية لهذا المجتمع". (٤)

٣) **ثقافة المجتمعات الرعوية:**

كـــان لثقافة المجتمعات القبلية الإفريقية دورها في عدم تمكين الباحثين من الـــرجال من جمع المعلومات المتعلقة بالنساء من النساء أنفسهن، بالإضافة إلي ما تثـــيره البحوث المتعلقة بالمرأة من شك الأهالي أنفسهم. و لذلك فإن معظم ما جاء مـــن معلومـــات عـــن المرأة في هذه المجتمعات في الدراسات الإثنوجرافية كان مصدرها الرجال الذين قد لا يعرفون الكثير مما يدور في عالم النساء، كما أنهم قد يخجلون من مناقشة الأمور الخاصة بهن. و بالرغم من أن الباحث الأنثروبولوجي Yok مـــن قبائل الدنكا إلا أنه قد واجه كثير من المتاعب و الصعوبات عند قيامه بدراسة أثر الحروب علي الصحة الإنجابية في جنوب السودان، فيقول:

" إن كوني باحثا أنثروبولوجيا يتحدث مع نساء الدنكا في موضوعات تتعلق بالخصــوبة و العقم و الولادة و الحياة الجنسية و الصحة الإنجابية لم تكن بالمهمة اليسيرة علي الإطلاق....بالإضافة إلي الصعوبة الأخرى التي كان علــي مواجهتها و هي خاصة بثقافة الدنكا، حيث يمنع الشباب من الذكور من الاقتراب من نساء العشائر الأخرى المتزوجات لغياب علاقة الدم..."(٥)

* المحور الثاني: المجال الخاص و العام لمجتمع الدنكا، و قنوات الاتصال بينها:

داوم علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية و السياسية المهتمون بالمجتمعات القبلية الأفريقية علي تقسيم هذه المجتمعات إلي مجالين منفصلين، اختص كل من الرجال و النساء بمجال منهما، فالمجال الخاص private sphere هو المجال الخاص بالمرأة و ينحصــــر في الدائرة المنزلية و ما يرتبط بها من أنشطة تقليدية مرتبطة بالمرأة في كـــل المجـــتمعات البشـــرية مثل تربية الأطفال و القيام بالأعمال المنزلية الخ... أما المجال العام public sphere فهو المجال المرتبط بالرجل و من ثمة بكل ما يتعلق بالأنشـــطة الاقتصـــادية و السياسية و الدينية أي بكل ما يتعلق بالحياة العامة. و اتفق علماء الأنثروبولوجيا علي وجود هذين المجالين كسمة عامة في المجتمعات الإنسانية، فكـــان لابد من تحديد عدة محاور يتم في ضوئها دراسة المجال الخاص و العام لأي مجـــتمع، و حيث أن البحث المقدم يتعلق بمجتمع قبلي رعوي هو مجتمع الدنكا، فإن التركيز سوف يكون بالدرجة الأولي علي تلك المحاور المتعلقة بمثل هذه المجتمعات.

١) **حدود و درجات الفصل و التقارب بين كل من المجالين:**

كمـــا اتفـــق علمـــاء الأنثروبولوجـــيا الاجتماعـــية و السياسية المهتمون بالمجتمعات القبلية علي وجود المجالين العام و الخاص، فإنهم قد اتفقوا أيضا علي أن وجـــود حـــدود و درجـــات انفصال أو اتصال بين كل من هذين المجالين، و التأثـــير المتبادل و التفاعل بينهما، هو ما ينتج تلك الخصوصية الثقافية التي تختلف فـــي جزئـــياتها و تفصـــيلاتها من مجتمع إلي أخر. و تتبنى هذه الدراسة الاتجاه الأنثروبولوجي الذي يعتبر المجال الخاص بالمرأة مجال مساو و مكمل للمجال العام و لـــيس أدني أو أقل منه و إن كان أسلوب هذا التكامل يختلف من مجتمع إلي آخر

طـبقا لاخـتلاف الـثقافات السائد.[٦] و اعتبار المرأة في المجال الخاص مصدرا للسلطة و القوة، اتجاه أخذ به العلماء المحدثون من أمثال Lewando- Hundt, Azmon, Nelson and Lopata و الذيـن اهـتموا بدراسـة التنظيم السياسي الرسمي Formal political organization للمجتمعات القبلية، فإذا كان المجال العام المرتبط بالرجل هو المجال الرسمي Formal Sphere للتنظيم السياسي فإن المجـال الخاص المرتبط بالمرأة يعتبر المجال غير الرسمي Informal Sphere المكمل للتنظيم السياسي. فالمجال المنزلي و الأسرة هم أصغر وحدات البناء القبلي. فتقول Hundt " أن عالم المرأة Female world لا يقتصر علي الأمور المنزلية و العائلية فقط، و إنما يحمل في طياته الأبعاد السياسية".[٧]

و دورة حياة المرأة الدنكاوية و التي تمارس من خلالها أدوارها المتعددة قد ترتـبط بالمجـال الخـاص، و لكن يمكن اعتبارها من الأدوار التي ينطبق عليها التصنيف الذي قالت به Oppong " بأن أدوار المرأة يجب النظر إليها كمجموعة أو كمركـب حيـث أن كـل دور مـن أدوارهـا هو في الحقيقة مصدر لمكانتها الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية".[٨] و من ثمة فإنه من الصعب أن يتم حصر أدوار المـرأة الدنكاويـة فـي إطـار المجال الخاص فقط، و تجاهل ذلك الامتداد الطبيعي لهذه الأدوار للمجال العام يؤثر فيه و يتأثر به من خلال تلك القنوات التي طوعـتها المرأة بشكل كبير لخدمتها و تحقيق أهدافها، خاصة و أن مجتمعها ينظر إليها باعتبارها قيمة تحمل في طياتها استمراريته و بقائه. و لذلك يمكن القول بأن لكل دور من أدوار المرأة الخاصة ملامحه العامة المتصلة بالمجال العام.

٢) <u>الجوانب العامة للمجال الخاص المرتبط بالمرأة في الدنكا:</u>

تخضع المرأة الدنكاوية للثقافة السائدة في كل المجتمعات الإنسانية التي تلزم المرأة بمجموعة من الأدوار ينبثق عنها بعض المهام و المسئوليات التي تدور حول رعاية أفـراد الأسرة و العمل علي إعداد الصغار منهم إعدادا جيدا، فبهم يمتد المجتمع و يحيا. حتى و أن اختلف مفهوم و أسلوب القيام بهذه الأدوار. و بتحليل بعض أدوار دورة حـياة المرأة المرتبطة بالمجال الخاص في مجتمع الدنكا نجد أن كلا من هذه

الأدوار يرتـــبط بطريق مباشر و غير مباشر بالمجال العام مما ينفي اقتصار قوة و نفـــوذ المرأة علي المجال الخاص دون المجال العام، خاصة إذا ما حللنا ارتباطها بالثروة التقليدية لمجتمع الدنكا و هي الأبقار. فما هي أدوار الزوجة و الأم الدنكاوية و كـــيف تســـتطيع من خلال ممارستها لهذه الأدوار في المجال الخاص أن تمدها لتشـــمل المجـــال العام. و كيف تؤثر هذا علي التماسك الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي لمجتمع الدنكا.

٣) **الزوجة و الأم الدنكاوية :**

عليها أن تعد الطعام لأفراد الأسرة و أن تعمل علي توفير الإمداد الغذائي طـــوال العام و الذي يعتمد أساسا علي الألبان و البقول و الذرة و السمسم و الفول الســـوداني، كما عليها القيام بأعمال النظافة و رعاية و تربية و تنشئة الأطفال ثم العمل علي تطويعهم اجتماعيا و ثقافيا و تزويدهم بقيم و عادات و تقاليد الأسلاف ليصـــبحوا أعضاء نافعين لمجتمعهم في كل من المجالين ... إلي آخر ما تقوم به المرأة من المهام التي تتعلق بأفراد الأسرة أو بالمهام المنزلية و التي يطلق عليها العلماء "أعمال غير مدفوعة الأجر" unpaid labor.

و حيث أن المرأة الدنكاوية تعيش في ظل ظروف طبيعية و بيئية خاصة تتمثل في موســـمي الجفاف و الأمطار، مثلها في ذلك مثل بقية أعضاء القبيلة، فإنها تخضع لنظام الاقتصاد المعيشي الذي لا يعتمد علي مصدر أو نشاط اقتصادي واحد فقط، و إنما علي مصادر و أنشطة متعددة تكفل في مجموعها الحد الأدنى من الاحتياجات المعيشـــية لأفراد القبيلة. و تمارس المرأة هذه الأنشطة في ضوء تقسيم العمل طبقا للجـــنس و العمـــر Division of labor in terms of sex and age و الذي يخضع بدوره لثقافة و قيم مجتمع الدنكا. فالمرأة الدنكاوية تسهم في تربية الحيوانات و مـــنها الأبقـــار، بالإضـــافة إلي الزراعة و صيد الأسماك. و بالرغم من أن هذه الأنشـــطة ترتـــبط بالدرجـــة الأولي بتوفير الغذاء و من ثمة بالمجال المنزلي أي بالمجـــال الخاص إلا أن أماكن ممارستها تتعدى حدود النطاق المنزلي إلي المجال العـــام المرتبط بالرجل. و تبرز مرونة اتصال كل من المجالين في بعض الظروف

الخاصة، مثل ظروف الحرب التي سادت المنطقة منذ عام ١٩٨٣، فيذكر Girma أن "عـند غياب أفراد الأسرة من الرجال عن منازلهم بسبب اشتراكهم في الحرب تزايد العبء علي المرأة فكان عليها في ظل هذه الظروف القاسية التي فقدت فيها قبيلة الدنكا أبقارها التي تلعب دورا حيويا، اجتماعيا كان أو اقتصاديا، بالإضافة إلي مصـرع عشرات الآلاف من أفرادها ، أن تهتم ليس فقط بتوفير الغذاء و الماء و الوقـود و لكـن أيضـا بـرعاية و حمايـة الأطفـال و المسـنين". [٩] و فـي ضوء ما سبق يتضح لنا بعض الجوانب العامة للمجال الخاص المرتبط بالمرأة في مجتمع الدنكا و التي تعمل من خلال تلك القنوات الشرعية التي سبق و أن حددهـا المجتمع. و لكن قيمة و مكانة المرأة الدنكاوية و خاصة الأم ذات أبعاد تـتعدى حـدود كل من المجالين لتشمل الجانب العقائدي الذي هو قلب و روح أي مجـتمع، في ضوء ما يتضمنه من قيم ترشد الإنسان إلي السلوكيات المناسبة التي تحـدد و تحكـم علاقـته بنفسه و بالآخرين و الطبيعة و القوي الغيبية العليا. أما الأسطورة في مجتمع الدنكا فتحتوي علي كثير الدلالات و الرموز التي تدور حول قـيمة الأمومة و ارتباطها بالخصوبة التي هي قيمة أخرى من قيم مجتمع الدنكا. و من خلال عرض و تحليل هذه القيم تتأكد قيمة المرأة الأم في مجتمع الدنكا

٤) قيمة الأمومة و الخصوبة في معتقدات و أساطير الدنكا :

تعتـبر "الخصوبة" من أهم القيم التي يقوم عليها مجتمع الدنكا، فهي القيمة الوحيدة التي تساعد علي استمرارية وجوده. و بالرغم من أن وجود الأطفال يرتبط ارتباطا حتميا و ضروريا بخصوبة كل من الرجل و المرأة، إلا أن المعتقد الديني و المـوروث الثقافي للدنكا يري أن هذه القيمة ترتبط بالمرأة في المقام الأول و لذلك نجـد أن أسـاطير الدنكا تشير إلي "وجود علاقة وثيقة بين المرأة و الأنهار كرمز للحياة و للخير و العطاء. فالقوة الروحية spiritual power المانحة للحياة *(ring)* قد اكتسبت هذه المقدرة في الأصل كنتيجة لعلاقتها بامرأة علي ضفة النهر، و لذلك نجـد أن معظم الأنهار و البحيرات تحمل أسماء نسائية في المقطع الأول من الاسم prefix . أما القمر فهو مؤنث و يرتبط بالمرأة لأنه مثلها يحمل الذرية offspring

. و كما يحسب الخالق الشهور ليأتي بالأمطار، كذلك تحسب المرأة مواعيد الدورة الشهرية بدورة القمر لتنجب الأطفال، رمز البقاء و الاستمرارية ".(١٠)

و قد يري البعض أن هناك تناقضاً بين ما تتضمنه الأساطير من علو مكانة و قـيمة المـرأة و بيـن العـادات السائدة عند الدنكا بتحريم المرأة من القيام ببعض الأعمال أثناء الدورة الشهرية مثلا. و قد أرجع الدارسون هذا إلي دنو مكانة المرأة، أما Burton فله تفسير أخر يؤكد قيمة الخصوبة المرتبطة بالمرأة كما جاءت في الأسـاطير، " ففي المجتمعات النيلية، كما يقول، تكون القوة الخلاقة التي تتمتع بها المرأة دلالة سلبية negative connotation ، فظهور الدورة يمنع وجود حياة كان يمكـن لهـا أن تتحقق، مما يعني الموت، و لذلك تمنع المرأة أثناء الدورة من أن تحلـب الأبقـار".(١١) حتي لا تحجب فيض العطاء المتمثل في لبن هذه الأبقار عن المنتفعين به. و هذا يعكس نظرة أهالي الدنكا إلي المرأة علي أنها مصدر الخصوبة و السـبب الرئيسي في استمرار وجود القبيلة، و أن توقفها عن بعض الأعمال في ظـروف شهرية معينة إنما يرجع إلي تعطل طاقتها و قدراتها الإنجابية المانحة للحياة تعطلا وقتيا قد يمتد أثره ليوقف منابع الخير. و ليس في هذا ما يقلل من قيمة المرأة أو مكانتها.

و " الحـياة " عـند الدنكـا ليست مؤكدة و إنما هي أمل. و كذلك خصوبة المرأة، متغـيرة و لا يمكن التنبؤ بها، و لذلك فإن الطفل الوليد هبة (*buol*) من الخالق و ليس نتاجا بشريا".(١٢) و لذلك يتم ربط الحياة بالخصوبة. فالخصوبة تجعل من هبة الطفل أمرا ممكنا، فهي روح سكنت في جسد عن طريق التزاوج.

و يري أهل الدنكا " أن الأب يقف علي قمة تدرج السلطة الروحية في هذا العالم لأنه ممثل للإله و الأسلاف.و بالرغم من أن كل من الأبوين هما في الحقيقة شـريكان في عملية الخلق، إلا أن القيم المرتبطة بتواصل الأسلاف تعلي من شأن الأب، بينما يكون دور المرأة دورا محوريا من المنظور القيمي لأهل الدنكا، ليس فقط لأنها المصدر الرئيسي للثروة، و ذلك عن طريق الزواج، و لكن لأن المجتمع يعتمد عليها في رعاية الأطفال و تلقينهم القيم التي قام عليها مجتمعهم. و ذلك بحكم تلك العلاقة الخاصة التي تقوم بين الأم و الطفل خلال سنوات عمره الأولي و التي

يمـــتد تأثيرها إلي ما بعد ذلك، حتى أن المرء في الدنكا يعتبر يتيما عند فقده لأمه، حـــتى و إن كان زوجا و أبا لعدد من الأولاد. و ينطبق هذا علي المرأة أيضا عند فقدهـــا لأمهـــا".(١٣) و تماشيا مع تلك الثنائية التي تصبغ ثقافة مجتمع الدنكا و التي تهدف إلي تكامل أدوار كل من المرأة والرجل، ميز مجتمع الدنكا بين نوعين من الحب البنوي filial love :

* الـــنوع الأول هو حب الأم love for the mother و يرتبط بالقلب أو هـــو وظـــيفة القلب function of the heart و يدركه و يشعر به كل طفل و في نفـــس الوقـــت لا يسمح المجتمع بإظهاره أو الإفراط في التعبير عنه، حيث يعتبر حينئذ فعل مناف للذوق العام.

* الـــنوع الثاني هو حب الأب love for the father و يرتبط بالعقل أو هو وظيفة العقل، و يجب العمل علي زرع و تنمية هذا النوع من الحب في الطفل، و لا حرج من إظهاره.(١٤)

٥) دور المرأة الأم في التنشئة الاجتماعية – السياسية:

مما سبق يتضح لنا أن الطفل في الدنكا قيمة كبيرة تعمل الأم علي تأكيدها و تأصيلها عن طريق أسلوب الرعاية و نظام التنشئة الاجتماعية socialization institution القائم في هذا المجتمع. و يفرح الأهل بقدوم المولود الجديد ذكرا كان أم أنثـــي. و لا عجب في الترحيب بقدوم المولودة الأنثى في هذا المجتمع الأبوي، فهـــي نـــبع للخـــير و مصدر للثروة التقليدية من الأبقار. و تقوم المرأة الدنكاوية بإرضـــاع طفلهـــا لمدة سنتين أو ثلاث ، تتفرغ خلالها لطفلها فقط و ترعاه رعاية كاملـــة، و لا يسمح أثناءها بقيام أية علاقة زوجية، لأن هذه العلاقة في تلك الفترة تكون من المحرمات Taboo و انتهاكها يتسبب في تلوث روحي يجلب المرض و ربما الموت، ليس فقط لهذا الرضيع و لكن لكل أقرانه في الجوار.

و عـــندما يتم فطام الطفل خاصة إذا كان الطفل الأول يرسل بعد ذلك إلي أهل الأم لتجديد العلاقات و الروابط، فمجتمع الدنكا يعتبر العلاقة بين الطفل و جده لأمه و كذلك أخواله علاقة ذات طبيعة خاصة. و ينطبق هذا علي كل الأطفال سواء

مــن الذكــور أو الإناث. و يعتقد أهل الدنكا أن أبا الأم و إخوانها لهم قوة فريدة مؤثــرة يســتطيعون بمقتضاها إحلال البركة أو اللعنة مما يؤثر تأثيرا قويا علي تشكيل ضمير و وجدان الطفل .

و العمــل علي توجيه الطفل نحو تقدير أهل أمه تقديرا خاصا و مميزا لا يقصــد به التحول عن عائلة الأب، و إنما العكس هو الصحيح، فأهل الأم يدركون تمام الإدراك أن مكانة الطفل و وضعه يرتبط و يعتمد علي ما يحققه من إنجازات في عائلة أبيه و قدرته علي تحقيق مصالح قومه. فعائلة الأم تدعمه ماديا و معنويا لــيحقق النجاح المنشود في عائلة الأب و بذلك يمثل عائلة أمه خير تمثيل. [١٥] و عــندما يشب قليلا يرسله أخواله ليرعى قطعان أبقارهم، و قد يمكث في هذا العمل عدة سنوات دون أن يتأثر وضعه أو تهتز مكانته في عائلة أبيه، بل عائلة الأب في هذه الحالة تحتفظ له بمركزه حتى ينتقل إليها. و عندما يبلغ سن الزواج تشترك كل من عائلتي الأب و الأم في مسئولية اختيار الزوجة المناسبة له.[١٦]

أما أخوات الأب أي العمات فلهن دور أيضا في تربية ابنة الأخ خاصة في أثناء فترة البلوغ، فطبقا للتقاليد تقوم الأم بإرسال الابنة إلي العمة لبضعة أيام تتزود خلالها بالمعلومات و النصائح الخاصة بهذه الفترة من عمرها.[١٧] و " الطفل الذكر يوجه إلي التشبه بالأب و رجال العائلة عن طريق العمل علي تقوية إحساســه بالرجولة، أما الطفلة الأنثى فتطول مدة ارتباطها بالأم، فالأم مسئولة عن تنمــية مــدارك ابنــتها و تزويدها بالخبرة و المعرفة اللازمة عن الحياة و النجاح المنتظر تحقيقه عند الزواج و إنجاب الأطفال و إدارة الشئون المنزلية. و تلام الأم عند فشل الابنة في زواجها".[١٨] كما "تقوم الأم بتوجيه الابن المتزوج حديثا توجيها مباشرا إذا واجه أية مشكلة شخصية".[١٩]

و قبل الزواج و عند البلوغ يخضع الأولاد لنظام طبقة العمر age sets أو *riec* كمــا يطلــق عليها الأهالي و التي تعني انتهاء مرحلة الطفولة و بدأ مرحلة النضــج adulthood أو *gar nhom* ، و ذلك في سن الثالثة عشر. و ينتمي كل الأولاد الذيــن تم تكريسهم initiation معا إلي طبقة عمر واحدة بكل ما ترتبط به مــن مسئوليات و التزامات تجاه بعضهم البعض، و تجاه مجتمعهم. و يتم التكريس

فـــي احتفال كبير وفقا لطقوس معينة يتم أثناءها خدش الجبهة بسكين. و يسمي منذ ذلـــك الحيـــن *apuochrakpuol* ، أي أنه رجل الآن و لذلك يحرم عليـــه حلب الأبقار و القيام بدلا من ذلك بأعمال الرجال مثل صناعة الحبال و الرعي الخ...

و طـــبقة العمر ليست قاصرة فقط علي الذكور، و إنما تطبق علي الفتيات كذلـــك، فـــيكون طـــبقة عمرية واحدة عند البلوغ، و لكن لأن هذه الفترة تمر دون احتفال، أو حتى تغير في أدوار الفتيات لا يهتم بملاحظتها.(٢٠) و تقوم الأم و نساء العائلة بتهيئة الأولاد من الجنسين لهذا الحدث. و تبدأ الابنة تدرك لماذا تتوقف هي الأخرى عن حلب الأبقار في فترات معينة من الشهر.

الدنكا كمجتمع أبوي يدرك أن للرجل مكانة أعلي من المرأة، و لكن المرأة الأم كقـــيمة تتمـــيز بـــأن لها مكانة مماثلة تستطيع من خلالها أن تمارس نفوذها بطـــريقة مباشرة و غير مباشرة من خلال تأكيد صلاتها بأقاربها من الرجال مما يدعـــم أولادها اجتماعيا و سياسيا ليس فقط داخل مجتمعها، و إنما خارجه أيضا، " فحتى يومنا هذا يشترط علي من يتولى الحكم في مجتمع الشيلوك أن تكون أمه من الدنكا." (٢١)

و تبرز مكانة المرأة الأم في الدنكا و تتساوى بتلك التي للرجل من منطلق أن الدور الاجتماعي – السياسي الذي تقوم به في تنشئة الطفل يعتبر عامل هام من عوامـــل التماســـك القبلـــي. و هو من الأدوار التي تتعدى المجال الخاص إلي المجـــال العـــام مـــرورا بمجموعـــة القيم و العادات و الوظائف التي تتحكم في العلاقات القرابية بشقيها، و هما علاقة الدم و المصاهرة و التي في ضوئهما يقر مجـــتمع الدنكـــا نظامه في التنشئة الاجتماعية السياسية المبكرة للأطفال و الذي يرتبط بالدرجة الأولي بالمرأة الأم و عائلتها كما رأينا.

٦) **الأبعاد الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية لنظام الزواج في كل من المجالين**

نظـــام الـــزواج في الدنكا مثله في ذلك مثل بقية المجتمعات القبلية الرعوية الأفريقـــية لا يهتم برغبات الأفراد بقدر ما يعمل علي تحقيق أهدافا و قيما جماعية تؤدي إلي تماسك البناء الاجتماعي و استمرارية هذا المجتمع. و لذلك لا يجب علينا أن نقوم evaluate أنماط الزواج و أشكاله القائمة في هذا المجتمع من وجهة نظرنا التـــي تعكـــس ثقافات و قيم و أيديولوجيات مختلفة، و إنما يجب القيام بتحليل هذه الأشـــكال فـــي ضوء المضمون و الأطر الثقافية لمجتمع الدنكا مع التركيز بالقدر الأكـــبر علي وضع المرأة في هذه الأشكال المختلفة من الزواج باعتبار أن البحث يتـــناول نظام الزواج كمحور من أهم محاور قنوات الاتصال بين كل من المجالين الخاص و العام.

و الـــزواج عـــند الدنكـــا، كما يقول Yok يسمي *(thiek*) و يعتبر حدثا اجتماعـــيا محكما و معقدا لما يتضمنه من موازين دينية و اقتصادية و اجتماعية و سياسية يتحسب لها كل من الجانبين، فاتخاذ زوجة يعني انتقال المهر الذي هو علي شـــكل ثـــروة من الأبقار و طعام من عائلة الزوج إلي عائلة الزوجة. و لذلك فإن ترتيبات الزواج تتم علي مستويين:

- الترتيبات القانونية و الاجتماعية legal and social arrangements و تقـــع علـــي عاتق الكبار من الأهل، و تكون خلال فترة الإعداد للزواج فيقوم أهل العريس بمجاملة أهل العروس بما يتوافق مع مكانته الاجتماعية و الاقتصادية، فيتم مثلا تكليف بعض شباب عائلته بزراعة أرض أهل العروس أو المساعدة في جني المحصول أو القيام بأعمال البناء، الخ... كما يقدم العريس من جانبه بعض الهدايا مثل الملابس و الدخان الخ... لتوثيق علاقته ببعض أفراد عائلة العروس من ذوي المكانة العالية مثل الأم التي سوف تكون حماته فيما بعد.

- أما الترتيبات الخاصة بكسب ود العروس و الحصول علي موافقتها فيتكفل بهـــا الشـــباب من أصدقاء العريس و العروس من الجنسين فموافقة العروس شرط أساســـي مـــن شـــروط الزواج. فبعد أن يتم اختيار العروس، يذهب العريس مع مجموعـــة مـــن أصـــدقائه إلـــي منزل أهل العروس، حيث تكون في استقباله مع

مجموعة من صديقاتها فيقوم بمدحها و إطرائها و يستمتع الجميع بهذه الأمسية التي تتكرر مرة أخري في منزل أسرة العريس. (٢٢)

٧) **تعدد الزوجات polygyny:**

و هـــو من أشكال الزواج القائمة في مجتمع الدنكا و يتحقق من خلاله قيمة مـــن أهم القيم الاجتماعية و هي قيمة العائلة الكبيرة large family التي يعتبرها مجتمع الدنكا مصدرا للاحترام و الثروة، بالإضافة إلي ما تنتجه من قوي عاملة من الجنسين الذين يكلفون ببعض المهام المنزلية و الرعوية فيسهمون في تنمية اقتصاد العائلة.

و تعـــدد الزوجات في مجتمع الدنكا لا يقلل من قيمة الزوجة علي الإطلاق، فـــتقول إحـــدى زوجات الزعيم Deng Majok " يعتقد الناس أن زوجات الرجل الواحد (الضرائر) cowives يكرهن بعضهن، و لكنهم مخطئين في تصورهم هذا، فـــإذا مـــا أتت زوجة أخري و أقامت معنا، لا يصبح هذا الزواج ملكه فقط، و إنما ملكنا جميعا، فنحن نسعد عندما يزداد عددنا، فإذا حدث أي مكروه نكون قادرين معا علي تجاوزه".(٢٣)

و الـــزواج التعددى في الدنكا، كما يري الزعيم السابق D.Majok " له عدة وظائف، فهو يعتبر استثمارا و مصدرا للأمن الاقتصادي و الاجتماعي. و هو يعمل علـــي توســـيع دائرة العلاقات بين الأقارب و الأصهار مما يؤدي إلي امتداد النفوذ السياســـي، بالإضـــافة إلي أهم الوظائف و هو كثرة الإنجاب." (٢٤) فإذا ما أضفنا وظـــيفة أخـــري ترتـــبط بأسلوب المرأة في العناية بطفلها طوال فترة الرضاعة و تحـــريم المجتمع لقاء الزوجين حتى يتم فطام الطفل بعد ثلاث سنوات، نجد أن هذا النوع من الزواج وجد ليحقق مطالب اجتماعية سياسية معينة.

و الـــزواج فـــي الدنكـــا زواج داخلي endogamy في المقام الأول و يقوم بتوثـــيق الـــروابط القرابية الموجودة بالفعل داخل العشيرة الواحدة. و هو خارجي exogamy مـــن حيث أنه قد يكون خارج العشيرة و لكن داخل القبيلة، و قد يكون خارجي بمعني أن المرأة تزوجت خارج قبيلتها. فهناك تزاوج بين نساء قبيلة الدنكا

و قبائل الشيلوك و النوير و عرب البقارة، و تقتصر الالتزامات و المسئوليات الناتجة عن هذا الزواج علي عائلتي الزوجين فقط، أي أنها ليست التزامات جماعية أو قبلية.(٢٥) و مع ذلك و من منطلق الروابط التي تحكم علاقات المصاهرة و النسب السائد في المجتمعات القبلية الرعوية و منها الدنكا دائما ما يكون هناك دعما اجتماعيا و اقتصاديا و سياسيا لهذه العائلات بصورة مباشرة و غير مباشرة.

٨) **تقسيم العمل و تدرج المكانة بين النساء في المجال الخاص:**

إن ظاهرة تقسيم العمل في مجتمع الدنكا تخضع لاعتبارات نوعية تماما كما تخضع لاعتبارات ترتبط بالسن و المكانة. و يعتبر المجال الخاص الذي يتضمن عدة زوجات خير مثال علي أهمية و ضرورة إقامة مثل تلك الشبكة من العلاقات داخل المجال الخاص و التي ترتكز بالضرورة علي قيام نمط الزواج التعددي. و حتى يقوم هذا الشكل من الزواج بوظيفته علي أكمل وجه، قام مجتمع الدنكا بتحديد واجبات و مسئوليات الزوجات طبقا للتدرج في العمر و المكانة. فنجد أن هناك الزوجة الأولي Senior Wife و تقوم بدور المرشد لبقية الزوجات باختلاف أعمارهن و مكانتهن، فهي التي تقسم الأعمال بين الزوجات الصغيرات Junior Wives ، و تتابع دور كل واحدة منهن في لقاء الزوج، بل أنها تكون علي علم إذا ما كانت أي منهن تعاني من أعذار طبيعية تمنعها من هذا اللقاء. و قد يكون هناك أكثر من زوجة أولي Senior Wives و لكن تبقي للأولي دائما وضعها الخاص عند الزوج و عند زوجاته. و تملك الزوجة الأولي أيضا حق تكليف كل أولاد و بنات العائلة بالمهام المختلفة إما بطريقة مباشرة أو عن طريق أمهاتهن. و قد تري ضمن الفتيات اللاتي تقابلهن في مناسبات مختلفة من تليق بالزوج، فتسعي إليه ليتزوجها، و خاصة إن كانت ذات مكانة اجتماعية أو سياسية مميزة، أو يملك أهلها ثروة كبيرة من الأبقار بالإضافة إلي ما سيعود علي العائلة من مصلحة و نفع عندما يستمر أهلها في زيارتها و تدعيمها عاطفيا و ماديا. و قد تستقل الزوجات الصغيرات بمعيشتهن واحدة تلو الأخرى، و لكن دائما ما يكون هناك ارتباطا و التزاما تجاه الزوجات الكبيرات. و قد تضج إحدى الزوجات الصغيرات من هذه

الحــياة المعقــدة، خاصة في حالة عدم إنجابها، فتختار أن تعود إلي بيت أسرتها و تســتطيع المرأة في هذه الحالة ن تطلب الطلاق، علي أن يسترد كل من الطرفين كــل أو جزء مما نقله إلي الطرف الأخر.[٢٦] و تعتبر في هذه الحالة امرأة ضعيفة القلــب Weak- Hearted ، أمــا ذات القلب الطيب Good- Hearted فتبقي و تتمســك بــزوجها و عائلته. [٢٧] و ترحب بقية الزوجات ببقاء هذه الزوجة، فهي تعتــبر في نظر المجتمع و كما يقول Yok " صمام أمان الرجل بالنسبة لاحتياجاته الطبيعــية man's security valve for sexual needs، فتقوم بتلبية احتياجاته عندما تعجز الأخريات عن هذ بسبب ظروف الحمل أو الرضاعة، الخ... " [٢٨]

٩) زواج المرأة الدنكاوية باعتبارها " رجل اجتماعي Social Man":

و هو نمط أخر من الزواج خاص بالمرأة دون الرجل، تتساوى فيه المرأة الدنكاويــة بالرجل، بل و يطلق عليها لقب " الرجل الاجتماعي". و لا يتحقق هذا الــزواج إلا فــي ظروف معينة حددها المجتمع، فعلي المرأة أن تكون متقدمة في العمــر، أن تكون غير قادرة علي الإنجاب، و أن يكون لها نصيب لا بأس به من الثروة و أن تكون مالكة لعدد من الأبقار لتستطيع القيام بدفع المهر لزوجاتها. و قد يتم هذا الزواج عن طريق عائلة الزوج التي تكافئ هذه الزوجة علي بقائها في بيت زوجهــا بعدمــا تبينت عدم قدرتها علي الإنجاب و استمرت في دعم عائلة الزوج اقتصــاديا بــدلا من طلب الطلاق و ما يترتب عليه من التزامات قد تخل بالوضع الاقتصادي لعائلة الزوج، خاصة ما إذا كانت المطلقة من عائلة ذات مكانة عالية. و فــي هــذا الــنمط من الزواج تقوم المرأة "كرجل اجتماعي " بدفع المهر للزوجة المختارة مثلها في ذلك مثل أي رجل مقبل علي الزواج. و قد تقوم المرأة بالزواج بأكــثر مــن واحدة حسب قدرتها علي الإعالة. و يتم اختيار رجلا ليقوم بالوظيفة البيولوجية علي أن ينسب كل الأطفال من مختلف الزوجات إلي عائلة الزوج الذي تنتســب إليه الزوجة " كرجل اجتماعي ".[٢٩] و في بعض الحالات ينسب الأطفال إلي المرأة " الرجل الاجتماعي " إذا كانت ليست متزوجة، و هو ما يحدث في قبائل النوير.[٣٠]

هذا النمط من الزواج يؤكد قيمة المرأة المتقدمة في العمر في مجتمع الدنكا، الذي يتشابه في ذلك مع كل المجتمعات القبلية الرعوية في الشرق الأوسط، و التي تعلـــو فـــيها المكانـــة الاجتماعية للمرأة كلما تقدمت في العمر حتى تصل إلي حد المســـاواة بينها و بين الرجل. كما أن هذا النمط من الزواج يؤكد علي قيمة العائلة الكبـــيرة التي يتساوى كل من الرجل و المرأة في قيامها و الحفاظ عليها و دعمها اجتماعيا و اقتصاديا و سياسيا، و لذلك فهو نمط بديل يتم من خلاله تعويض الطاقة المعطلة للمرأة بقدراتها الاقتصادية و مسئوليتها الاجتماعية ليس من منطلق النوع و إنمـــا من منطلق كونها فردا في المجتمع مسئول عن عائلته و إن اختلف نمط نشأة هذه العائلة باختلاف نمط الزواج الذي قامت عليه. كما يلقي هذا النمط من الزواج الضـــوء علي الجوانب العامة للمجال الخاص المرتبط بالمرأة حين تدخل في دائرة المجـــال العام عند قيامها بمسئولياتها " كرجل اجتماعي " تجاه الأفراد الذين تعولهم رجالا كانوا أم نساء.

١٠) زواج الشبح أو الزواج الليفراتي Levirate Marriage:

و هـــو الـــزواج الذي يتم بين الرجل و أرملة أخيه علي أن ينسب الأطفال الذين هم نتاج هذا الزواج إلي أبيهم المتوفى. و إذا حللنا هذا النمط من الزواج في ضوء قيمة الخصوبة و ارتباطها بالمرأة، نجد أنه يحقق للمرأة استمرارية استخدام طاقتها كمصدر للحياة في عملية تزويد المجتمع بعناصر بقائه، مما ينفي الاتجاه إلي اعتبار أرملة الأخ ملكا لعائلته حتى بعد وفاته.

*** المحور الثالث:الثروة التقليدية من الأبقار بين المجال الخاص و العام:**

فـــي حين تعتمد الأبقار علي الإنسان لرعايتها و حمايتها، تعتبر هي بمثابة الضمان الذي يتمسك به الإنسان لمواجهة الكوارث الإيكولوجية، فهي مصر حيوي للألـــبان و اللحوم و الجلود. و مجتمع الدنكا مثله في ذلك مثل بقية القبائل الأفريقية التي تقوم علي رعي الأبقار مثل النوير و عرب البقارة و غيرهم، " تشكل الأبقار بالنســـبة لهـــم قـــيمة كبيرة تفوق إسهاماتها المادية لإبقاء الإنسان علي قيد الحياة، فالأبقـــار هي الوسيلة الرئيسية و الأساسية المعترف بها لإبرام العقود و المعاهدات

في هذه المجتمعات. [٣١] و حيث أن نظام الزواج في الدنكا يعتبر من أهم العقود و الاتفاقـات، و التـي لا يمكن إبرامها إلا من خلال الاتفاق علي دفع عدد معين من الأبقار كمهر للعروس، يمكن القول بأن المرأة هي محور هذه الثروة التقليدية التي تتعدى كل من المجالين الخاص و العام. " الآلية التقليدية لدورة الأبقار تلعب دورا جوهـريا في الحفاظ علي بناء fabric و تماسك solidarity الجماعات. و يتضح هذا من الأسلوب المعقد complexity of interchange لتبادل الأبقار بين عائلة كـل من العروسين، ففي حين تقوم عائلة العريس groom بدفع عدد من الأبقار التي تم الاتفاق عليها، تقوم عائلة العروس bride برد عدد من الأبقار يطلق عليها لفـظ *arueth* و وظيفـتها غير واضحة تمام الوضوح و لكنها تكون بمثابة دعم موجه للعريس و عائلته. و من خلال تأسيس هذه العلاقات الجديدة يتم توسيع شبكة العلاقات بين العائلات التي يتم الاستعانة بهم في مواجهة الأزمات ".[٣٢] و نصيب المـرأة من الأبقار لا يقتصر علي ما يدفعه الزوج فقط عند الزواج، و لكن للمرأة أيضا نصيب من الأبقار التي تدفع لأخواتها عند زواجهن، و كذلك عند زواج بنات الأخوة.

فالأبقار كقيمة يري الباحثون أنها تدخل في نطاق المجال العام الذي يرتبط بالـرجل في المقام الأول، و لكن بعد تحليل بعض أنماط الزواج القائمة في مجتمع الدنكـا نجد أن المرأة ترتبط هي الأخرى بطريق مباشر بهذه الثروة التقليدية. كما نجـد أن المرأة في أدائها لدورها الطبيعي خلال دورة الحياة تساعد علي تشعب و تعدد العلاقات ين جماعتها و الجماعات الأخرى بكل ما ينتج عن هذا من التزامات و واجـبات. و من ثمة فإن ارتباط الأبقار بالمرأة كقيمتين أساسيتين من قيم مجتمع الدنكا يجعل أدوار المرأة المركبة تتعدى حدود المجال الخاص إلي المجال العام من خلال قنوات شرعية حددها المجتمع و ساعد علي تحقيقها في ضوء تلك التقاليد و القـيم القائمـة و التـي تسـاعد علـي تماسك البناء الاجتماعي للمجتمع و أيضا استمراريته.

الخلاصـــــة

كشـــف البحـــث من خلال طرحه و تحليله لبعض النظم و القيم الموجودة في مجتمع الدنكا أن المرأة تتمتع بمكانة عالية قد تتساوى فيها مع الرجل، خاصة إذا ما تقدمـــت فـــي العمـــر، و ذلك في ضوء تقاليد و قيم تعتبر المرأة مصدرا للحياة و العطـــاء. أمـــا مـــن ناحية ممارسة المرأة لأدوارها خلال دورة الحياة فتجعل من إســـهاماتها الاجتماعـــية والاقتصـــادية و السياسية عوامل جوهرية تؤدي إلي قيام علاقـــات جديدة و توثيق علاقات قديمة تساعد علي مد شبكة العلاقات و النفوذ من المجـــال الخـــاص إلي المجال العام مما ينفي الرأي القائل بوجود الفصل التام بين المجاليـــن و قصر المجال العام علي الرجل. ففي ضوء المفاهيم الجديدة التي تحلل أدوار المرأة من حيث أنها أدوار مركبة نجد أن سلطة المرأة و نفوذها تمتد لتشمل المجاليـــن معـــا مـــثلها في ذلك مثل الرجل مع الأخذ في الاعتبار أن المظاهـــــر الاجتماعـــيـــــة Social Appearance للمجتمع الأبوي كثيرا ما تطمس الواقع الفعلـــي للمـــرأة و الذي حاول هذا البحث أن يظهره و يحلله ليصل إلي المكانة و القـــيمة الفعلـــية و لـــيس الظاهرية للمرأة في مجتمع الدنكا و التي اتضح أنها لا تتطابق مع تلك الفكرة السائدة في الأدبيات الأنثروبولوجية عن المرأة الأفريقية التي شوهت صورتها بسبب الاستغراق في تحليل ما هو ظاهر و إغفال ما هو كامن في أغـــوار الـــثقافة الأفريقية. فقد اتضح من هذا البحث أن المرأة لها قيمة مميزة في مجـــتمع الدنكا من منطلق تحليل نظرة المجتمع لها علي أنها تحمل في طياتها طاقة و قـــدرة خلاقة يقدرها هذا المجتمع حق التقدير. و يظهر هذا من النسق القيمي و الديني و ما تتضمنه أساطير مجتمع الدنكا عن المرأة. و ذلك يؤكد أن هذا المجتمع الأبـــوي ينظر إلي قيمة المرأة و أسلوب ممارستها لأدوارها المركبة خلال دورة الحـــياة علي أنها مكملة لتلك التي للرجل و ليست دونها أو أقل منها. فمجتمع الدنكا مـــثله فـــي ذلـــك مثل هذا النمط من المجتمعات يستمد وجوده و بقائه من جهود و طاقـــات كل أفراده في ضوء تقسم الأدوار طبقا للنوع و السن و الحالة الاجتماعية

بهـــدف تحقـــيق التكامل بين أفراده من الرجال و النساء، مما يحقق بدوره التماسك الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي أي تماسك البناء الاجتماعي لهذا المجتمع.

و قـــد تم الاستعانة في هذا البحث بالمادة الإثنوجرافية التي قام الباحثون من الرجال بجمعها و هم من ذوي التخصصات المختلفة، مما يدعو إلي تشجيع البحث الأنثروبولوجـــي فـــي المجـــتمعات الأفريقية علي أن يقوم بها الباحثون المحليون بالإضـــافة إلي توجيه الباحثات المحليات إلي مزيد من العمل الميداني الذي سوف يســـهم في إثراء المفاهيم الأنثروبولوجية المستخدمة و التي قد لا تتناسب كلها مع طبيعة المجتمعات القبلية الرعوية في أفريقيا.

References

1- Nelson, C., "Public and Private Politics: Women in the Middle Eastern World", American Ethnologist, 1, 1974, p.561

2-Thompson, L., "Feminist Methodology for Family Studies", Journal of Marriage and the Family, 54, 1992, p.3

3- Evans- Pritchard, E., "Position of Women in Primitive Societies and in our own", in The Position of Women in Primitive Societies and other Essays in Social Anthropology, 1965, pp.37-58, p.40

4- Nelson, C., op.cit. p.560

4- Yok, M.,Y., Women, Sexuality and Social Behavior in Western Dinka: The Impact of War on Reproductive Health in South Sudan, UMI Company, USA, 1996, pp. 93-94

5- Lopata, G.Z., " The Interweave of Public and Private: Women`s Challenge to American Society" in J. of Marriage and the Family, 55, 1993 .

7) Lewando- Hundt, G. " The Exercise of Power by Bedouin Women in the Negev", in The Changing Bedouin, New York,1983, p.86 .

8) Oppong, Chris., Seven Roles and Status of Women : Some Conceptual and Methodological Issues Relevant to the Study of Demographic Change, ILO, Geneva, 1980, p.8

9) Kebbede, Girma, "South Sudan: A War- Torn and Divided Region", in Sudan`s Predicament, Civil war, displacement and ecological degradation, Athenaeum Press, 1999, pp.44-61, p.45, 57.

10) Burton, John,W. 'The Moon is a Sheep': a Feminine Principle in Atuot Cosmology, in Man, vol.16, no. 3, 1981, pp.441- 450,p.444,445

11) Ibid, p.444 .

12) Ibid,p.448 .

13) Deng, F. The Man Called Deng Majok, A Biography of Power, Polygyny, and Change, Yale Univ.Press, 1986, p. 28
14) Ibid, p. 29 .
15) Ibid,p.28-29 .

16) Yok, M.,Y., op cit. p.141 .

17) Ibid, p.196 .

18) Ibid,p. 191 .

19) Ibid, p. 303 .

20) Ibid, p. 148-14921) Beswick, St . Violence, Ethnicity and Political Consolidation in South Sudana: A History of the Dinka and their Relations with their Neighbors, Michigan, 2000, p.65 .

22) Yok, M., Y., op cit., 137-138

23) Deng, F.op cit.p. 162 .

24) ibid, p. 203 .25) Deng, F. War of Visions, Conflict of **Identities in the Sudan, Washington, 1995, p. 264**

26) Johnson, D.,ed., The Upper Nile Province Handbook, A Report on Peoples and Government in the Sou6hern Sudan, **1931, Oxford Univ.press,1995, p.228**

27) Deng, F., op cit. p. 163-175 and Yok, op cit. p. 184-185

28) Yok, M. Y. op cit., p. 205

29) Ibid, p. 205-206 .

30) Johnson, D. , op cit., p.228

31) Hutchisnon, Sh., " The Cattle on Money and the Cattle of Girls among the Nuer, 1930-83", in American Ethnologist, vol.19, May 1992, pp. 294-317, p.296

32) Yok, M. Y. op cit., p. 125

المعتقدات الدينية للدنكا بجنوب السودان

للدكتور / سعد عبد المنعم بركة

أولاً : الإطار النظري للدراسة : –

الديـــن شئ لازم في حياة الإنسان لا يستطيع أن يعيش بدونه ، فهو فطرة فطـــر عليها الإنسان ، وهو ضرورة كضرورة الضوء للعين والروح للجسد ، وفي الطـــابع الإنســـاني جـــوع إلي الاعتقاد كجوع المعدة إلي الطعام ، وقد رافق الدين مسيرة البشرية منذ يومها الأول . و عثر الأثريون علي أدلة دينية مصاحبة للإنسان العـــاقل مـــنذ حوالي ستين ألف سنة ق . م. ، حيث دفن الإنسان موتاه ، واحتوت المقابر علي بقايا القرابين والأدوات التي سيحتاجها الميت في العالم الأخر ، فالدين ظاهرة إنسانية عرفتها جميع المجتمعات قديما وحديثـــاً . (١)

والدين Religion مشتق من الكلمة اللاتينية ReLigere ، وتشير بالإيمان بوجـــود قـــوة عليا مسيطرة ، والأديان هي نسق المعتقدات والقيم الفلسفية بما هو مقدس وبفهم الحياة ، ، وفي النهاية يعد الدين طريقاً تقليدياً نحو النجاة أو الإخلاص والتقاليد الدينية ما هي إلا نتيجة لمحاولة الإنسان الدائبة للاستبصار بأفكاره الروحية الفلســـفية ، وممارســـتها كلما واجهته مشكلة من مشكلات الحياة المعقدة ، والدين ظاهرة إجتماعية حيث أنه يركز علي الجماعة عند تطوير الفكرة الدينية وفي تعليم المعارف الدينية والعمل علي استمرارها . (٢)

وتهـــتم الأنثروبولوجـــيا الدينـــية بالدين كنظام اجتماعي يقوم علي علاقة الإنســـان بكائـــن أو بكائـــنات أو قوي ميتا فيزيقية ، سواء بطريق مباشر أو عن طـــريق وسطاء يعتقد أنهم يمثلونه . ويتميز أي دين بنسق سلوكي وقانون أخلاقي يحـــدد العلاقـــة بيـــن الإنسان وآلهته ، وكل مجتمع يري أن دينه هو الدين القويم وسلوكه هو السلوك الأمثل . (٣)

بهـذه المعتقدات ، ويعد نوعاً من الاستجابة للحاجة التي يشعر بها الناس جميعاً ، لتحديد معني وجودهم في الحياة .

أسباب إختيار الموضوع وأهميته :-

تتمثل أهمية الظاهرة الدينية فيما يلي : -

أولاً : الظاهـرة الدينـية لازمت الإنسانية منذ نشأتها الأولي بحيث لا يوجـد مجتمع من المجتمعات إلا وقام هيكله الاجتماعي علي أساس ديني.

ثانيا : ينـظر العـديد من عـلماء الأنثروبولوجيا إلي الدين كدعامة من دعائم التنمـية للمجتمعات التقليدية ، والتي ترتكز علي الارتباط بالتراث الثقافي والدينـي ، وهـو الـذي يميزهم عن غيرهـم ، ويجعل لهم خصوصية مسـتـقلة بذاتـها ، ويؤكدون علي الترابط والتكامل بين القيم من جهة ، والتنمية من جهة أخري .

ثالثاً : عالم الإنسان مملوء بالمخاوف والقلق وضعف القوة علي التنبؤ ، ومعاناة الأنسان من الخوف ومن الكوارث الطبيعية ومن ظاهرة الموت ، جعـلته يتجه إلي عالم ما فوق الطبيعة لدرء هذا الخوف .

رابعاً : تتـنوع وظائف الدين بين ما هو إيجابي يؤدي إلي الاستقرار والتماسـك والـتضامـن داخـل المجتمـع ، ومـا هـو سلـبي يعمل علي إحداث التفكك والصراع .

خامساً : يـسـاعـد الديـن أنصاره علي تفسير الأحداث المعقدة والغامضة التي يواجهـونها ، وتـفسير معني الحياة وما تنطوي عليه من نظرة كونية أو عالمية وفهم العالم .

سادساً : الدين هو الأساس الذي تقوم عليـه المعـايير الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية والقانونية في المجتمع .

سابعاً : المعـتقدات الدينية تزود بالدوافع التي تحدد إتجاه سلوك الأفراد ، ويشكل الهوية الثقافية للمجتمع ، ومقياس عام يقارن به الناس أنفسهم بالآخرين .

ثامناً : يؤدي الدين بالإنسان إلي أن يعلو بذاته ويسمو به .

تاسعاً : يقدم الدين للأفراد التفسير عن مشاكلهم الحياتية ويمدهم بإستراتيجية لقهر اليأس والشعور بالإحباط .

هذا وتعد الشعوب الإفريقية من أكثر شعوب العالم اهتماما بالدين ، وتحتل قبـيلة الدنكا مكانة بارزة في الممارسة الدينية ، فهي من أكثر شعوب العالم تديناً ، ومن ثم يتضـح أهمـية دراسة المعتقدات الدينية لتلك القبيلة التي تشكل أكبر قبائل جنوب السودان ، فهي مجتمع له سماته السلالية والثقافية المختلفة عن جيرانها من النيليين والزنوج والعرب ، فهي مجتمع رعوي بالدرجة الأولي وبخاصة الماشية ، ولا تعـرف غـير الرعـي مهنة ونشاطاً إقتصادياً ، وتحتقر ما دونه من نشاطات أخـري كالعمل في الزراعة أو الصناعة أو التجارة وما غيرها . وشعب الدنكا لا يعـرف حـياة الاستقرار ، فهم يتجولون ويتنقلون سعياً وراء العشب والكلأ غذاء لماشيتهم ، كما أنه شعب لا يعرف نظام الرئاسة أو الزعامة السياسية ، ولذلك فهو يصنف ضمن المجتمعات التي لا تؤلف دولة . [٤]

وقد يوحي هذا الوصف وتلك السمات بأنها مجتمعات مفككة وغير متماسكة ، إلا أنهـا تبدو غير ذلك فلا نظمها التقليدية التي تقوم بضبط العلاقات الإجتماعية بين الأفراد ، وتنظمها الأدوار الإجتماعية من خلال بناء عام يحافظ علي تماسكها وبقائهـا ، ولا شك أن للمعتقدات الدينية الدور الهام والأثر الأكبر في هذا الصدد ، خاصـة وأن الزعـيم الدينـي عـند الدنكـا هو "البن بيت " هو الزعيم السياسي في نفس الوقت .

الإطار النظري للدراسة :-

إتخـذت الـمدارس الأنثروبولوجـية إتجاهـات عديدة في تناول الظواهر الدينية منها : التاريخية ، السيكولوجية ، الوظيفية ، المعرفية أو الرمزية .

وفـي هذا وقع اختياري للنظرية السيكولوجية الوظيفية لمالينو فسكي لأنها تقدم تفسيراً للممارسات الدينية لقبيلة الدنكا ، حيث يري أن الدين والسحر استجابات للضـغوط العاطفية في المجتمعات ، والوظيفة الأساسية للدين هي إيجاد تفسيرات منطقـية للممارسات الدينية ، فالطقوس المرتبطة بالموت تعمل علي تقوية الروابط

بيـــن الأحـــياء بعضهم ببعض ، كما تحميهم من حالة إنعدام المعني المحيط بالحياة الاجتماعية .

فالدين قوة هامة للضبط الاجتماعي ، ليس لأنه منبثق من المجتمع فحسب ، ولكـــن لأنــــه يقـــدم للأفـــراد التفســيرات والإجابـــات التـــي يحـــتاجون إلـــيها فـــــي أوقـــــات أزماتـــهم . (٥) ويعد الدين إنعكاسا للمجتمع وطرقه الاجتماعية ، وتمـــارس الأديان في إطار جماعي ، فالدين وسيلة تكيفية لأنه يقلل من حدة القلق والاضطراب والشك عند الناس ، ووسيلة لإشباع الحاجة المعرفية للفهم المنطقي(٦)

ويـــري مالينو فسكي أن الدين والسحر يقوم بوظيفته في مواقف الضغوط العاطفـــية ، لمـــا يقدمـــاه من طقوس ومعتقدات تعكس سيطرة ما هو ميتافيزيقي . وفضـــلاً عـــن ذلك يختلف الدين عن السحر ، في أن الدين غاية في حد ذاته بينما الســـحر يهدف إلي غاية عملية . والمعتقات الدينية معقدة ومتعددة ، بينما المعتقات الســـحرية بسيطة . والسحر يمد الإنسان بالقدرات العملية ، بينما الدين يمد بالناحية الأخلاقـــية في الإنسان عن طريق تزويده بالاتجاهات الفعلية القيمية مثل الشجاعة والثقة في حالات الصراع وحالات الموت . (٧)

منهج الدراسة : —

تتـــبع الدراسة المنهج التاريخي ، للتعرف علي الخصائص الثقافية التقليدية لقبيلة الدنكا ، ومقارنتها بما هو قائم حالياً ، ومحاولة التعرف علي الأحوال السابقة التـــي تحمل بذور هذه التغيرات ، ومن هنا يتضح أهمية استخدام المنهج التاريخي فـــي العقود الأخيرة نتيجة لتزايد عمليات التغير والاحتكاك الثقافي في المجتمعات التقليدية . (٨)

فالـــبعد التاريخي الثقافي ضرورة للفهم السليم للسلوك الإنساني ، فإذا كانت الدراســـة المركزة للبناء الاجتماعي تلقي ضوءاً علي العلاقات القائمة في الحاضر ،فـــأن عوامـــل سببية أخري ستتعرض للإهمال ، إذ لم نضع عامل الزمن موضع الاعتـــبار . ومن ثم يهتم الباحثون بتتبع المسارات التاريخية لكل ثقافة علي حدة ، لأن الهـــدف النهائي ليس معرفة المعتقدات كما هي قائمة ، وإنما معرفة العوامل التـــي أدت إلي وجودها واكتشاف تاريخ نموها . ولذلك سأتناول المعتقدات الدينية

للدنكا وتطورها خلال ثلاث مراحل متتابعة مر بها المجتمع الدنكاوي وهي : فترة ما قبل الحكم البريطاني ، ثم فترة الحكم الثنائي المصري البريطاني وأخيراً فترة ما بعد الاستقلال .

والجديــر بالذكــر أن الديانــات الأفريقــية التقــليدية ســريعة الــتغير ، وخاصـــة عندما بدأ الإســـلام يأخــذ طــريقه إلي هذه المجتمعات ، وأصبح هناك تحـــول في الأديان من عبادة الأرواح إلي الإله الخالق ، ولعب الإسلام والمسيحية دوراً حافــزاً ومشجعاً للتغير الثقافي الاجتماعي كاستجابة للتغيرات العالمية ، ذلك ممـــا أدى إلى انصهار عناصر الديانة التقليدية والديانة السماوية ، وظهرت أشكال من التوفــيق بــين المعتقدات المتعارضة . (٩)

ثانياً : مجتمع الدراسة

مقدمـة :

النيلــيون مجموعـــة مـــن الشـــعوب موزعة بين أوطان متباعدة في كينيا ،وأوغـــندا والســـودان وأطراف أثيوبيا الغربية . والنسبة إلي النيل بالطبع هي من صنع العلماء ولها ما يبررها ، لأن جميع السلالات النيلية ذات أوطان علي مقربة دائمـــا من نهر النيل ، ولا شك أن أهم مجموعة منهم هي التي تعيش في السودان وتحـــتل مـــن الســـودان الجنوبـــي معظمه ، وتقع في الأقاليم الوسطي منه ، بينما الســـلالات غـــير النيلية تحتل الأطراف . وهذا الجزء الأوسط ليس مجرد مساحة متواضعة في المركز ، بل عبارة عن إقليم مترامي الأطراف يستغرق معظم حوض بحر الجبل وبحر الغزال و السوباط وأعالي النيل الأبيض ، أي أنها تحتل ما يقرب من نصف مساحة السودان الجنوبي كله . (١٠)

<u>وأهم شعوب المجموعة النيلية هي :</u>

- جمـــاعة اللـــوو فـــي كــــينيا .
- شعب أتشولي في شمال أوغنـــدا .

- شعب الدنكا ، ومواطنه إلي شمال الباري جنوب السودان .
- شعب النوير في الجزء الأسفل من بحر الجبل والغـزال .
- شـعب الشـلك علي الضـفة الغربيـة للنيل الأبيـض .
- شـعب الأنواك علي روافد نهر السوبـاط وفي أثيوبيـا .

موقع الدنكا :-

الدنكـا أكـثر عـدداً و أوسع انتشارا من أي مجموعة أخري من الشعوب النيلـية ، حيـث يقدر عددهم حالياً بحوالي ٣٠٠٠٠٠٠ نسمة عام ٢٠٠٠ م [١١] ، لكـنهم لا يحـتلون إقلـيماً مندمجاً متصلاً ، بل تفصل بينهم قبائل النوير ، وتمثل أوطانهم موقعاً وسطاً يمتد من السوباط الأدنى إلي بحر الجبل ثم إلي بحر الغزال ، والمجري الأسفل لهذه الأنهار الثلاثة يحتله النوير .

و الدنكـا شعب نيلي يقع علي أطراف المنطقة الكبرى للمستنقعات والسفانا المفـتوحة لحوض النيل الأوسط جنوب السودان . وتبدأ أوطانهم من خط العرض السادس شمال الباري مباشرة ، إلي الخط الثاني عشر شمالاً ، هذا من حيث الطول فـيما عدا الجزء الذي يحتل النوير . أما من حيث العرض فأن مواقع الدنكا ضيقة في الشمال ، وتلتزم الجانب الشرقي لنهر النيل الأبيض ، ومواضع قليلة من الجانب الغربي ، وهذا الجزء من أوطان الدنكا لا يزيد أتساعه من الشرق إلي الغرب عن ٣٠ كيلو متر ، فهم جماعات نيلية تلتزم النهر مثل الشلك و النوير . [١٢]

ولقد جرت العادة بتقسيم الدنكا إلي ثلاث شعب : شعبة النيل الأبيض وشعبة بحـر الجبل وشعبة بحر الغزال . وقد حال هذا الإنتشار والأتساع العظيم دون أي محاولة لتوحيد الدنكا في نظام سياسي مشترك ، بل لقد كان هناك تشاجر وعدوات وحـروب بيـن بعـض قـبائل الدنكاوية المتجاورة ، وبرغم هذا هناك إتفاق بين خصائص اللغة والدين والنظم الاجتماعية الأساسية والإقتصادية . (خريطة ١)

وتنقسم الدنكا إلي العديد من الفروع القبلية المستقلة ، والتي تحتل مساحات منفصـلة أو متمايزة بمحددات طبيعية كالأنهار والمستنقعات والأحراش والغابات . وقـد اتخـذت كل قبيلة إسماً خاص،إستمدته من الظروف البيئية أو الطبيعية أو ما

ينتشر بالمنطقة من حيوانات وحشرات ، وتسمي بعضها بأسماء السهام أو الحراب التي يستخدمونها وتبلغ نحو ٢٥ فرعاً قبلياً رئيسياً . [١٣]

الظروف البيئية : -

يقسم الدنكاويون السنة إلي أربعة فصول ، ويبدأ العام عندهم بفصل الربيع فـــي أواخر أبريل إلي أوائل يوليو ، حيث تسقط الأمطار وتزرع الحقول التي سبق إعدادهـــا ، ثـــم يأتـــي الصيف ويستمر طوال شهر يوليو حتي أكتوبر وهي فترة الأمطـــار الغزيـــرة والإقامة المستمرة في القرى ، يلي ذلك فصل الشتاء حيث تبدأ الـــرياح الشـــمالية في نوفمبر ويـــستمر هذا الفصل إلي شهر فبراير ، والشتاء هنا دافـــئ جاف ، حيث تنعدم الأمطار وكذلك الحال في الخريف ، وتصبح المياه نادرة وتجـــف مجـــاري الأنهار ، فيحفرون الآبار بالقرب من القرى التي يقيمون فيها ، ويـــعتـــبر الـــخـــريف مـــن أشد فصول العام جفافاً وأشدها حرارة ويستمر حتي أوائل مايو[١٤]

وأوطان الدنكا عبارة عن أراضى سهلة خالية من أي أثر للجبال أو الكثبان ، والمـــنطقة فـــي عمومهـــا غنية بأعشاب السافانا الكثيفة حيث الأشجار القصيرة والعديد من الأخوار الدائمة الجريان ، وحتى في موسم الجفاف نجد أن المنطقة تقدم التســـهيلات الإيكولوجـــية المتمثلة في الأعشاب والأشجار والجزر والمستنقعات ، ومـــن ثـــم يـــتوفر المرعي لأبقارهم وللأنواع العديدة من الحيوانات مثل الزراف والحمـــار الوحشـــي والظباء والبقر الوحشي والفيلة والنعام ، يميلون بطبيعتهم إلي الابـــتعاد عن المناطق المرتفعة والأماكن الجبلية ، وإن كانوا يفضلون المسطحات المرتفعة نسبياً لأقامه مساكنهم حتي يكونوا بمنأى عن مياه الأمطار أو الفيضانات ويختارون هذه المسطحات حيث تتوافر الأخاديد وحتى يمكنهم الحصول علي المياه وتتوافر الحشائش والأعشاب . (شكل ١)[١٥]

الصفات الطبيعية :

يمـــتاز شـــعب الدنكـــا بالقامـــة الطويلـــة المصحوبة دائماً بطول الساقين والتـــي تـــتجوز ١٧٨ ســـم ، والجسم النحيل والبشرة القاتمة والرأس المستطيل ،

والشـعر المفلفـل والشـفاه الغليظة المقلوبة ، غير أن هذه الصفات الزنجية ليست سـائدة بيـنهم جميعاً ، إذ نجد بينهم أفراداً يمتازون بالأنف الرقيقة والشفاه الرفيعة واخـتفاء بـروز الفـك العلـوي ، فهو من المجموعة الزنجية ولكن يحتوي علي دماء قوقازية بنسبة كبيرة . (١٦)

ويستطيعون الجري والمشي لمسافات بعيدة دون الشعور بإجهاد ، ويتمتعون برشاقة حركاتهم أثناء الرقص والقتال ، بصفة عامة لديهم لياقة بدنية تساعدهم علي مواجهـة حياتهم الشاقة . وتبدو قامتهم في ربيع العمر مستقية ، وأكتافهم عريضة ووسـطهم رفـيع وعضـلاتهم مفتولة وقوامهم رشيق ، وأجسامهم العارية تجملها زينات ذات ذوق رفيع ، والقليل فقط من الزعماء والكبار يرتدون الملابس ، أما في أغلـب الأحوال يمشي الرجال عراة الأجسام لا يسترون عوراتهم ، وترتدى النساء مـئزراً من الأمام والخلف . (١٧) ويعلل البعض عدم ارتداء الدنكا للملابس بحرارة الجو وطبيعة حياتهم التي تحتم عليها عبور الأنهار والمستنقعات حيث يسبحون هم وماشيتهم بغية الوصول إلي المراعي التي تبتعد عن موطنهم بمسافات بعيدة .

*** السمات السيكولوجية :-**

ومن الناحية السيكولوجية نجد أن النيليون عامة وأهل الدنكا خاصة سمات تميزهم عن غيرهم من القبائل الإفريقية ، فالاعتزاز بجنسهم والترفع والسمو وعزة الـنفس هـذه القـيم تجعلهم لا يسعون إلي فرص عاداتهم وقيمهم ومعتقداتهم علي الآخرين وأيضا عدم قبول الآخر بثقافاته وقيمه . (١٨)

والاسـتقلالية قـيمة ذات أهمية كبيرة لديهم حيث يرفض شعب الدنكا أي سـلطة قهـرية أو أي تدخـل فـي استقلاله وحريته فكل فرد من النيلين عامة و الدنكاويين خاصة يري نفسه قائداً يأبي أن يكون تابعاً لأحد .

ولمفهـوم القـيادة عـند قبائل الدنكا أهمية كبري ، فاحترامهم للقائد الذي إستحق عندهم الزعامة يقترب من درجة القداسة الروحية المرتبطة بموروث السلف ، والزعـيم المتسـلط ليس له مكان بأي حال من الأحوال عند أهل الدنكا إلا عبر

الرهبة من القوي الروحية الخارقة التي يمكن أن تكون مؤثرة فقط إذا أمكن تبريرها أخلاقياً .

فـأهل الدنكـا بصفة عامة يقاومون إستلاب الآخرين لهم ، ويعملون علي المحافظة علي إثنيتهم وهويتهم الثقافية ، ولا يميلون إلي فرض ثقافاتهم ومعتقداتهم علـي الآخريـن، فإعتزاز الدنكا بعرقهم وثقافاتهم يبلغ إلي حد المغالاة في تمجيد إثنيتهم ، ويدعم لديهم نظرة محافظة تجاه التغير. و الدنكا من ناحية أخري يتأثرون بالأفكار الجديدة ، ويتبنون أي فكرة في إعتقادهم تمنحهم مكانة إجتماعية أرقي(١٩)

* **اقتصاد الدنكا :-**

يعـد إقتناء الماشية وخاصة البقر ، قوام الإقتصاد عندهم ومقياس الثراء . وعلـي الرغم من أن الدنكا كثيراً ما يقتنون الضأن والماعز ، ولديهم منها قطعان كثـيرة ، فـأن الماشـية ذات أهمية كبيرة في حياتهم الإقتصادية والروحية ، فهي مقـياس ثـروتهم ، ومبعث فخرهم وعزهم ، ومصدر سعادتهم وبهجتهم ، وعماد مركـزهم الاجتماعـي ، فهـي الأساس الإقتصادي للمجتمع ، في مختلف شئونه ومظاهـرة ، بهـا تدفـع المهور للزوجات ، وتدفع الدية وفقاً للنواميس والشرائع المعروفة المتوراثة ، الشيء الوحيد الذي يحسد المرء من أجله ، وقليل الماشية لابد أن يسـعى فـي الحصول عليها بمختلف الوسائل ، سواء بالعمل في الحكومة ، أو بالعمل في الخارج . (٢٠)

وللماشـية وضـع خـاص فـي الممارسات الدينية ، حيث تقدم كأضاحي لإسترضـاء أرواح السـلف أو لسقوط المطر ، وللاستشفاء من المرض ، ولزيادة الخصـوبة ، وفي البناء الاجتماعي في الزواج وتوطيد علاقات الصداقة والقرابة ، وإنهـاء عداوات الدم وجرائم أخري مثل الزنا ، وفي الفن والجمال وأنشطة ثقافية أخـري . وللماشـية فوق ذلك أهمية روحية ، لأنك لا تري الدنكاوى مسروراً إلا وهو يتحدث عنها أو يرعاها أو يتأملها أو يتفنن بسيرتها . (٢١)

وإلـي جانـب الرعي كحرفة رئيسية ، فإنهم يمارسون الزراعة والتجارة وصـيد السـمك وصـيد الحيوانات البرية كحرف ثانوية ، فإقتصادهم يقوم علي الاكـتفاء المعيشي والحصول علي الطعام ، وليس الهدف الأساسي له تعظيم قيمة

الفـــائدة وتراكم الثروة . ففي الشتاء عندما يميل الطقس للبرودة وتقل المياه وتذبل الحشـــائش ، يقوم الصيادون من الدنكا بحرق الحشائش لطرد الحيوانات وصيدها ، وبالحريق يهيئون الأرض للزراعة في الموسم الجديد . وعندما تنمو الحشائش بعد سقوط الأمطار ، يبعث الدنكا بكشافين لتحديد الأماكن الصالحة للرعي ، وتذهب بعد ذلك طبقة الشباب إلي المراعي مقيمة حتي فصل الجفاف . [٢٢]

ويلاحظ أن الرعي والزراعة عند الدنكا حرفتان متلازمتان ، وتوجد علاقة وثـيقة بيـنهم . فالزراعة المتكررة للأرض تفقد خصوبتها ، لذلك يستخدم السماد الـبلدي للماشية لإستعادة خصوبة التربة ، ومن ثم عدم وجود ماشية معناه مزارع فقيرة . وأهم المحاصيل الذرة الشامية واللوبيا والدخن [٢٣] (شكل ٢)

* **أصل الدنكـــا :**

تاريخـيا فـإن الدنكـا لا يسـمون أنفسـهم بهـذه الأسم ، ولكن يطلقون علـي أنفسـهم **Moin Jiang** ، وأطلـق علـيهم فـي الأدب السوداني للقرن التاسع " بالزنج " **Zang** أي الأفارقة غير المسلمين . وبداية ظهور أسم الدنكا كان في فترة الحكم المصري البريطاني ، عندما بحثوا عن الأمير **Deng** ، وقالوا لهم أن **Deng Kak** ، أي دنـج هناك ، ولهذا سموهم **Denka** ، وإستمر الإسم بعد الحكم الثنائي . [٢٤] أما الاسم القديم **Mony Jang** وتبسيطه **Jieng** أي سيد العالم ، ويؤكـد " مكمـايكل " أنـه تحـريف للاسـم الأصلي **Jiel** ، الذي يعود إلي نبي الله يعقوب . [٢٥]

ويذكـر شـعب الدنكـا أن جدهـم الأكبر هو " أيول ديت " أو أيويل جيل **Ayual - Jiel** كمـا ورد العهـد القديم **Genesis** ، وذكر أنه يتمتع بخصائص روحية عظيمة ترقيه إلي مرتبة النبي ، أنجبه جيل من أم عاقر عمرها ٨٠ سنة ، فحيـثما ذهبـت الأم إلي البحر لتصطاد الأسماك ، خرج أله شبه إنسان ربما كان ملاك من البحر ، وعندما رأته إرتبكت فطمأنها ، وقال لها : لا تخافي أيتها المرأة ، فـردت : كـيف تقول لي إمرأة ولم أنجب طفلاً بعد ، فقال لا تخافي فأني أوحي إلـيك إنـك تلدين أبناً ...فحملت الأم وأنجبت أيوُيل ، وقد كانت الأم متزوجة من **JIEL** تماماً كما أوحت الملائكة للسيدة العذراء أن تلد يسوع المسيح . [٢٦]

ومــن ثم يمكن القول أن الدنكا والشلك والنوير ربما انحدروا من JIEL من نسل يعقوب أي أنهم ساميون . ويؤيد ذلك وجود تشابه بين الحضارة الناطوفية فــي فلســطين منذ سبعة آلف عام وحضارة النيليون في الشهيناب والخرطوم منذ العصـــر الحجـــري الوسيط مثل الأسلحة والأدوات الحجرية كالمقاطع و الأزاميل والرماح والأواني الفخارية ذات الخطوط المموجة . (٢٧)

ويؤيــد ذلــك أيضــاً التشابه الثقافي بين نسل يعقوب والنيلين في التنشئة وعادات الزواج عند الدنكا اليوم فمثلاً : -

- يــتولى الابــن الأكــبر أمــر زوجــات أبــيه غــير الأم لإنجــاب أطفال ينسبون إلي المتوفى .
- عــند وفــاة شــخص غــير مــتزوج يــتولى أخوه الزواج من فتاة وينسب الأطفال للمتوفى .
- يمرر الجد أو العم الأولاد بين ساقيه كإجراء في طقوس المباركة .
- عــندما تذبــح الذبــائح إحتفالاً بقدوم الضيوف ، يقوم الضيوف بالوثب فوقها علامة علي الأحترام والتقدير ونوع من التكريم .

ويذكــر الدنكــاويون أنهم ذكروا في العهد القديم للتوراة عند النبي شعيب Isiab فصل ١٨ : أن شعب كوش يعني السودان ، وكوش تعني الرجل الأسود ، ويعــتقدون أنـــه توجد صلة بين اليهود وشعب كوش . و كوش هو مؤسس الدولة الكوشية الشهيرة التي دامت أكثر من آلف عام حتي القرن الرابع الميلادي ، وكوش مــن حام ، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن الدنكا لهم علاقة بالحاميين مثل النوبة والفور والــباري والــبجة. فيعتقد بول قاك أن الدنكا ساميون وحاميون من نسل يعقوب ، شـــاركوا في إظهار الحضارة الناطوفية في فلسطين منذ سبعة آلف عام ، ووصلوا مــن آسيا إلي مصر عبر الساحل الجنوبي للبحر المتوسط ، وإستقروا بمصر لفترة زمنــية ، حيــث يعــتقد الدنكاويين أن هناك تشابه بين حضارتهم وحضارة مصر الفرعونــية مــثل أشكال الرماح وعصا الرماية وطرق الدفن القرفصاء وإستخدام المقلاع لصيد الطيور ، وأرديتهم الجلدية حول الخصر ، وكذلك تشابه الأسماء (٢٩)

ومـــن مصر أتجهوا جنوباً للنوبة ، وعرفوا بحضارة المجموعة C، كرعاة للماشــية منذ أربعة آلاف عام . ويقترح R . Haaland أن حفائر Kadero علي بعد ٤٠٠ ميل من حوض النيل الأعلى ، تدل علي وجود نظام إقتصادي مماثل لنظام الدنكا والنوير منذ ٣٣٧٢ ق . م .

ويعرف أن الدنكا عندما سقطت دول كوش بمروي ، نزحوا جنوباً في مجموعتين :

الأولي : إتجهت صوب البحر الأحمر ثم كسلا وأخيراً إلي الخرطوم .

الثانية : إتخذت طريقها بإمتداد النيل إلي شندى والخرطوم .[٣٠]

وسرعان ما إلتقت المجموعتان عند الخرطوم KURTOUM [٣١] أي إلتقاء فرعـــي النيل الأبيض والأزرق ، لان لفظ TOUM في لغة الدنكا بمعني يلتقي ، Kir بمعنـــي نهـــر . وإستقر شعب الدنكا طويلاً في الخرطوم وأم درمان ، ولكن دخـــول الجامعـــات العربـــية للسودان ، أدي لنزوحهم تجاه الجنوب ، وذلك نتيجة للحـــروب مـــع ســـكان الشمال ، أو بسبب الحاجة للماء والكلأ ، وإنتشروا جنوب السودان غرب النيل الأبيض أو شرق النيل الأزرق .

ثالثاً : الديانة التقليدية للدنكا

الدنكا شعب شديد التدين ، أخلاقيين ، ذوي مثل ، مهمومين دائما بكلمة الله ، يخفـــون المعصـــية أو إرتكابها سهواً أو غفلة . وأن الله يعلم الصواب والخطأ ، لا يرضي الظلم أو القسوة أو الكذب ، وإذ ما أخفي الإنسان هذه الخصال السيئة ، فأن الإلـــه سوف يكشفها ، وبذلك يتوفر السند الأخلاقي للعدل بين الناس . وتتبع الديانة عندهم لتلبي حياة أمنة ومستقرة للإنسان في الدنيا وتستمر المشاركة في الآخرة.[٣٣]

والدين عند الدنكا مثل معظم سكان جنوب السودان من الوثنيين الذين يعيشون علـــى الفطـــرة ، وليس هناك غير فئة قليلة إعتنقت الدين الإسلامي أو المسيحي ،

وذلك وفقاً لتقرير لجنة تقصى الحقائق عن حوادث جنوب السودان عام ١٩٥٦ كما هو مبين في الجدول التالي :-

- المسلمون الجنوبيون حوالي	٤٠,٠٠٠
- المسيحيون البروتستانت ما بين	٢٥,٠٠٠ - ٢٦,٠٠٠
- المسيحيون الكاثوليك ما بين	١٨٦,٠٠٠ - ٢٠٠,٠٠٠
- عقائد أخري	٣,٠٠٠,٠٠٠ أي حوالي ٩٠% من عدد السكان[٣٤]

ومـــا يعنـــي الدنكـــا في المقام الأول ، ليس نوعية الدين الذي ينتمي إليه الإنســـان ، ولكـــن مدي تدينه . والرجل الروحاني هو الذي يظهر ويعكس قدرات وكـــرامات روحـــية خارقة وعزيمة قدسية ، يحظى بالتبجيل والتعظيم لكونه رجل الإله القادر علي ثواب الخير وعقاب الشر .

ومما يفسر زيادة عدد المسيحيين علي المسلمين ، أن المبشرين حظوا بميزة فـــريدة ، لأنه كان ينظر لوجودهم بينهم كرسل لنشر كلمة الإله ، ولفعل الخير من أجـــل الإنســـانية ، وحـــتى الإشارة للقساوسة كرسل " كأباء " يتسق ومفهوم الدنكا للزعامة الروحية . والإشارة إلي ألقاب الأسقف أو القسيس بالنبيل أو السيد ، تحمل نفسي المعني للفظ " بيني " في اللهجة المحلية لزعمائهم الروحانيين ، وينظر إلي الواجبات علي أنها متشابهة . [٣٥]

ومـــن حيـــث الديانة التقليدية فإنهم يعتقدون في نسق علي درجة من حيث المكانة ، فهناك الآله الخالق أو القوة التي لديها القدرة علي الخلق نيـــالك **Nhialic** والتـــي تشير إلي الكائن الأعلى أو الأسمى ، ومن سماته القوة أو العدالة والسمو والارتفـــاع. ثـــم هـــناك **Dengdit** الكائن الروحي المقدس أو هو الكائن الوسيط بيـــنهم وبين الإله نيالك ، وإليه ينسبون قدرات الخير والشر والمنح والمنع وصنع الخـــوارق والمعجـــزات ، ويبـــتهلون و يلجـــأون إلـــيه عـــند الشـــدائد كما في حالات العقم والمرض ...... الخ .

ثـم يعـتقدون فـي كثير من الأرواح التي يسموها Jok وهي بمثابة قوة خارقـة تتميز إلي حد كبير عن قدرات الإنسان والمخلوقات الدنيوية ، تعمل وراء مجـال الأفعال الإنسانية ، ولكنها لا تشكل عالماً خاصاً بها مستقلاً عن الإنسان ، أنها تشارك في الحياة البشرية بل وفي إتجاهات الناس نحو الخير والشر . (٣٦)

فالدنكـاوي يـنظر إلي الجنس البشري كما لو كان خاضعاً لقوة عليا لديها القدرة علي الخلق والتدمير ، وطالما كان هولاء البشر مختلفين فأن آلهتهم مختلفة ، ومن ثم فأن لكل جماعة سواء كانت عشيرة بدنة آلهتها الخاصة ، والتي يعبر عنها الدنكـاوى حين يتوسل إليها لاستعادة التجانس . وينظر إلي العالم المحيط به وكأنه ينقسـم قسمين ، الآلهة الذين يتميزون عنه ويشكلون طبيعة مغايرة ، وأولئك الذين ينـتمون إلـيه من الناس أو القوي الروحية الذين يشاركونه طبيعته الدنيوية . هذه الـنظرة الثنائـية هـي التي تشكل الفكر الديني الدنكاوى والذي يدور أساساً حول التمايز القائم بين طبيعتين تعملان معاً في عالم واحد وفي واقع التجربة والممارسة اليومية . (٣٧)

وتدور الديانة التقليدية للدنكا حول العناصر التالية : -

<u>أ- نيالك Nhialic :</u>

يؤكـد شـعب الدنكا أن الآله واحد يسموه نيالك ، وأنه آله كل العالم ولكن يسـمي بأسـماء مختلفة ، فعند النوير كواث ، والمسلمين الله والمسيحين الرب ... وهكذا . (٣٨)

ويعترف شعب الدنكا بكائن ذي قوة وفاعلية روحية يسمي نيالك ، ويرتبط بالفلك والسماء ، ولذلك فإن أسمه مشتق من الكلمة المحلية nhial أي الأسمى أو الأعلى ، مقيم بالسماء ، خالق الكون ومنظمه ، ومحدد مصير الأشياء والمخلوقات ، مرسل السحاب والمطر ، ومن صفاته القوة والعدالة والسمو والارتفاع ، يلجأ إليه في الأمور العظيمة ، ويعتقد فيه كل قبائل الدنكا . (٣٩)

ويعـتقد الدنكا أن كائنهم الأعلى له قوي كل الأرواح ، خالق العالم ، وإليه تعـزي كـل الأشـياء فـي حـدود مداركـهم ، مـنزل المطـر ،لكن لا يـتدخـل فـي الشئون العادية اليومية ، لأنها من شأن الجوك ، لذلك فان الإبتهالية

الأولـــي للمتعبديـــن من الدنكا هي : " أي إلهي وأسلافي " ، وتشير إلي العنصرين الرئيسيين في عقيدتهم .

ويقـــال عن نيالك ، أنه عاش منذ فترة طويلة بالقرب من الأرض ، وذات يـــوم هجرت امرأة زوجها وهربت إلي الغابة حيث عاشت هناك ، وبعد أن طحنت الحبوب لغذائها رفعت الجرة لتضعه علي رأسها فأصابت نيلك في بطنه ، فغضب ، لذلك وصعد عالياً إلي مقره الحالي بعيداً عن الأرض . (٤٠)

أ- **دينج ديت Dengdit :**

الديـــنج ديت قوة روحية ومعناه المطر العظيم ، وينظر إليه علي أنه روح مســـاعدة لنيالك ، فهو كائن روحي مقس ووسيط بينهم وبين نيالك ، وإليه ينسبون قدرات الخير والشر والمنح والمنع وصنع المعجزات ، يتوسلون ويبتهلون إليه عند الشـــدائد مثل حالات الجفاف أو العقم أو المرض ، وينسبون إليه الظواهر الطبيعية التـــي لا يســـتطيعون تفســـيرها مثل الرعد والبرق والمطر ، فالرعد هو الصوت الغاضب للآله ، والبرق هو الهراوة التي يضرب بها شرور العالم . (٤١)

وعلي ما يبدو فإن الدنكا يختلون في نظرتهم إلي دينج ديت ، فدنكا جنوك فـــي بحـــر الغـــزال يزعمون أنه لاآول له ولا آخر ، مما يعني أنهم لا يعرفون معلومـــات وافـــية ، و دنكا نيل في النيل الأبيض ، يجعلون منه كائناً قريباً من الناس ، وأنه كان يوماً ما علي الأرض يحكم القبيلة ، وهذا ما يجعلهم يعتقدون أنه بمثابة الجد الأول للدنكا . (٤٢)

ويحكـــي معظـــم الدنكا أساطير عن أصل دينج ديت ، فيقال أنه منذ فترة طويلـــة كان غاضباً من زوجته **Aluk** ، فأرسل طائراً **atoc** ليقطع الممر بين السماء والأرض الذي كان موجوداً آنذاك . (٤٣) ويعتقدون أن دينج ديت لا يستطيع الإنسان أن يتحاشاه ، فذكر إيفانز بريتشارد إحدي الترنيمات عند الدنكا :

الإنسان الذي يتحاشى دينج
سوف يجده أمامه
عن اليمين سيجد دينج
وعلي اليسار سيجد دينج

ومن خلفه سيجد دينج . [٤٤]

وتقــدم القرابيــن لديــنج ديت في هياكل أو أكواخ عبادة منشرة في جميع المواطــن الدنكــا ، فلكــل قبيلة دنكاوية هيكلاً خاص بالطقوس الهامة والحفلات الخطــيرة ، مــثل حفلة المطر الرئيسية أو حفل الحصاد ، وحفل تنصيب البين بن الجديد ، وعادة ما يكون الهيكل قريباً من منزل البين البيت . [٤٥] ولا يختلف شكل الهــيكل عن الكوخ الدنكاوى المألوف ، ويكون أمامه عادة نصب لتقديم القرابين ، وهو عبارة عن جذع شجرة صغير أو فرع كبير متشعب . (شكل ٣)

وأبــواب الهــيكل عادة مغلقة ، ويمثل الكهنة خدم دينج ديت ، ولا يسمح أحدهــم دخــول الهــياكل ، ومــع ذلــك ربما سمح للزوار الذين حضروا لتقديم القرابيــن طمعاً في النسل أن يدخل ليتبرك ، وليدعو لتحقيق أمنيته . ويدخل الزائر فــي هذه الحالة مصحوباً بأحد السدنة عن يمينه وآخر عن شماله ، ولا يجوزله أن يقــدم القرابيــن إلا بعد أن يأذن له دينج ديت عن طريق الحارس الأول للهيكل ، ويظــل الطالــب في الإنتظار ولو لبضعة أيام حتي يأتي الأذن للهيكل بالذبح ومن الــنادر جــداً أن يــرفض الطلب ، و إلا كان ذلك نذيراً بكارثة تحل بصاحبه ، ويضحي بالذبيحة برمح خاص محتفظ به لهذا الفرض .[٤٦] (الأشكال ٤ ، ٥ ، ٦)

وقــبل مغــادرة المتعبد الحرم ، يودم أحد خدم الدينج ديت بأخذ كمية من تراب الأرض المقدسة ، ويخلطها بالزيت وينثرها علي جسد المتعبد ، وربما أعطي حــربة أو شي من هذا القبيل ، علامة علي الرضا وقبول تضرعه . [٤٧] وعادة ما يقــدم صاحب الحاجة بعض التبغ يلقي به علي كومة الرماد المتراكم أمام الهيكل ، وهذا الرماد يتراكم بسبب الطبخ المستمر لقطع من القرابين ، ويصبح كوماً مقدساً تلقي عليه محتويات المعدة والأحشاء بعد ذبح الماشية .

وتسمي مقصورة الدينج ديت بإسم اللواك (شكل ٧)، ويحتوي بداخله علي أدوات مقدســة مــتعددة مثل الرماح مقدسة مدببة الشكل أو ذات حواف علي شكل ورقة النبات ، وتصنع هذه الرماح من حديد أحمر خاص ، ويعتقد أنها لو سرقت ، فــان عقوبة السارق إما أن يموت أو تكسر قدميه ، أو لا تنجب زوجته حتي يعيد الرماح . [٤٨]

وهذه الرماح ذات صلة بصنع المطر ، وبعضها لا يستخدمه ولا يمسه أحد سـوي البيـن بيت ، وهي عموماً أتقن صنعاً من غيرها ، ويروي أن الدينج ديت تراءى في المنام لأحد الزعماء ، وأمره بالبحث عن أحسن رمح يضعه في الهيكل ، وتجدد من آن لآخر بوحي من دينج ديت ، ويذبح بالرمح الجديد شاه بيضاء ، يأكل الشيوخ والعجائز أقارب البين بيت لحمها ، ويترك دمها علي الرمح ثلاث أيام ، ثم يغسل ويزيت ويحفظ ، وتلقي عظام الشاه سليمة في النهر . (٤٩)

وبداية موسم المطر كل عام ، يضحي أهل البين بيت في كل قرية بشاه إلي ديـنج ديت ويشكروه ويمدحوه ، ويقطعون الشاه نصفين عرضياً ، نصفها العلوي يقطع ويقذف في الهواء كطعام للكلاب والطيور ، ويؤكل النصف الأخر ، ويحتفظ بـالجلد والعظـام لمدة سبعة أيام ، ثم يقذف بهما في النهر مع بعض الدخن. ومما يبعث علي الظن بأن الدينج ديت له صلة بنشأة القبيلة وتأسيسها ، ما يروي أن قبيلة سـيك تذكـر أن له أولاداً يسـمون أولاد دينج ديت ، وهؤلاء حلت فيهم روحه ، ويعتبرون المؤسسون لكثير من العشائر مثل Atem Awol. (٥٠)

ج – الجوك Jok :

يعـتقد الدنكـا فـي قوة أشد اتصالا بالحياة العادية تدعي جوك أو أرواح السـلف وبخاصة الأقوياء والأبطال الذين ماتوا منذ فترة طويلة . وعادة ما يبدأون ابـتهالاتهم بعـبارة أي نيالك ويأرواح السلف ، وهذا الترتيب له مغزاه لأن لا شك أن نـيالك أعلي مقاماً من روح السلف ، ومع ذلك ففي المعاملات اليومية والأمور العادية يلجأ الدنكا إلي جوك . (٥١)

والجـوك عـبارة عـن قوي روحية أقل من الإله نيالك وأسمي في نطاق الموجـودات عن البشر والمخلوقات الأخرى ، وتعمل خارج نطاق الزمان والمكان اللذيـن يحددان الأنشطة البشرية ، ولا يعتقد أنهم عالم روحي مستقل عن عالمهم ، وإنمـا هي قوي روحية فوق بشرية ، تشارك في الحياة العامة للبشر ، ويعتبروهم امتدادا طبيعياً لحياتهم ، وأنهم قد يجلبون لهم الخير والشر ، ومن هنا جاء تقديسهم لها وممارسة الطقوس والشعائر نحوها . (٥٢)

والجوك هي الروح الحارسة للعشيرة ، يتابعون بإهتمام دائم أعمال أحفادهم ، ومستعدون دائماً لتقديم العون لهم عندما يلجأون أليها عند الشدائد . فتعتبر أرواح السلف القوة الراعية للخلف يعتقدون فيها إلي حد بعيد ، ويخافون منها ويحاولون استرضاءها بتقديم القرابين والضحايا ، وإذا تجاهلوها ترسل إليهم الأمراض وسوء الحظ والموت ، وتغضب الجوك وتثور لمعاقبة المذنبين وترغمهم للعودة إلي الفضيلة . وتقوم بدور الشرطي لأي شخص يتوسل إليها بنجاح طالباً مساعدة الأرواح .

وبالرغم من أن الأب لا يخبر أبنه عن الجوك حتي يبلغ سن العاشرة ، فأن الجوك يعلم بولادة الطفل ، ويتولاه بالحماية منذ البداية ، ويهرع لمساعدته عند مواجهته أي خطر مفاجئ ، ويتضرع المرء في أوقات الشدة إلي أرواح أسلاف عشيرة أبيه أو عشيرة أمه ، فتسمع الجوك النداء وتهب لمساعدة الخلف ، تدخل جسده ، وتهب سواعده القوة ، ولا تتركه إلا إذا تغلب علي خصمه وأغمد فيه حربته . (٥٣)

وعندما يمرض شخص ، فأنه يقدم القرابين من الماشية أو الشاه أضحية للجوك ، ويجب علي من يذبحها أن يكون متزوجاً وله أولاد ويفضل كبير العائلة ، ويترك جزء من لحم القربان ليلاً في منزل المريض نصيباً للجوك . ، ويجمع الدهن في وعاء ويترك في المنزل أيضا للجوك ، وفي اليوم التالي تطهي اللحوم ويأكلها أهل العشيرة ، أما دم الأضحية فيترك ليجف علي الأرض ، ثم يدفن أمام المنزل بالقرب من مكان ذبح الحيوان . (٥٤)

د . الأتيب Aticp :

يعتقد الدنكا بأن الإنسان روح تسمي الأتيب ، وتعني أيضاً الظل ، تفارق الجسد عند الوفاة ، وتظل هائمة حول المنزل حتي يبني لها مقصورة ، وتقدم لها القرابين ، وتتم مراسم الوفاة . ولابد أن نفرق بين الجوك أرواح السلف مجتمعة ، وروح الأتيب هي روح الأشخاص قليلو الأهمية المتوفين حديثاً ، ولا يكون لها ذكر أو خطر إلا بعد الوفاة مباشرة ، وأما بعد مدة فيقل خطرها ، وتندمج بالتدريج في الجوك وتصبح جزءاً لا يتجزأ منه . (٥٥)

وتجـــوال الأتيـــب هي أكبر مصدر للأحلام ، وقد تطلب الأتيب من الأب أو الأم أو الأجـــداد بعض الطلبات الخاصة مثل الطعام في أي وقت من الأوقات ، عـــندئذ يـــأخذ الشـــخص الدقيق ويخلطه بالدهن ويضعه في وعاء صغير في ركن كوخه ، ويتركه حتي المساء إلي أن يأكله أو يشاركه أحد أبنائه عشيرته وليس أي شـــخص آخر ، فإذا خالف بالحلم ولم يقدم الطعام للأتيب ، فأن الأتيب ربما تصيب الحالم أو زوجته أو أولاده بالمرض . (٥٦)

ويوجد الجوك والأتيب حول القرى التي يعيش فيها أحفادهم ، وقد يتخذون من المناطق المجاورة لحرمهم موطناً لهم ، والجوك أكثر قوة ونشاطاً من الأتيب ، ولكـــن الأتيب تكون في أكبر قوتها عند الموت . ويبقي الجوك علي قوته ونشاطه ويتطلب إرضاءه عن طريق تقديم القرابين والأضحيات التي تقدم لهم في المناسبات التقليدية ، وقد يظهرون في الأحلام لأحفادهم طالبين ذبح ثور أو أي حيوان أخر ، وقـــد يتصلون بالأتيب ويأمرون بإبلاغ رسالتهم ، فإذا أهمل طلبهم أرسلوا المرض والحظ السيئ وبعض الأمور التي لا تعالج إلا بالأضحيات .

<u>هـ ـ التيت Tiet :</u>

يتميز بعض الرجال والنساء بالقدرة علي الرؤى والاتصال بأرواح الجوك والتيـــب ، ولذلـــك يسمون **Tiet** وتعزي قوتهم إلي أرواح السلف التي تلازمهم . وتنـــتقل الـــروح عند موت التيت ألي أقرب أقربائه ويصبح الأمر وراثيا . وأحيانا يخـــبر التيت أحد أقربائه أنه بعد موته أو موتما ستنقل الروح إليه ، ومن العلامات علي انتقال الروح إلي مقرها الجديد هو رعشة الأطراف وفترات عدم الشعور. (٥٧)

ويحكـــي لينهارت أنه سمع في إحدى الليالي أن شخصاً يدعي أجاك لبسته روح علـــي صلة وثيقة بالجوك ، وأخذ أجاك يجرى خارج الكوخ ، ولا يسمع من يخاطـــبه ، وفـــي حالـــة هياج عاطفي ، ويغني بأغاني غير مفهومة ، هذه كانت علامات تملك الروح ، وقال أحد الأشخاص أن الأغاني هي ترانيم للمعبود . (٥٨)

وفي أواخر الخمسينيات ، حيث بدأ التغير والتحول بعد الاستقلال ، كان رد الفعل أكثر تقليدية ، فحدث وسط دينكا أنقوك ، أن شاباً من عشيرة الباجوك أصبح مسكوناً بأرواح أسلافه ، وأصبح وسيطاً للإصلاح ، وطلب من كبير الزعماء تقديم

القرابين المناسبة للإله والأرواح سعياً لمساعدتهم والتراتيل الدينية التي تعلن رسالته إحتوت علي المعاني التالية : -

أعيننا تتمزق بالبؤس

أيها الزعيم الكبير صل للإله

أردفانا تيبست من الجوع

أيها الزعيم الكبير صل للإله

هل تقام الرقصات فقط ليلاً

وكأنها رقصات الأشباح

يأيها الزعيم الكبير ، صل للإله. (٥٩)

وقـــوي التيت توجه مباشرة لتشخيص وعلاج الأمراض ومعالجة العاقر ، وقـــد يعطي أرشادات خاصة بماشية مفقودة وبعض حوادث الحياة اليومية الأخرى فهـــم كهـــنة القبـــيلة والوســـطاء بين الناس من جهة ، وبين الجوك والدينج ديت مـــن جهة أخرى ، وقد يلجأ إليهم في بعض الحالات الشاذة مثل الزواج عن جهل بين المحارم ونحو ذلك . (٦٠)

وعـــدم إنجـــاب الأطفـــال قـــد يعـــزي إلـــي عدم رضاء الجوك ، فإذا لم يعـــرف الـــزوج سبب ضعفه فيستشار التيت ، وغالباً ما يقول " أعط أبقاراً أكثر إلـــي صهرك " ، والفكرة في أن ذلك سيرضي جوك عائلة الزوجة لأنه غاضب ، أو أن يصف التيت قرباناً يقدمه الجانب الأخر من العائلة للجوك ، لأن جوك عائلة الزوج ربما يكون غاضباً إذا تهكم أخوة الزوجة من زوجها لعدم إنجابه أطفالاً .(٦١)

وتخـــتلف الـــنظرة إلي التيت حسب مقامها ومركزهـــاالاجتماعي له بعض الأثـــر فـــي نظـــر الناس إليهم . فإذا كان التيت فرداً عادياً ليس من الرؤساء ذوي الثراء أو ينتمي إلي أسرة زعماء المطر ، فلابد أن تكون له شخصية قوية لكي يثق بـــه الـــناس ويخضـــعوا لأوامـــره . (٦٢)

ويصف سلجمان ثلاثة من هؤلاء : أولهم إمرأة ليست بذات خطر ، وكانت تعـــيش في بلدة مالك ويتحدث الدنكا عن صراحة أنها لا أهمية لها . والمثال الثاني رجل يدعي لوال من بلدة جولا بالقرب من بور وهو من نوع الوسط ، يطاع أحيانا

. وإذا ترتــب علــي عصــيان أوامــره نتائج سيئة أظهر الناس الندم وعادوا إلي استشارته وامتثال أوامره .

والمثال الثالث شخص يدعي وال من دنكا علياب ، كان يتمتع بنفوذ عظيم ، ليس مقصوراً علي قبيلته ، بل كان بعض الباري والنوير يلجأون إليه في الشدائد والملمــات . وإســتمد نفوذه من شخصيته حيث كان شاعرا يؤلف الأناشيد ، وثانياً مركزه الاجتماعي لأنه كان يطلق عليه زعيم بين بيت إن لم يكن من كبار الزعماء ، فأنه علي الأقل زعيم قريته . وثالثاً المصادفات فقد لأحظ الناس أن كل من يخالفه أو يشــاكله تحــل به كارثة من الكوارث بعد زمن وجيز . وهكذا إجتمعت ظروف مختلفة لتجعل من هذا التيت شخصية روحية ممتازة تتمتع بشهرة واسعة .

و . القرابين والأضحيات :

الدنكــا من أكثر شعوب السودان تديناً ، ولا يحدث حادث خارق للعادة أو مخالف للمــألوف إلا كــان مدعــاه لإقامة الشعائر وتقديم القرابين . فعند ولادة توأمين ، يســتعدي في هذه الحالة الوالد جميع أقاربه من الذكور ، ومعهم أحد كهنة التيت ، ومــن الممكــن أن يشهد الأحتفال أقارب الأم أيضا من الذكور ، ثم تقام الصلوات للألــه الأكبر نيالك ، ويذبح عجل ويمسح ببوله الأبوان والرضيعان **ويتلي الدعاء التالي :**

أنت أيها الإله الأكبر نيالك

أنت الذي خلقتهما ، وأنت الذي أتيت بهما

فلا ينبغي لأحد ، أن يبغضهما أو يضمر لهما السوء

أنت الذي تهب الحياة وتعطف

أنت وحدك القادر والناس عاجزون

إنا نقرب لك هذا الذبيح ، فاقبل منا ثمناً لما وهبت وأمنحهما الحياة . (٦٣)

هذا الدعاء يعطينا فكرة عن شدة تدين الدنكا ، والأسلوب الذين يتبعونه في مخاطبة الإلــه الأكــبر ، وشتان بينهم وبين بعض النيلين الحاميين ، الذين يعالجون مشكلة التوأمين بقتل أحدهم لكي يعيش الأخر .

وأي ظاهرة سماوية غير مألوفة ، مثل سقوط شهاب من السماء أو ظهور مذنب أو نحو ذلك ، يبعث في النفوس الرهبة والخشية ، ويفزع الناس إلي الآله الأكبر نيالك ، بـالدعوات والصـلوات والقرابيـن . مثلاً رأي أحد رجال الدنكا في حقله قرعة عسـلية ضـخمة بشكل غير عادي ، فآمن أن هذا من صنع الأرواح ، وأن روح الجـوك نزلـت حقله . وأستعد للتضحية بماعز ، ودار الحيوان حول القرعة عدة مرات حتي يتبول ثم يذبح من رقبته ، ويسيل دمها علي تلك القرعة ، قبل أن تقطع وتؤكل . (٦٤)

ويحرص الدنكاويون علي تقديم القرابين من أجل سقوط المطر ، ويعتقدون اعتقاداً بالغاً في شخصية البين بيت صانع المطر الذي يحتل مكانه مرموقة في قبيلة ، يعتقدون أن هناك صلة ما بينه وبين الدينج ديت ، ولديه القدرة علي التوسط إليه مـن أجـل إسـقاط المطر ، لذلك نجد أن دنكا الرك علي سبيل المثال قد يتكبدون المشاق ويرتحلون نحو ٧٥ ميلاً من أجل تقديم الثور قرباناً لصانع المطر ، ليصلي من أجل سقوط الأمطار علي منطقة الرك الوسطي ، ولا يقتصر صانع المطر علي الوساطة لدي دينج ديت بل يتجاوزها إلي شفاء الأمراض وإبعاد الأرواح الشريرة . (٦٥)

والـزواج عـند الدنكا هو الزواج الإكسوجامي ، فلا يجوز لأي فرد من الدنكـا أن يبحـث عن زوجة في العشيرة التي ينتمي إليها أي عشيرة والده ، ومن المبالغة في الأغتراب لا يجوز له أن يتزوج من إمرأة تمت بصلة القرابة إلي والدة. ومـثل هـذا الزواج يعد في نظرهم من المحرمات بل من الكبائر ويجلب غضب أرواح السلف جوك ، وأن مثل هذه المعصية تجر المصائب والدمار وموت الأطفال أو عقـم الزوجات . وعلي أية حال فإن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تحدث ، لأن مـراعاة الشـعوب البدائـية للعرف واجب مقدس لا يحيد عنه أحد ، وعلي فرض حدوثـه فـإن العـرف يقضي علي الرجل أو أبيه أن يقدم فدية أربعة رؤوس من الماشـية ، وفـيها بقرة واحدة علي الأقل . ويمسح جسد الأثنين لتطهيرهم ببعض السوائل المستخرجة من بطن الذبيحة .

ومـــن الشـــعائر والطقوس الخاصة بأرواح السلف جوك في بعض حالات الـــزواج حين يتزوج الرجل من فتاه يتيمة الأب ، فإنه بالإضافة إلي المهر المتفق عليه من الأبقار ، يقوم بتقديم أضحية تسمي أكاما ، يمكن أن تكون ثوراً أو شاه أو ماعـــزاً إذا ما كان الزوج فقير . ويعتقدون أن عدم تقديم هذا القربان للأب المتوفى ســـيؤدى الـــى وفـــاة أرملته أم العروس ، إذا ما شربت لبن الأبقار المقدمة كمهر لابنتهما ، بل وتلقى حتفها إذا ما وطئت قدماها روث الأبقار .(٦٦)

وتـــنحر القرابين ليلا خارج القطية التي تسكنها أرملة المتوفى ، وعادة ما يقـــدم الـــرمح المستخدم في قتل الاكاما كهدية لمن قام بالشعيرة ، فضلا عن الفأس التي جمع بها الدم والنفاية المتبقية من الذبيحة لنقلها إلى مكان بعيد ، وتعطى عمة الـــزوج المرتقـــب قدر ماء وسلة مملوءة بالرماد ليعيد طلاء كوخ أم العروس من الداخـــل . ويـــأكل لحم الأكاما النساء أقارب العروس ، ويجففن عظام الضلوع في الشـــمس وتحمل لمكان إقامة الزوج ، وتغلى العظام وتوزع الحساء إلى الأطفال . ولا شك أن تقديم مثل هذه القرابين إلى أرواح السلف ما هو إلا نوع من الترضية فـــي محاولة لاستدرار عطفها وتأييدها لما سوف يقدمون عليه ودرءاً لغضبها الذي قد يؤدى بحياة أرملته إذا ما تجاهلوا أرواح الجوك.

ولا يقتصـــر تقديم القرابين على هذه المواقف ، فهناك العديد من المناسبات التي تقدم فيها القرابين ، كالرغبة في الإنجاب أو عقم الزوجة أو تفاديا للشرور التي قـــد تلحقهـــا آلهة الشر مكرديت ، والتي يعتقدون أنها نوع من الآلهة لا هدف لها سوى إلحاق الضرر بالإنسان والقضاء على الخصوبة والنماء والحياة أينما كانت ، تعـــامل الناس بقسوة دون عطف أو احترام، إنها مصدر الشرور و الآثام ، ومن ثم لا يتوسلون إليها لتساعدهم على تحقيق الخير أو المنفعة ، أينما يقدمون لها القرابين درءا " لشرورها واستدراراً لرحمتها . (٦٧)

باختصـــار فإن مكروديت هي التفسير النهائي للمعاناة وسوء الحظ ، لذلك بيـــنما تقدم الأضحيات لنيالك أو الدنج ديت أو الجوك من أجود أنواع الماشية ذات اللـــون الأحمـــر ، فان الأضحيات المقدمة لمكروديت تكون من الماشية السوداء ، وتقـــدم خـــارج القطية أو علي حافة المزرعة ، ويقدمها الابن الأوسط من الزوجة

الأخيرة ، لأن الابن الأكبر والأصغر لهم المنزلة كبري عن الدنكا ، فالأكبر يرث رعاية عائلة أبيه قطعانه ، والابن الأصغر يرث ما تتركه أمه ، بينما تقدم أضحيات الآلهـة الأخـرى داخـل منزل الزوجة الأولي موسمية عند بعض عشائر الدنكا ، فيضـحي دنكا البور بماعز أو أكثر عند بداية كل فصل مطر ، وذلك ليمنع الجوك الأذى عـن الماشـية . وعـند عشيرة السيك يقوم رب كل أسرة بتضحيات سنوية للجـوك حتي لا تمرض الماشية أو تموت أو يتلف المحصول ، فيذبح رب الأسرة شـاه ، ويسمح للدم أن ينسكب علي الأرض ، ويؤكل اللحم أمام المنزل بعد سلقه ، وأثناء ذبح الحيوان يقول رب الأسرة " جوك هذا نصيبك " . (٦٩)

- **اللعنات و البركات :**

يعتقد الدنكا اشد الاعتقاد في اللعنات والبركات ، إذا نطق بها الأقارب ، ولا يكـترثون بها كثيراً إذا كانت صادرة من الغرباء . فيرون أن أخا لعن أخته بالعقم في مشاجرة بينهما ، وتزوجت الفتاة ولم تنجب أطفالاً ، فدخل في روعها أنه بسبب لعـنة أخيها ، وتوسط أحد الأقارب لدي أخيها ليرفع عنها اللعنة ، وعملاً بالوساطة وتفاديا لطلاق أخته ، قام الأخ بذبح عجل صغير ثم تفوه ببعض كلمات معناها " يا أرواح أجـدادي إن كنت تسببت بدعوة صدرت من فمي علي أختي ، فارفعوا عنها هذه اللعنة " ، وبصق بعدها في أحشاء الذبيحة ، ومسح بها علي وجه أخته وجسمها ، وبهذا فقد رفع عنها أمر اللعنة وأن هذا الأمر نافذ حسب عقيدتهم دون مناقشة أو إلتباس (٧٠) .

ويسـتفعل هذا الاعتقاد بلعنة الرؤساء علي الرعية ، فإذا أراد أحدهم إلحاق الضـرر بأي فرد ، فأنه يأخذ خاتم الحديد من أصبع الشخص ، ويضعه فوق كومة مـن الحشائش ، ثم يدعو لصاحب الخاتم بالموت ، ويكسر الخاتم نصفين ، يترك أحدهمـا في العشب ، ويدفن الأخر تحت الجذور ، فتصيب بذلك اللعنة . ويتم ذلك بتأثير السحر الضار الذي يمارسه صناع الحديد من شعب الدنكا (٧١) .

كمـا يعتقد الدنكا في انتقال البركة من الأب إلي إبنه عن طريق البصاق ، ففـي الطريقة المتبعة لمباركة الابن ، يجلس الابن القرفصاء علي الأرض ، ويقف الأب بجانبه ، ويمرر خده الأيمن أولاً فوق راس الطفل ، ثم خده الأيسر ، ويبصق

الأب علـــي يديـــه ويمسح بها خدي الابن وصدره ورقبته ، وأخيراً يأخذ كمية من الرماد وينثر بعضها علي صدر الغلام وظهره ويلقي الباقي في الهواء (٧٢) .

ويعـــتقد الدنكـــا أن لعـــنة الجماعـــات المجاورة مثل العرب و النوير ، قد تصيب نساؤهم بالإجهاض أو العقم ، كذلك ندرة المحصول ومرض الماشية . وفي الدراسة الميدانية لجوك Jok عام ١٩٩٤ ، حضر احتفالاً أقامه أحد زعماء الرمح ، قدمـــت فـــيه الأضـــاحي لأرواح الســـلف ، وكرس الحفل للابتهال لوقف تفشي الإجهـــاض وعقـــم النســـاء ، وحضرت النساء العقر هذه المناسبة ، ومرر زعماء الرمح العديد من الرماح المقدسة علي بطون النساء ، وابتهلوا إلي أرواح السلف لـــترفع عنهم العقاب ، وإذا كانت لعنة العرب أو النوير هي المشكلة ، فإن علي الجوك أن يرفع البلاء ، وأنهم سيقدمون القرابين بإنتظام لاسترضائها (٧٣) .

وتصور حكاية شعبية عند الدنكا ، لعنة إحدى أرواح النوير ، التي وصلت أراضـــي الدنكا مع ماشية نويرية سلبها المحاربون الدنكا و بين في إحدى غاراتهم علـــي إقلـــيم النوير ، وأن هذه الروح تقمصت أحشاء نساء الدنكا الحوامل اللائى شربن لبن الأبقار النويرية ، وأدت الروح إلي مواصلة إجهاض النساء ومنعهن من التناسل علي المدى الطويل وفناء شعب الدنكا ، واستطاع زعماء البن بيت والكهنة أبطال مفعول هذه الروح واستمالتها بالتبجيل لأرواح الجوك عند الدنكا (٧٤) .

- **السحـــر :**

لا يلعـــب إلا دوراً محدوداً في حياة الدنكا ، لاعتقادهم الشديد في الجوك ، والســـحر عندهم نوعان ، الأول سحر نافع يقوم به الكهنة أو العرافون التبت سواء رجل أو امرأة ، يستطيع الاتصال بأرواح الأتيب والجوك وتقمص أرواحهم ، وعند مـــوت أحـــد كهـــنة التيـــت فإن روحه تنتقل لأحد أقاربه ، فالوظيفة ليست وراثية بالضـــرورة ، ودورهـــم الرئيســـي هو تشخيص الأمراض للإنسان أو الحيوان ، والعـــلاج بطـــرق الطب التقليدية مثل الأعشاب وتجبر العظام أو بأستخدام السحر والإتصال بالأرواح (٧٥) .

والـــنوع الثانـــي هو السحر الضار الذي يمارسه كهنة الأبت **Opeth** ، ويســـتطيع هولاء السحرة بأستخدام العين الشريرة أن يتسببوا في تلف المحاصيل ،

وأجهاض الماشية ، وموت الأطفال وغيرها من الأضرار التي قد تصيب الفرد أو المجـتمع . وهـذه القدرة ليست وراثية ، ولكن بمجرد أن يشعر الدنكاويون أن شخصاً يمتلك هذه الخاصية ، ينبذه المجتمع ، ويعتبروه مسئولا عن أي سو يقع لأي شـخص ، ولا يسمح له بالإقتراب من الماشية ، وتحجب الأطفال بعيداً عنه ، وإذا مـر بالقـرب من كوخ ما يتصرف الحاضرون بشكل مختلف ، فهو مصدر أذي للجمـيع ، لذلـك يعتـبر القـانون العرفـي للدنكا من يمتلك تلك الصفة مجرماً ، وممارساته جنحة يستحق عليها العقاب (٧٦) .

- **الطوطمية :**

يمـيز نظـام العشـائر عند الدنكا بين أجزاء القبيلة بعضها عن الأخر ، والعشيرة عادة مجموعة من الأسر لها إسم واحد وطوطم واحد ، وهذا الطوطم إما أن يكون حيوانا مثل التمساح أو فرس النهر ، أو بعض الزواحف والحشرات ، أو يكـون نباتاً أو جماداً كالنار أو السحاب . وتحترم كل عشيرة طوطمها ، فإذا كان حـيوانا لا تؤذيه أو تقتله ولا تمسه بسوء ، ويحترم الأطفال طوطم عشيرة الأب ، وبدرجة أقل طوطم أمهم إكراماً لخاطرها (٧٧) .

وتعلل العشائر الطوطم الذي اتخذته شعاراً لها بعلة واحدة ، لا تختلف من عشيرة لأخرى ، فيزعمون أن جدهم الأول أجد توأمين ، والتوأم الآخر هو الحيوان الذي غدا للعشيرة طوطما وشعاراً ، أو أن يكون مولد الجد الأكبر مصحوباً بظاهرة خارقـة لعادة مثل سقوط شهاب من السماء أو صاعقة تحرق الشجر ، أو غير ذلك من الظواهر الطبيعية غير المألوفة ، والعشيرة إما أن تسمي باسم الطوطم أو باسم جدها الأول . فتقدس عشيرة الثاني الثور ويحرمون علي كل أفراد العشيرة لمسه أو إلحـاق الأذى بـه ، أما الأجار فالطوطم نباتي تحوطه هالة من التقديس ، فيترك النبات علي حالة نموه الطبيعي ، فلا تلمس ثمرته ولا تؤكل ، ويحرم قطع النبات ، ومن يفعل ذلك ففيه تدمير لحياته (٧٨) .

والمفـروض أن إحترام الطوطم من اختصاص كل عشيرة واجب تفرضه علي نفسها والعشائر الأخرى لها طوطمها التي تحترمها ، وفي العادة لا ينتظر من إحـدى العشـائر أن تعظـم أو تبجيل شعار عشيرة أخرى ، ومع ذلك فإن بعض

العشـــائر القويـــة قـــد تغضب إذا لم يلق طوطمها كل إجلال وإحترام من العشائر المجاورة ، وهذا يؤيد أن بعض العشائر قد تصبح قوية فتفرض طوطمها علي من حولها وينتهي الأمر بأن يصبح الطوطم إسما لقبيلة بعد أن كان اسما لعشيرة (٧٩).

رابعاً : صانع المطـــر

المنصب الأكبر الذي يتقلد صاحبه الزعامة العليا وله نفوذ روحي كبير في القبيلة كلها هو البن بيت صانع المطر ، وكلمة **Bith** معناها الرئيس أو الزعيم ، **Ban** أي الـــرمح الخاص لا رمح القتال العادي ، بل رمحاً له نوع من القداسة ، كأنـــه بمـــثابة الصولجان أو الرمز للقوة الروحية التي يتمتع بها الزعيم . ومع أن الـــرمح قد لا يختلف كثيراً في مظهره عن شكل الرماح الأخرى ، لكن الأغلب أن تكـــون له صـــفه تميزه ، وكثيراً ما تكون سنانه مربعة ذات أشواك ، أو من النوع والذي يحاكي ورقة الشجر المستطيلة (٨٠).

والبن بيت هو الزعيم الديني وله نفوذ كبير في الشئون المدنية ، وهو أيضا جالـــب المطر الذي يستطيع أن يؤدي المراسيم والطقوس لجلب المطر ، ويعتقد انه يمـــتلك قوي روحية متوارثة من الأجيال السابقة لعشيرته ، فتحل فيه روح السلف الأكبر لقبيلة الدنكا الذي يصله عبر الأجيال ، ويستطيع أن يعالج الأمراض بالتلويح بأحد رماحه المقدسة عليهم ، ويستطيع القتل باللعنة ، ويمكنه حماية المحاصيل من الجراد بدخان ناره المقدسة ، وينظر إليه كحاكم مقدس بنفس المفهوم مثل الرث عند الشلك . (٨١)

ويحقق البين بيت الضبط الإجتماعي لمجتمع الدنكا من خلال قوته الروحية المـــتوارثة ، فدعواتـــه وصلواته تحدد الثواب والعقاب ، فالعطاء للذين يعملون في إطـــار الـــنظم الإجتماعـــية المقررة ، والعقاب لمن يخالف قواعد السلوك المقررة اجتماعـــياً . ولاشـــك أن سلطة صانع المطر مطلقة ، وتأصلت قوتهم الروحية من خـــلال استقامتهم وعدلهم ، لذلك إذا حاول أحدهم إستخدام قوته في آذى أي شخص دون وجه حق ، فأن قوته الروحية تختفي منه (٨١) .

والجديــر بالملاحظـــة أن أوطان الدنكا كلها لا تتعرض للجدب والجفاف ، اللهم إلا فترة قصيرة ، وغريب أن يتزعم القوم رجل يستمد نفوذه الأكبر من عمل ليس بذي خطر كبير في هذه البيئة ، وليس بمستبعد والحالة هذه ، أن يكون تمجيد جالــب المطر ظاهرة مستمدة من الإقليم الأول الذي نزح منه النيليون ، حيث كان الجفاف أوسع إنتشاراً والحاجة إلي إجراءات جلب المطر أشد وأعظم (٨٣) .

والمنصـــب عـــند الدنكا وراثي للابن الأكبر ، ومنحصر في بعض الأسر لا يـــتجاوزها إلـــي غيرها ، ولكن ليس من الضروري دائماً أن يرث الابن الأكبر والـــده فـــي هذا المنصب الخطير ، إذا لم تتوافر فيه شروط للزعامة وحسن الخلق واعـــتدال المـــزاج وقادر علي التحكم بالنفس ، ضد مبدأ إراقة الدماء ، ميال للعفو والتســـامح . فـــإذا تمتع الوريث بهذه الصفات نصب زعيماً ، وإذا كان غير ذلك يخـــتار أحد أقارب الزعيم من الذكور كأخ أو أبن العم أو أي عضو من العشيرة . وخلـــيفة الزعيم يكون معروفاً قبل وفاته ، مصاحبا له في حياته يتعلم منه الشعائر والطقـــوس والأدعـــية السرية التي لا يعرفها إلا البين بيت ويرددها في فترات الشدة للجوء إلي الآلهة والأرواح (٨٤) .

وصـــناعة المطر لها طقوس معينة يقوم بها البين بيت ، بتقديم قربان إلي الروح يسمي **Lerpio** للتوسل إلي دينج ديت لإنزال المطر . ويقام الاحتفال عادة خـــلال شـــهر أبريل من كل عام ، بعد مضي أيام قليلة من ظهور القمر الجديد . ويقوم البين البيت بهذه الإجراءات داخل حرم المطر المخصص لذلك ، ففي الصباح يساق ثوران بالقرب من الحرم (شكل ٨) ، يربطها صانع المطر ، وتدق الطبول ، ويـــرقص الـــرجال والنســـاء والأولاد معاً حول المقصورة وينتظر حتي يتبول الثوران ، ويدلك الأهالي جسدهم ببول الثيران .

وبعـــد ذلك ينصرف الجميع ما عدا الشيوخ ، ويقتل صانع المطر الثوريين بالحـــراب المقدســـة ، " ويغـــنون أي دينج ، وسلفنا المقدس ، أحضرنا الضحية ، فأرسلوا إلينا المطر ، نرجوك ونتوسل إليك أن تسقط علينا المطر " . وتجمع الدماء وتوضـــع علي النار ، ويأكل الشيوخ وصفوة المجتمع أحد الثيران في هذا اليوم ،

ويطهـــى جزء من لحم الثور الثاني في إناءين يضاف إليها نسبة كبيرة من الدهون لحفظها ، وتوضع في مقصورة دنج ، وتبقي حتي تقدم ضحية أخرى .

وصناع المطر عند الدنكا حكام مقدسون ، تكمن به القوة الروحية والحماية لشعبه والرضاء الطبيعي والنماء لإقليمه ، فإذا ضعف أو مرض تضعف هذه القوة ، وتـــؤدى إلي كارثة حتمية لشعبه ، لذلك لم يكن قديماً ينتظر حتي يموت ، ولكن يدفن حياً أو يشنق ، إعتقادا أنه بذلك يظل حياً في ذاكرة شعبة ، ويظل خلفه مفعماً بالحيوية ولا يضعف ، وإستمرت هذه العادة حتي منعها الإنجليز (٨٥) .

والطريقة التي كان يقتل بها صانع المطر تختلف من إقليم لآخر ، فعند دنكا النـــيل كان يخنق في منزله ، ويجهزون القبر ، ويضحي بثور أمام المنزل ، يؤخذ جلـــده ويســـتخدم كمضجع له في المقبرة ، ويوضع فوقه الجسد ، ثم يبنون مقبرة صغيرة فوق المضجع حتي لا يلمس التراب جسده . وبالنسبة لدنكا الأجار ، تحفر مقبرة واسعة يوضع بداخلها سرير، يرقد عليه صانع الدنكا علي الجانب الأيمن ، وتحـــت رأســـه وسادة من الجلد، ويحاط بأقاربه وأصدقائه وأولاده الصغار ، ولا يسمح لأبنائه الكبار بالاقتراب، ويظل علي السرير بدون طعام أو شراب لعدة أيام ، ومن وقت لآخر يتحدث إلي شعبه يقص عليهم تاريخ القبيلة، ناصحاً لهم من خلال تجربـــته فـــي الحكـــم عما يجب عمله في المستقبل وأخيراً يقول لهم أنه أنتهي ، ويأمرهم أن يهيلوا عليه التراب ، ويخنق في الحال (٨٦) .

والشعائر الجنائزية للزعيم معقدة ، فيعم الحزن الشديد لموته ، مع الأمل في تولـــي الزعـــيم الجديد ، فيعتقدون أن الزعيم مات وإستمر لأن يحيا في خلفه. ولا يـــتحدث الدنكـــا عـــن موت الزعيم، ولكن تنصيب العرش للخلف، فتدق الطبول، ويغنون أغاني مشابة لأغاني الحرب، يرقصون راقصات جنائزية . وأثناء دفنه تقام الصلوات ليباركه الإله ، وبعدها يعم الحداد القبيلة كلها، لا يأكلون ولا يطهون، ولا ترضع الأمهات أطفالها، ولا ترضع الحيوانات صغارها، ولا ترعي الماشية، وذلك فـــي اليوم الأول لوفاته. وفي اليوم التالي تذبح الحيوانات وتقدم لجميع الأفراد علي مســـتوي قبـــيلة الدنكـــا كلها ، وتستمر فترة الحداد لمدة شهر كامل ، تعود الحياة الطبيعية بعدها إلي القبيلة (٨٧) .

هــذا وبدأت الأجيال الحالية من الدنكا النظر إلي بعض المعتقدات المتصلة بالزعــيم الدينـــي البيـــن بيت بطريقة نقدية لا يعرفها المنظور التقليدي القائم علي التسليم المطلق بفاعلية ومصداقية نظم معتقداتهم ، وأصبحوا أقل احتراما للمعتقدات التقلــيدية وللنظم الاجتماعية ككل ، وضعفت وسائل الضبط الاجتماعي التقليدي ، وهبطـــت مكانـــة ودور القيادة الروحية التقليدية ، مما أدي في المقابل إلي ارتفاع نســبي في مكانة ودور القيادة السياسية الرسمية التي يمثلها العمد والمشايخ وبرز القادة العسكريين وزعماء الجبهة الشعبية لتحرير جنوب السودان (٨٨).

بـــل أن بعض العمد والمشايخ قد تحولوا إلي قادة روحيين من نوع جديد ، عرفهم الدنكا بعد تحولهم للإسلام ألا وهم شيوخ الدين الذين يشار إلي الواحد منهم بالفكـــي ، وهـــو شيخ دين له مكانة مميزة في المجتمع بحكم معرفته بأحكام الدين والعمل بها وبحكم إرتباط الناس واللجوء إليه للمشورة في الأمور الدينية والدنيوية المتصلة بالصحة والمرض والنجاح والزواج وشتي الأمور .

إن وظـــيفة الفكـــي ، التي برزت كقيادة دينية جديدة في أطار التحول نحو الإسلام وبطريقة تكاد تكون موازية لوظيفة البين بيت في النظم العقائدية التقليدية ، هـــي وظـــيفة مكتسبة ، يستطيع كل إنسان وبمجهوده الذاتي العمل علي اكتسابها ، وليست وظيفة خاضعة لشروط الوراثة كوظيفة البين بيت . (٨٩)

خامساً : الوفاة والشعائر الجنائزية

يـــروي الدنكـــا العديد من الأساطير علي أن حياة إنسان الدنكا في البداية كانـــت أبدية ، ولا يوجد وفاة . ففي البدء كانت الصلة بين السماء والأرض قريبة ومتصـــلة ، والله لـــم يكـــن بعـــيداً عـــن الإنســـان كبعده اليوم ، وعاش الإنسان حـــياة جمـــيلة وممـــتعة ، لـــم تكن الشيخوخة آفة تخيف البشرية ، لان الشخص عـــندما يـــبلغ مـــرحلة الشيخوخة ، كان يسافر إلي السماء من الأرض عند الله ، ولا يعود من السماء إلا ويعود إليه شبابه .

وفي رحلة العودة يقطع المسافر المسافة بين الأرض والسماء ، وهو شاب صـــبوح وضاح الوجه ، ولا يعود إلي الأرض إلا مع ظهور الهلال . والسفر إلي الســماء من خلال حبل طويل طرفه الأول بالأرض والأخر بالسماء ، ومن ينوي الســفر مــا عليه إلا أن يمسك الحبل الذي يشده إلي السماء أو الأرض في سهوله ويسر ، وهكذا عرفت الحياة عند الدنكا قديماً . (٩٠)

وتقــول الأسطورة أن الله كان يمنح الشباب محل الشيخوخة ، ولما لم يكن هــناك شيخوخة فلم يكن هناك موت . فالدنكا لم تعرف الموت في حياتها الأولي ، وأســتمر الأمــر كذلك إلي أن جاءت أنثي طائر الأتوش لتضع حداً لدوام الحياة . وتقــول الأســطورة أن إمرأة كانت تطحن الذرة ويحيط بها صغار أنثي الطائر ، وتجمعوا حول المطحن ، ولم تفلح المرأة في طردهم ، حتي قتل أحد الصغار . كان القــتل بمــثابة قطــع الأواصــر بين السماء والأرض ، وتألمت أتوش الأم لموت صغيرها بيد الإنسان ، وقالت أن الإنسان شرير لا يعرف الجميل ، فقلبه القاس لا يعرف الرحمة ، ولا يفرح إلا إذا سبب الألم والحزن للآخرين . لذلك سأتعامل معه بنفس الأسلوب ، وهتفت بالانتقام ، ليس من المرأة التي قتلتك بيداها ، بل من بني جنســها ، فمثل فقدي لك ، سأفقدهم الحياة ومتعتها ، وفي تلك اللحظة أظلمت الدنيا فــي عينــيها ، وإتجهت بسرعة الريح نحو الحبل الطويل ، ومزقته شر تمزيق . وهكذا انقطعت صلة الإنسان بالسماء ، وبانقطاع تلك الصلة أصبح الموت واقعاً لا مهرب منه . (٩١)

فيفســر الدنكا في الأسطورة السابقة سبب المرض والموت ، وأن الاتصال بالآلــه أنقطع بسبب ذنب المرأة ، وأشاح الإله بنظره عن الإنسان ، تاركه منغمساً في المعاناة والحزن ، لذلك يحاول الدنكا في الآونة الأخيرة التوسل ومناشدة لإله أن يعيد العالم كما كان سابقاً ، خاصة عندما يعاني من المرض أو الموت و ينشد :

أترك وطنك في السماء وإنزل للعمل في وطننا
إجعل وطننا طاهراً مثل وطن دينج
دينج ، إحضر حبل الطائر
الذي يمكن أن نجده علي الحدود

نحن والقمر والإله

أعطنا حبل الطائر . [٩٢]

وفـــي مواجهـــة الشدائد الصعبة في الحياة خاصة الموت ، يعبر الدنكا عن ذلك بفشل الآله في إستعادة الوحدة :

دينج العظيم قريب والبعض يقول ، أنه لم يصل إلينا

هل لا تسمع أيها الإله ؟

الثور الأسود للمطر ينطلق من حظيرة العمر

هل لا تسمع أيها الإله ؟

وفـــي ديانة الدنكا التقليدية لا يتكلمون كثيراً عن الموت ، ولا تثير الشعائر الجنائزية إنتباههم ، ولكنهم يقومون بطقوس معينة عند الموت ودفن الأفراد العاديين . فـــبمجرد أن تظهر أعراض الوفاة ، يذهب الأطفال بعيداً ، وتبدأ النساء العويل ، ويـــربط الـــرجال بطونهـــم ، ويستعدون لحفر القبر ، ويقوم بالحفر أخوة وأقارب المـــتوفى من عشيرته ، وهم الذين يحملونه إلي قبره . ويوضع المتوفى في وضع الجنيـــن ، فقـــبل أن تتصـــلب جثة المتوفى ، توضع علي الجانب الأيمن ، وتثني الأرجل وتوضع الأيدي تحت الرأس في وضع النائم . وإذا لم ينتبهوا لوفاة أحدهم وتصـــلب الجســـد ، فـــأنهم يقطعون العضلات وتثني الأرجل في الوضع الملائم . ويغسل الجسد ويدهن بالزيت ، ويوضع في جلد في إنتظار الدفن .

ويدفـــن الرجل علي الجانب الأيمن من باب كوخه ، ويدفن كبير العائلة في حظـــيرة الماشية ، وتدفن المرأة علي الجانب الأيسر للكوخ . ويوضع الجسد علي جانـــبه الأيمن في القبر ، مع وضع جلود من تحته ومن فوقه ، ولكن لا تقام مباني تمـــنع الـــتراب بعيداً عن الجسد كما هو عند دفن البين بيت ، ويتجه وجه المتوفى ناحية الشرق حيث تشرق الشمس وتبدأ الحياة . [٩٤]

وعـــند وضـــع الميت في القبر ، تنوح النساء بصوت عالي وشديد الهياج بشـــكل هســـتيري ، ويضرب أهل الميت بأيدهم علي بطونهم ، بينما يبكي الغرباء ويضعون التراب علي أيدهم ، ويطلقون العنان للمبالغة في علامات الحزن والآسي

. ومن الضروري مراقبة الأقارب شديدي الصلة بالمتوفي لمنعهم من إلقاء أنفسهم في النهر أثناء حزنهم .

ويستمر مأتم الدنكا أربعة أيام لا يشربون اللبن أو يقتربوا من البقر ، ويخرج رجال العشيرة بحرابهم ، ويأتي إليهم رجال العشائر الأخرى لتعزيتهم ، كما يمكث أخوة وأبو المتوفى لمدة أربعة أيام ينامون حول القبر ، وبعد مضي الأربعة أيام يغتسلون ويوصلون شرب اللبن . وحزن الدنكا لموتاهم لمدة ثلاثة شهور للرجال وأربعة شهور لنساء ،ويتم بعد هذه المدة تقسيم الميراث . (٩٥)

ويخاف الدنكا كثيراً من الموت دون قضية تخلد ذكراهم ، لتتحقق لهم بذلك الصورة الوحيدة للحياة الأبدية التي يعرفونها ، ومن يموت دون قضية تخلد أسمه يوصف بأنه قد تلف وأصبح هالكاً فانياً . ومن تقاليدهم أن الشاب الذي تدركه الوفاة دون أن يتزوج ، لابد لأخيه أن يتزوج بالنيابة عنه ، قبل أن يتخذ زوجة لنفسه ، لأن الزواج لا يجوز أن يحرم منه المرء حياً أو ميتاً ، وتعتبر هذه الزوجة في عرف المجتمع زوجة الأخ المتوفى ، وينسب الأولاد له ، وهذا ما يسميه الأنثروبولوجيون زواج الشبح. والأرملة أيضاً لابد أن تتزوج أخ زوجها المتوفى أو أحد أقاربه ، ولا يعد هذا الرجل زوجاً لها بل هو نائب عن الزوج المتوفى ، وأيضاً الأطفال المولودين هم أطفال الزوج الأول .(٩٦)وفي حالة دفع الدية كتعويض عن القتل ، فأن عدد الأبقار تعادل بالتقريب قيمة المهر ، ويستغل في واقع الأمر مهراً للزواج من إمرأة تنجب أطفالاً يحملون إسم القتيل . (٩٧)

* * * * * * *

فكرة الموت في الديانة التقليدية للدنكا غامضة ومبهمة ، والخوف من المجهول واضح ، والمناخ العام في الحالة الوفاة يغلفه الوقار ، ويؤدي إلي الحزن والرهبة ، ولكن شئ لا يمكن تجنبه ودائم ، ومن المعتقد أن الأرواح تدنس بالموت ، والأسرة التي مات أحد أفرادها تعتبر نجسة وخطر من الناحية الروحية ، ويجب عليهم أن يتجنبوا الناس ، ويتحاشهم الأفراد الآخرين ، فيحرم عليهم أن يأكلوا ويشربوا في بيوت الأسر الأخرى ، أو يلتقوا معهم في المناسبات الدينية ، ويسمح

فقط لأقارب أسرة المتوفى ?أن ينتهكوا هذه المحرمات ويشاركوهم الفجيعة ، وذلك أثناء فترة الحداد ، حتي يتطهروا في إحتفال طقسي، ويستعيدوا حياتهم الطبيعية(٩٨)

وعــندما بــدأ شعب الدنكا الدخول في الإسلام والمسيحية ، رفضوا قبول تعالــيم الإسلام والمسيحية عن الحياة الآخرة ، وإستمر المفهوم التقليدي بأن الحياة تستمر بعد الموت بشكل روحاني غير محدد المعالم ، وسادت فكرة الفزع والرهبة مــن الموت ، وأن الإنسان بمجرد موته لن يبعث مرة أخري ليحاسب في الآخرة ، وعدم الإعتراف للوجود بأي شكل في العالم الآخر ، فالإنسان يموت ويفني . (٩٩)

وبالرغم من هذا فأنهم يتسلون إلي موتاهم في صلواتهم ، ويتحدثون أحيانا عــن صلتهم بموتاهم وتبلغيهم بعض الأمور الهامة التي تحدث لأقاربهم الأحياء ، وذلــك مما يعني ضمنياً الإعتراف بنوع من الوجود للموتى . ويرون انه لا يوجد تناقض بين فناء الأشخاص ومشاركة الموتى الأحياء ، فالحقيقة أنهم كانوا يوماً ما علــي قــيد الحــياة ، ومشاركتهم ووجودهم الأبدي من خلال انتقال روح المتوفى واستمرارها في الوجود داخل العشيرة ، فالحياة عندهم هي الخلود من خلال سلسلة متصــلة الحلقــات للأســلاف والخلف ، ولذلك يهتمون بتعليم وحفظ الأبناء من الصــغــــــر سلــســلة نسبــه حتى مــؤسس الــعشيرة . ولكن مع تزايد أعداد معتنقي المسيحية ، وإنتشار نشاط التبشير المسيحي ، خفت حدة الفزع من الموت ، وبدأ ترسيخ النظرة المتفائلة تجاه الحياة الآخرة .

وقام القس مارك نيكل بتحليل مجموعة من التراتيل الدينية ، ذكرت لترسيخ الإصــرار علــي البقاء ، لتذكر إحدى التراتيل عدم خشية شعب الدنكا من الموت كنهاية ، وتري أنه إنتقال إلي حياة أفضل :

يأتي الموت ليكشف الإيمان

يبدأ في زماننا وسوف ينتهي في زماننا

أيها الخائف من نهاية حياتك لا تهاب الموت

لأنه يعني فقط أنك سوف تختفي من وجه البسيطة

من ذا الذي يستطيع حماية حياته ويبعد الموت جانباً ؟

ونحن الذين نحيا في العالم ، نعد مجرد زوار للأرض . (١٠٠)

وينشد شعب الدنكا إنتهاء العذاب في هذا العالم بالأمل في الخلاص الأبدي عبر العدل الإلهي الأعظم :

دعنا نريح قلوبنا أملاً في الإله

الذي نفخ الحياة في جسد الإنسان

أذناه تصغيان لصلواتنا

خالق الإنسان منتبه ليرى

إنه يحكم من كرسيه العالي

ويرى أرواح من يموتون

إسمعنا أيها الإله ، لمن غيرك يمكننا أن نسعى للمساعدة أنت الأوحد

دعنا نكون غصونا من كرامة ابنك

عيسى المسيح سوف يأتي بكلمة الحكم النهائي علي الأرض

سوف يأتي حاملاً كتاب السلم وروح الإيمان . (١٠١)

* * * * * * *

سادساً : التغير الثقافي في المعتقدات الدينية للدنكا

يمكـــن دراســـة التغير الثقافي للمعتقدات الدينية للدنكا خلال ثلاث فترات : فترة ما قبل الحكم البريطاني ، فترة الاستعمار البريطاني ، وفترة ما بعد الإستقلال

أ- فترة ما قبل الحكم البريطاني :

بالرغم من إتصال المسلمين من شمال السودان بالدنكا قبل الحكم البريطاني في حملات لجلب الرقيق ، فأنهم لم يتغلغلوا بعيداً ، ولم يحاولوا الإستقرار ونشر الدعــوة الإســلامية هــناك ، وذلــك بسبب كثرة المستنقعات والذباب والرطوبة الإستوائية ، والمقاومة الشرسة التي وجدوها ، خاصة أن شعب الدنكا لديه إحساس ذاتي بعزة النفس والشعور العميق بالإستقلالية ، ومقاومة الإستيعاب من الآخرين ،

والمحافظـــة علـــي إثنيته وهويته الثقافية . والتحول إلي الإسلام معناه إنكار وجود الأسلاف ومساهمتهم في ثقافة ذريتهم ، وهذا ما يرفضه الدنكا لأنها عقائد أجدادهم منذ زمن بعيد ، مما يؤكد شرعيتها وثباتها غير القابل للنقاش . (١٠٢)

وأثـــناء وجـــود الحكم التركي في السودان ، قام الأتراك في محاولة لتأكيد ســـلطتهم ، بإكـــراه الدنكـــا علي الطاعة من خلال حملات تأديبية وحشية ، شملت ضـــرب الزعماء وقتل الأبرياء وخطف الماشية والمحاصيل عنوة . وفي ظل هذه الظـــروف كان من الطبيعي أن يرحب شعب الدنكا بالمهدي وثورته ، تجاوبوا معه وأعتـــبروه مـــثالاً جيداً للطريقة الإختيارية التي كان يميل إليها الجنوبيون في تبني وإستيعاب العناصر العربية الإسلامية داخل إطارها الثقافي الخاص .

واعتقد شعب الدنكا أن المهدى ظهر ليحرر البلاد من الإضطهاد الأجنبي ، وإســـتوعبه فـــي ديانـــته التقلـــيدية ، وإعتـــبروه روحـــاً مقدســـة ، ورمزاً يمثل الـــروح ديـــنج ، إلههـــم المرتـــبط بالمطر والبرق ، الروح العظيمة التي يقدسها جمـــيع أفـــراد القبـــيلة ، فكـــان المهـــدي رمزاً للقوة الروحية والعدالة ، وأقاموا الصلوات من أجله لإنقاذهم من الغزاة والأتراك. (١٠٣)

ونظم شعب الدنكا الترنيمة التالية في مدح المهدي و تبجيله : -

إنه المهدي ، إبن دينق
نصلي له ، نحن النمل علي الأرض ، دينقنا
نتضرع لآلهة العشيرة وكذا دينق
فقد ظل الرجال التعساء ثماني سنوات
ما أضر وأساء إلينا هو في الماضي
تحدث عنه الإله الأعظم من أعلي
إنه المهدي بن دينق ، نصلي له علي الأرض ، دينقنا
نتضرع لآلهة القبيلة طويلاً طويلاً . (١٠٤)

وبعـــد فـــترة قصيرة وبسبب التعصب الديني لأنصار المهدي ، وتمسكهم برســـالتهم المقدسة لتطهير الدنيا من الكفار ، وعودة تجارة الرقيق ، لذلك كان لابد

لشعب الدنكا من مقاومة أنصار المهدي ، وإستخدموا نفس الترنيمة التي نظموها في مــدح المهــدي فــي صلواتهم وتضرعهم لروح المهدي بن ديق ، لمساعدتهم في مقاومة المهدية .

ب – الحكم الثنائي الإنجليزي المصري :

مع مجيء الحكم الإنجليزي المصري ، وتأسيس نظام الحكم غير المباشر ، وحفــظ الأمــن والــنظام العــام عــن طــريق القــانون القبلــي ، مــع إشراف عسكري قوي ومباشر .

أدت ظروف الإستقرار وإستتباب الأمن التي صاحبت مجيء الحكم الثنائي ، إلــي تزايد تأثير الإسلام عن طريق التجار وموظفي الخدمة المدنية المسلمين ، وبدا تبني الأسماء العربية والملابس الشمالية ومظاهر الثقافة العربية الأخرى . فقد كتب أحد المبشرين عام ١٩٠٨ ، إن رحلة يقوم بها رجل أسود من أي القبائل التي تقطــن جــنوب الخرطوم إلي العاصمة السودانية ، يمكن أن تصيبه ببلاء عظيم ، فــيما يعلق بمعتقداته الدينية ، لأن غالباً ما يعود ، حتي ولو كانت رحلة قصيرة ، لقبيلته وقد أعتنق الدينة المحمدية . (١٠٥)

وفــي نفــس الوقــت رأت الحكومة البريطانية تحديث الجنوب عن طريق إرساليات التبشير المسيحية ، حيث أسس عام ١٩٠٠ بعثة تبشير السودان في ألمانيا ، والتــي سميت فيما بعد بالبعثة السودانية المتحدة ، وأصبح السودان جسراً يربط بيــن الكــنائس المنتشرة ما بين القاهرة حتي رأس الرجاء الصالح . وهكذا فتحت أبواب الجنوب علي مصاريعها أمام النشاط التبشيرى ، وإتفقت الجمعيات الإرسالية مع الحكومة الإنجليزية علي إستبعاد النفوذ الإسلامي من أرجاء الجنوب علي وجه السرعة . (١٠٦)

خاصـــة وأن الإنجليز بعد ثورة عرابي عام ١٩١٩ ، عملوا علي إضعاف الصـــلة بيــن مصــر والسودان ، وتبنوا سياسة فصل الجنوب ، وبدا تشجيع اللغة الإنجليزية ، والإهتمام بالعادات والتقاليد الجنوبية ، بهدف إستبعاد تأثير الإسلام من الشمال . وفي عام ١٩٢٢ صدر قانون الجوازات ، حدد دخول الشماليين للجنوب ، وبدأ بعد ذلك تغلغل النفوذ الإنجليزي ، بما في ذلك إرساليات التبشير .

وشـــجع الإنجليز الجمعيات التبشرية المسيحية للعمل في مناطق محددة في جنوب السودان ، حيث قدمت خدمات تعليمية وصحية . وبرزت في البداية مقاومة شديدة من شعب الدنكا ضد إرسال الأطفال للمدارس ، ليس فقط بسبب الخوف من الاغـــتراب الثقافـــي ، الذي تمثل في أن يطلق علي تلاميذ المدارس صفة " أطفال التبشـــريات " ، ولكـــن أيضا بسبب الخوف من التفسخ الأخلاقي . بالرغم من أن التعمـــيد ، الـــذي يوصـــف بالتبرك بماء الآله ، كان تقليداً معروفاً لدي الدنكا في ممارســـتهم الدينية الخاصة ، الا أنه كان ينظر للدنكا المعمدين بواسطة المبشرين ، علـــي أنهـــم أشـــخاص ينتمون إلي أسر أخرى ، مختلفة عن أسر آبائهم ، وعندما يذهـــبون بعيداً عن أهلهم ، يكونون مجموعة ذات تقاليد وإستعمالات لغوية خاصة بهم . (١٠٧)

بـــدا الإحســـاس بقيمة التعليم يفرض نفسه ببطء ، ورأي الدنكا في التبشير المســـيحي مصدراً لمحو الأمية وإكتسابا للمهارات الحديثة ، أكثر منه تبنياً للنظام الروحي الجديد، حتي الطب الحديث بدأ تقبله تدريجياً بعد أن ظهر بأن نتائجه تمتاز علي الممارسات التقليدية . وأصبح وجود التبشير مقدراً لمساهمته في التعليم ، الذي أدرك الناس ببطء ضرورته لمصلحتهم ووجودهم الثقافي والسياسي . وأصبح ينظر إلـــي الديانـــة التقليدية علي أنها بدائية ، والثعابين التي ترمز للمعبودات بين الدنكا أصـــبحت تمثل الشر ، وأصبح إستخدام السحر والشعائر الدينية للعلاج مرفوضا ، ولحوم الحيوانات التي تضحي بها أصبحت ملوثة روحياً ولا تأكل .(١٠٨)

وأســـتغل المبشـــرون الهيكل الديني التقليدي للدنكا ، بأن يقوم زعماء البين بيت بنشر الدعوة المسيحية بين قومهم ، وأرسل عدد منهم إلي روما لمقابلة البابا ، لطلـــب مباركته لقومهم . وحظي المبشرون المسيحيون بالتبجيل ، لأنه كان ينظر لوجودهـــم كرســـل لنشر كلمة الآله ، ولفعل الخير من أجل الإنسانية ، وتم تمجيد المسيحية لكونها الطريق الوحيد إلي الخلاص. وإستمرت فوائد التعليم تتحقق ، وبدأ إستيعاب الجوانب الثقافية لنفوذ التبشير المسيحي تدريجياً كجزء من العملية الحتمية للتحديـــث ، ولكن كان الأباء التقليديون يشعرون بالتهديد منزعجين ، ليس بقد كبير للـــتحول الدينـــي للشباب، ولكن للتجاهل الفاضح للمعرفة التقليدية وحكمة الكبار .

وعبر أحد كبار السن عن إستيائه بقوله : - " الأبناء المتعلمون أبعدونا جانباً ، وكأننا لا نعلم شيئاً، حتي إذا قال الكبير أشياء هامة عن بلده ، يقولون لا تعرف شيئاً . كيف لا نعرف شيئاً ونحن آباؤهم ؟ ". (١٠٩)

ج – فترة الإستقلال وما بعدها :

بعد إستقلال السودان عام ١٩٥٦ ، أسرع الحكم العسكري في جنوب السودان في إدخال اللغة العربية والدين الإسلامي الحنيف بأرجاء جنوب السودان ، إعتقاداً منه بأن ذلك هو طريق الوحدة بين الجنوب والشمال ، وأسس عددا من الخلاوى في مختلف المناطق ، كما عين كثيرا من الوعاظ بالمدريات الجنوبية . وقام عام ١٩٥٧ بتأميم جميع مدارس الإرساليات ، وأصدر عام ١٩٦٢ قانون الجمعيات التبشرية لتنظيم نشاط إرساليات التبشير ، وليس من حق أي جمعية القيام بأي عمل تبشيري في السودان إلا وفق شروط رخصة يمنحها له مجلس الوزراء . وفي مارس ١٩٦٤ طردت حكومة السودان المبشرين الأجانب من الجنوب . (١١٠)

وهذا ما جعل رد الفعل الجنوبي لمنع المسيحية بالقوة هو إعتناقها ، والتوجه نحو الكنيسة كمصدر للدعم المادي والإجتماعي والروحي ، وبسبب الحاجة علي أقل تقدير لهوية دينية حديثة متماسكة ومنافسة يمكن عن طريقها معارضة الهوية العربية الإسلامية . وحل القساوسة السودانين محل البعثات الأوربية التبشرية لنشر كلمة الرب بينهم (١١١) وتم تمجيد المسيحية لكونها الطريق الوحيد إلي الخلاص ، وألف الدنكا الترانيم الدينية التالية :

أيها الأب سيدنا

إن البلاد مهددة بالوثنين

البلاد مهددة بالمحمديين

واحسرتاه ، ماذا سيفعل المسيحيون

إلتفت في هذا الإتجاه ، كان هناك الطاغوت الوثني ما يثانق جوك

والمحمديون يتجهون شرقاً

يتجهون نحو مشرق الشمس

يا لسوء الحظ ، يا لسوء الحظ
فأننا واقعون في شراك الأرواح الفاسدة
بعضهم يوقع اللعانات الشريرة
بعضهم عيونهم شريرة ، يرعبون الأبرياء في البلاد
البلاد التي يحميها الأسقف
البلاد التي يحميها إدوارد الماسوني
البلاد المرتبكة مضطربة
ورأسها أسيرة في الشبكة . (١١٢)

وجسدت الكنيسة تعاليم وقيم مكنت الجنوبيين من تحدي إدعاء السودانيين الشماليين بتفوقهم الكامل ، بالإضافة إلي المهارات التي كفلها التعليم . ومكنت الإرساليات والكنيسة الجنوبيين من تخطى الأهداف العقيمة وتجاوز الأسس القبلية غير المنسقة للمقاومة التقليدية الجنوبية .

وأخيراً فإن الحرب والمجاعة قد دمرت المجتمع بشكل واسع ، وفوضت طرق الحياة التقليدية بشكل متعاظم ، وإمتد التحول الآن ليقلل من قدر ومكانة القادة الروحانيين للمجتمع التقليدي الذي ركب معهم الموجة وتحول إلي المسيحية ، وأصبح الزعماء مسئولين الآن أمام الجيش الشعبي لتحرير السودان وليس الشعب ، وبالتالي تقلصت قوي القادة الروحية وبرز القادة العسكريين وزعماء الجبهة الشعبية لتحرير الجنوب . (١١٣)

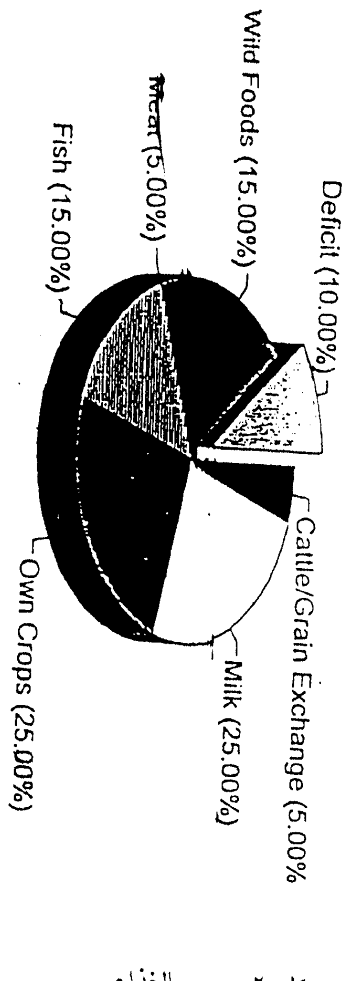
خريطة ١



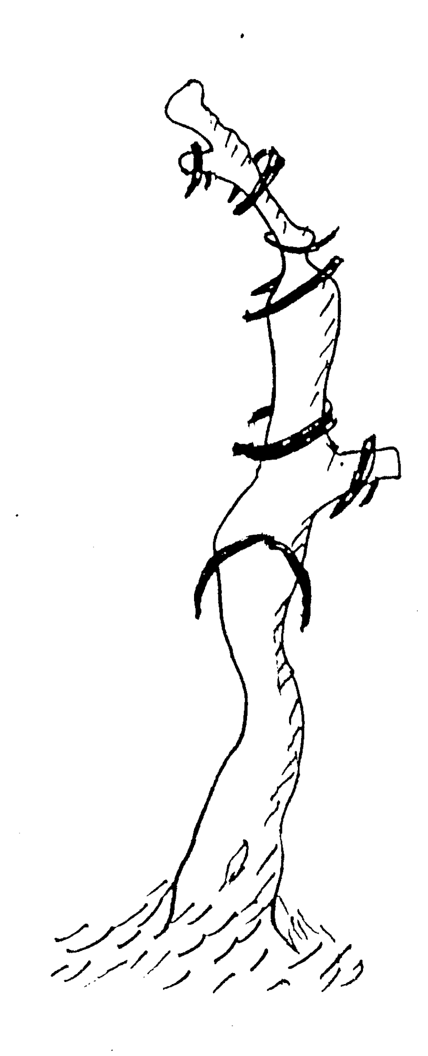
Dinka huts in wet season flood area, near Shambe

شكل ١ منازل الدينكا في فصل المياه وإقامتها علب أعمدة

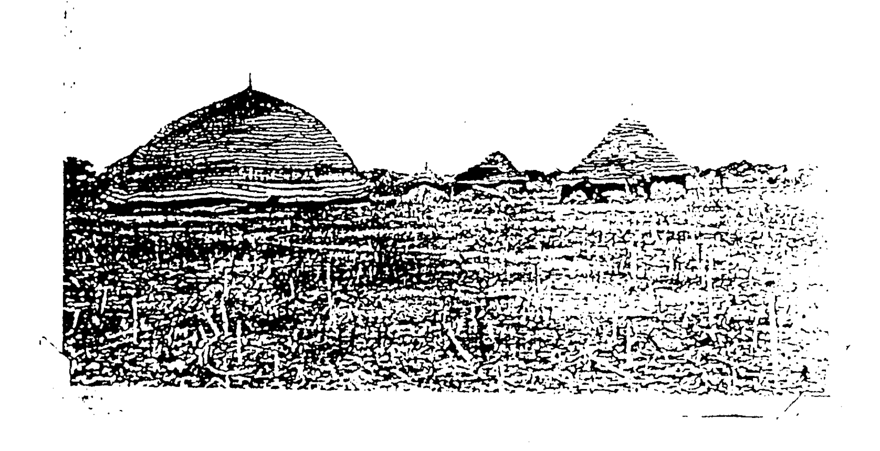
How Families in Bahr El Ghazal Survive



شكل ٢   الغذاء



شكل ٣ عمود الأضحيات (الريت)



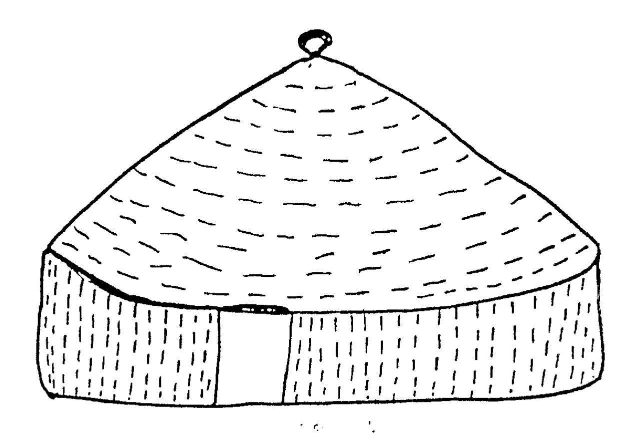
شكل ٤ بيت الدينج ديت



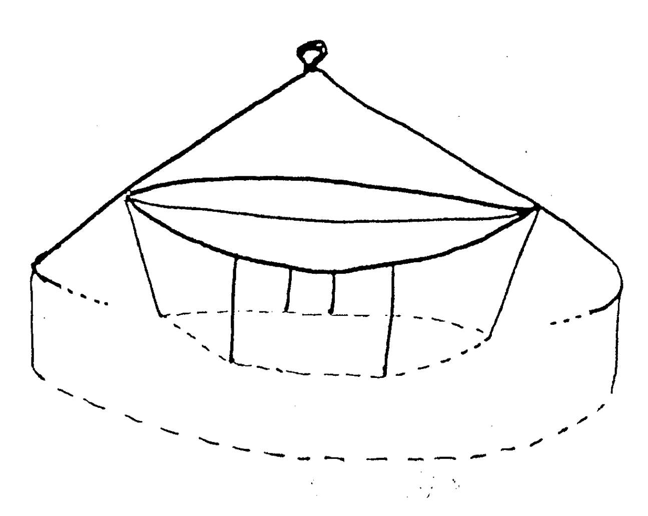
شكل ٥ التضرع للدينج ديت



شكل ٦ ذبح الأضحية بالحربة



من الخارج



من الداخل

شكل ٧ اللواك

الخاتـــمة

يقوم النظام الديني التقليدي للدنكا علي الإعتقاد في إله خالق يسمي نيالك ، وتعني الكلمة في لغة الدنكا بالسماء أو الأعلى والأسمى ، بالإضافة إلي وجود قوي فوق البشرية ، يأتي علي رأسها دينق أو دينق ديت بمعني المطر ، وأنه أول خلق الإلـــه ، وبالتالـــي كان صاحب الأرض ومالكها ، ثم تأتي القوة الروحية العشائرية التي تقوم بدور الوسيط بين القوي الإلهية وعالم البشر بحكم إنتمائها للعالمين معاً ، وهـــذه القـــوي يولـــيها الدنكا الأهمية القصوى في حياتهم اليومية بحكم علاقتهما المباشـــرة بهم ولجوئهم الدائم لها في كل ما يتصل بحياتهم. بالإضافة إلي الإعتقاد فـــي القـــوي السماوية ، يتضمن النظام الديني للدنكا الإعتقاد في قوي روحية ذات طبيعية أدني أقرب ما تكون بما يمكن تسميته بعالم الأرواح الأرضية تقوم علي مبدأ تقمص الأرواح .

وبالتالـــي نجـــد أن مفهـــوم المعـــتقدات عند الدنكا يتأرجح بين الوحدانية والـــتعددية ، تقـــوم علي قدرة الكائن الأعظم نيالك علي المساعدة والعطاء في كل الأوقـــات المحن والشدائد إستجابة لصلوات البن بيت ، المنصب الأكبر الذي يتقلد صـــاحبه الـــزعامة العلـــيا ، وله نفوذ روحي كبير في القبيلة كلها ، وأيضاً صانع المطر الذي يستطيع تأدية الطقوس والشعائر لجلب المطر ، ويقوم بفض النزاع بين المختصـــمين ، فهـــو الحكـــم الفصـــل في كل ما يشجر من خلاف ، وهو السلطة القضائية العليا .

ويمكن القول أن التوجه الوحداني العام في معتقداتهم التقليدية ، يعد من أهم الأســـباب التـــي أدت إلي تقبل الإسلام أو المسيحية ، بينما أعطي عنصر التعددية الكامـــنة فـــي عقـــيدتهم التقليدية ، درجة كبيرة من الإستمرارية لمعظم معتقداتهم الشـــعبية ، وبـــالأخص تلك التي لها أكبر الأثر في حياتهم اليومية والتي تدور في معظمهـــا حول وجود وفعالية أرواح الأجداد والقوي الروحية المختلفة . ولا يري معظـــم الديـــنكا أن هـــنالك تناقضـــاً بالضرورة بين وحدانية الإسلام والمسيحية ، وإستمرارية الإعتقاد في هذه القوي الروحية والغيبية المختلفة ، وتأثيراتها المباشرة

في حياتهم طالما لم يمنعهم إعتقادهم في وجود آله أو رب سماوي في إطار نظامهم الديني التقليدي من الإعتقاد أيضاً في وجود قوي روحية متعددة كأرواح السلف تحل في أجيال متعاقبة من قادتهم الروحيين .

فـــالله فـــي مـــنظورهم هـــو نيالك ، والمهدي الذي بشرهم أو بشر آباءهم بالإســـلام هو روح قدسية أو ظاهرة نبوية تماماً مثل دينق ، بل إعتبره البعض إبناً لديـــنق . وبالـــرغم من أن بعض المعتقدات والممارسات الشعائرية قد تأثرت بالمد الإسلامي بدرجات متفاوتة ، إلا أن الأثر الإسلامي بصفة عامة كان محدوداً إن لم يكن هامشياً ، مع عدم الوعي الكافي والتلقي اللازم بالتوجيهات الإسلامية والإعتماد الأساسي علي التقليد والمحاكاة في التفاعل مع العرب والمسلمين .

ومـــع وصول الحكم الثنائي الإنجليزي المصري ، بدأت إرساليات التبشير المسيحية لجنوب السودان ، وتبني الإنجليز بعد ثورة عرابي ١٩١٩ سياسية فصل الجـــنوب وإســـتبعاد النفوذ الإسلامي ، وبدأت البعثات في محو أمية شعب الدنكا ، وإكســـابهم المهـــارات الحديثة ، وإستغل المبشرون الهيكل الديني التقليدي ، بقيام زعمـــاء البـــن بيت بنشر دعوة قومهم ، وإرسال عدد منهم إلي روما لتلقي تعاليم المسيحية علي يد أباء روما المسيحيين .

وبعـــد إســـتقلال السودان عام ١٩٥٦ ، أسرعت الحكومات العسكرية في إدخـــال اللغـــة العربية والدين الإسلامي إلي الدنكا ، إعتقاداً أن هذه الوسيلة الفعالة للوحـــدة بين الجنوب والشمال ، وكان رد الفعل الجنوبي لمنع المسيحية بالقوة هو إعتـــناقها ، والـــتوجه نحو الكنيسة كمصدر للدعم المادي والإجتماعي والروحي ، وذلك للإعتماد علي هوية دينية حديثة ، يمكن عن طريقها معارضة الهوية العربية الإســـلامية ، وكطـــريق للخلاص بسبب الحرب الأهلية وإنتشار المجاعات بجنوب السودان .

هوامش البحث

١- Ember ,C.& Ember , M.: Anthropology ,Englewood cliffs, New Jersey , 1990,p.432.

٢- محمــد عاطف غيث : قاموس علم الأجتماع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٣٨٢ .

٣- Bernard ,A.& Spencer : Encyclopedia of Social and Cultural Anthropology , Routledge , London & New york , 1996 .PP.1097-1098.

٤- Lienhardt, G.: The Western Dinka , in : Middleton ,J.& Tait , D.: Tribes without ruler , Routledge & Kegan paul , London , 1960.PP.104-105.

٥- ســامية الخشــاب : علــم الإجــتماع الدينــي ، ط٢ ، دار المعــارف ، القاهرة ١٩٩٣ ، ص ٦١ .

٦- Ember, C.: op. Cit., P.449.

٧- سامية الخشاب : مرجع سابق ، ص ٦٣.

٦- فتحية إبراهيم ومصطفي الشنواني : مدخل إلي مناهج البحث في علم الإنسان ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٨٨ ، ص ١٣٤ .

٩- Ollipona,J.K.: African traditional Religions, paragon House . New York, 1991, PP.31-32.

١٠- سعاد شعبان : مربوا الحيوان في أفريقيا ، نشرة البحوث والدراسات الأفريقيــية ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، عدد ٢٧ ، ١٩٨٨ ، ص١٣ .

١١- شبكة الإنترنت علي موقع : Yahoo .com. Dinka.

١٢- Beswick, S.F.: Violence, Ethnicity and Political consolidation in the south Sudan: A History of the Dinka and their relations

with their neighbours ,P.H. Thesis, Department of History , Michigan state University, 1998,P.4.

١٣- محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، الدار المصرية لتأليف ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ١٥٢ .

١٤- Jok, J.m.: Women , Sexuality and social behavior in Western Dinka : the impact of war on reproductive health in south Sudan, Ph.D. Thesis, Department of Anthropology , University of California , Los Angles , 1996 , PP.111 -114 .

١٥- فـــاروق إســـماعيل : الأنثروبولوجـــيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٨٤ ، ص ١٨٣ .

١٦- فاروق عبد الجواد شويقة : دراسات أيكولوجية في أفريقيا وحوض النيل ، دار روتابرينت للطابعة ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٩٧ .

١٧- توفيق الحسيني عبده : الحياة الأجتماعية لقبيلة الدنكا - دراسة أنثروبولوجية إجتماعية ، دبلوم معهد الدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٥ ، ص ٥-٦ .

١٨- فرنســيس دينق : صراع الرؤي - نزاع الهويات في السودان ، ترجمة عوض حسن ، مركز الدراسات السودانية ، القاهرة ، ٩٩٩ ،ص ١٨٨-١٨٩ .

١٩- Willis ,C.A: The Upper Nile Province : a report on People and Government in The Southern Sudan , Oxford University Press , Oxford, 1995 ,P.53 .

٢٠- Neuman , J.: The peopling of Africa , Yale University press , New Haven & London ,1995,P.162.

٢١- محمد عوض : مرجع سابق ، ص ١٥٤-١٥٥ .

٢٢- قيلـــي أحمـــد عمر : تاريخ قبيلة الدنكا في أعال النيل ، الخرطوم ، مجلة الثقافة العربية الأفريقية ، العدد الخامس ، ١٩٧٤ ، ص ٨٢ .

٢٣- Jok , J.M.: OP . Cit.,P.119 .

٢٤- Beswick, S.F.: OP.Cit.,P.5.

٢٥- عــون الشريف قاسم : موسوعة القبائل والأنساب في السودان ،ج٢ ، شركة آفرو قراف للطباعة ، الخرطوم ، ١٩٩٦ ، ص ٩١٢ .

٢٦- بــول قــاك : نظــرة تاريخــية لــثقافات الدنكا وتراثهم ، ثقافات سوادنية ، المركز السوداني للثقافة والإعلام ، القاهرة ، ١٩٩٥ ، ص ٦٣ .

٢٧- نفس المرجع ، ص ٦٤ .

٢٨- Beswick , S.F.: OP.Cit.,P.52.

٢٩- بول قاك : مرجع سابق ، ص ٦٥ .

٣٠- نفس المرجع ، ص ٦٦ .

٣١- لفظ الخرطوم في اللغة النوبية أقرآتوم ، أقر بمعني مكان ، وآتوم الآله المصري ، أي مكان لعبادة الآله آتوم ، وتحول الأسم حديثاً إلي الخرطوم ، ليتفق مع ما أعتقده العرب والإنجليز في أن إلتقاء النيليين يرسمان صورة أشبه بخرطوم النيل دون التأكد من صحة أعتقادهم من عدمه .

نفس المرجع ، ص ٦٦ .

٣٢- Beswick, S.F.: op. Cit., p.55 .

٣٣- Deng ,F.M.: The Dinka of the Sudam, Holt - Rinehart and winston , New York , 1972 , P.122 .

٣٤- محمــد عمــر بشير : مشكلة جنوب السودان ، خلفية الصراع - من الحرب الداخلــية إلي السلام ، ترجمة هنري رياض ، دار المأمون ، الخرطوم ، ١٩٨٣ ، ص ٤٦٤ .

٣٥- فرنسيس دينق ، صراع الرؤى ، ص ١٩٦ .

٣٦- Linhardt ,G.: Divinity and Experience , The clarendon press, Oxford,1961,P.28.

٣٧- فاروق إسماعيل : مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

٣٨- Lienhardt, G.: Divinity and Experience, p.56.

٣٩- Johnson,D.H.: Nuer prophets , clarendon press, xford ,1997, P.60

٤٠- توفيق الحسيني : مرجع سابق ، ٦٤ - ٦٥ .

٤١- Deng,F.: The Dinka of The sudan, P.127 .

٤٢- محمد عوض : مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

٤٣- Willis, C.A: OP.Cit.,P. 215 .

٤٤- Johnson, D.h.: OP.Cit.,P.95.

٤٥- Seligman, C, G.: Pagen Tribes of the Nilotic Sudan, George Routledge, London, 1932, P. 181.

٤٦- محمد عوض ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

٤٧- توفيق الحسينى : مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

٤٨- Seligman, C.G.: OP.Cit., P.185

٤٩- محمد عوض ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

٥٠- Willis, C.A.: OP.Cit., P . 216.

٥١- محمد عوض : مرجع سابق ، ص ١٧١ .

٥٢- Lienhardt, G.: Divinity and Experience, P. 28.

٥٣- Seligman, C.G.: OP.Cit., P.185.

٥٤- توفيق الحسيني : مرجع سابق ، ص ٦٨ - ٦٩ .

٥٥- قيلي أحمد عمر : مرجع سابق ، ص ٨٠ .

٥٦- Seligman, C.G.: OP.Cit., P.184-185.

٥٧- Butt,A.: The Nilotes of the Anglo - Egyption Sudan and Uganda , International African Institute , London , 1952 , P.133.

٥٨- Lienhardt,G.: Divinity and Experience , PP.58-59 .

٥٩ - فرنسيس دينق : صراع الرؤى ، ص ٢٠٥ .

٦٠- Willis, C.A.: OP.Cit., P . 218 .

٦١- توفيق الحسيني : مرجع سابق ، ص ٦٩ .

٦٢- محمد عوض : مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

٦٣-نفس المرجع ص ١٦٤ - ١٦٥ .

٦٤- Seligman, C.G.: OP.Cit., P.178 .

٦٥- فاروق إسماعيل : مرجع سابق ، ص ٢٤٦ .

٦٦-نفس المرجع ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

٦٧- Loewen, J.: The Faith Vineyard Christian Fellowship,. M.A.Thesis, Department of Religious studies, The Faculty of Graduate Studies, The University of Calgary, 1997, P. 125.

٦٨- Lienhardt, G.: Divinity and Experience, P.81.

٦٩- توفيق الحسيني : مرجع سابق ، ص ٧١ .

٧٠- أحمد الخشاب : علم الاجتماع الديني - مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العلمية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٧١- Butt, A.: OP. Cit., P.131 .

٧٢- توفيق الحسيني : مرجع سابق ، ص ٧٦ .

٧٣- Jok, J.m.: OP. Cit., P. 155 .

٧٤- Ibid, P.156.

٧٥- Deng, F.: The Dinka of the Sudan, P.134.

76- Schwabe,C.& Kuojok : " Practice of The Traditional Dinka healer in Relation to provision of modern medical and Veterinary services forsouthern Sudan ", Human organization . Vol. 40, No.3, 1981,PP.232 - 238.

٧٧- Seligman, C.G.: OP.Cit., P.186 .

٧٨- فاروق إسماعيل : مرجع سابق ، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

٧٩- محمد عوض : مرجع سابق ، ص ١٦٠ .

٨٠- Mawson, A.N.: " Bringing what people Want: shrine politics among the Agar Dinka "Africa. Vol. 61,No.3, 1991,PP.354 - 355.

٨١- Seligman, C.G.: OP.Cit., P.195 .

٨٢- Jok, J.m.: OP. Cit., P. 1146.

٨٣- محمد عوض : مرجع سابق ، ص ١٥٠.

٨٤- Deng, F.M.: The Dinka of the Sudan, P.134.

٨٥- Ibid, P.132.

٨٦- Seligman, C.G.: OP.Cit., P.197 .

٨٧- Deng, F.: The Dinka of the Sudan, P.134.

٨٨- Jok, M.: OP. Cit., P.158.

٨٩- عباس أحمد : دينكا أعالي النيل – النظم الاجتماعية والتغيرات المرافقة للمد العربي ، دار القلم ، الإمارات ، ١٩٨٦ ، ص ١٤٠

٩٠- يحيى فضـــل الله : حكايـــات وأساطير سودانية ، المركز السوداني للثقافة والإعلام ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٥٧ .

٩١- نفس المرجع ، ص ٥٨-٥٩ .

٩٢- Deng, F.: The Dinka of the Sudan, P.126.

٩٣- Ibid, P.127.

٩٤- Seligman, C.G.: OP.Cit., P. 201.

٩٥- قيلي أحمد عمر ، مرجع سابق ، ص ٨١ .

٩٦- Butt, A.: OP. Ci5t., P.128 .

٩٧- فرنسيس دينق : صراع الرؤى ، ص ١٨٠ .

٩٨- Deng, F.: The Dinka of the Sudan, P.131.

٩٩- Deng. F.: Tradition and Modernization - A challenge for law among the Dinka of the Sudan, Yale University press, New Haven & London, 1971, P.23.

١٠٠- فرنسيس دينق : صراع الرؤى ، ص ٢٠٥ .

١٠١ – نفس المرجع ، ص ٢٠٦ .

١٠٢ - فرنسـيس ديـنق : مشـكلة الهويـة في السودان، أسس التكامل القومـي، تـرجمة محمـد علـي جاديـن ، مركـز الدراسـات السودانية، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٥ .

١٠٣ - فرنسيس دينق : صراع الرؤى ، ص ٧٣ .

١٠٤ - فرنسيس دينق : مشكلة الهوية ، ص ٣٨ .

١٠٥ - تيم نبلوك : صراع السلطة والثروة في السودان منذ الإستقلال وحتى الانتفاضة ، ترجـمة الفاتـح التجـانى ومحمد علي جادين ، مطبعة جامعة الخرطوم، الخرطوم ، ١٩٩٠ ، ص ١٥٤ .

١٠٦ - محمد عمر بشير : مرجع سابق ، ص ٦٧ - ٧١ .

١٠٧ - Loewen, J.: OP.Cit.,P.126.

١٠٨ - Deng, F.: The Dinka of the Sudan, P.157.

١٠٩ - Jok, M.: OP. Cit., P.158.

١١٠ - محمد عمر بشير : مرجع سابق ، ص ١٧٤ .

١١١ - Beswick, S.F.: OP: OP.Cit.,P.326.

١١٢ - فرنسيس دنيق ، صراع الرؤى ص ١٩٧ .

١١٣ - Mawson , A. N .: OP . Cit ., P.357 .

" ندوة الدنكا " معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة ،
٦ يونيو ص ١٤٠ : ١٦٩

النيــــليـــــون

للأستاذة الدكتور / سعاد شعبان

يشـــغل النيلـــيون مـــنطقة أعالـــي النيل ، المنطقة الممتدة إلى الجنوب من الخرطوم حول النيل الأبيض ، وفى مديرية بحر الغزال والمديرية الاستوائية حتى بحيرة كيوجا ، بل وعلى السواحل الشرقية لبحيرة فكتو ريا حيث يقطن هناك فرع من قبيلة اللو (LU O) [١] . ويمثل النيليون المجموعة الكبرى الثانية من الزنوج الحاميــن . وينحصـــر توزيعهم الجغرافى فى وادى النيل والأرض التى تجاوره مباشـــرة . [٢] والنيليون هم مجموعة من الشعوب ، موزعة بين أوطان متباعدة فى كينيا وأوغندا وفى السودان ، وأطراف أثيوبيا الغربية . وترجع تسميتهم بهذا الاسم إلى أن جميع السلالات النيلية ذات أوطان على مقربة دائما من نهر النيل ، ولاشك أن أهـــم مجموعة منهم هى التى تعيش فى السودان وتحتل معظم السودان الجنوبى وتقع فى الأقاليم الوسطى منه ، بينما السلالات غير النيلية تحتل الأطراف [٣] .

ويتضح من سمات النيليين أنهم سلالة مختلطة أكثر من جيرانهم " البانتو " فقد اختلط الحاميون والزنوج لينتج عن اختلاطهم جماعة ما زالت الملامح الزنجية فيها غالبة ، ولكنها ممتزجة بشيء من رشاقة القوام . ومعظم سكان الجزء الأعلى من وادى النيل ، بما فيهم الشيلك الفارعو الطول ، من النيليين [٤] .

وفـــى الغالب أن النيليين دخلوا البلاد من منطقة وسط بين الجنوب والشمال ، لأن الجنوبيين معزولين بشكل لا يحتمل معه أن يكونوا مصدر الهجرة إلى الشمال .

---

(1) Bernatzik : Op .cit . P .229 .
(2) Seligman c . G : Races of Africa , Fourth Edition Oxford , 1966 , P . 110 .
(٣) محمد عوض محمد : ١٩٦٥ مرجع سابق ص ٤٣٢ .
(٤) جورج ٥ . ت . كمبل : مرجع سابق ص ٧٨ .

ويـــبدو أن الاخـــتلاط بيـــن الحاميين والزنوج كان عند بحيرة رودلف وعندها تكونت الجماعات النيلية التى انتشرت شمالا فى حوض النيل .

ويمكـــن تقســـيم الجماعات النيلية إلى ثلاثة أقسام تبعا لتوزيعهم الجغرافى فتضم المجموعـــة الأولى وهى الشمالية : الشيلك والدنكا والنوير بينما الثانية أو الوسطى والـــتى ينتشـــر أفـــرادها فـــى شمال أوغندا تشمل قبائل الآشولى (ACHOLI) واللانجو والآلوار ، أما المجموعة الثالثة أو المجموعة الجنوبية فيمثلها : جماعات اللو الذين يعيشون فى شرق أوغندا وغرب كينيا . [١]

ويمـــتاز النيليون بالأنف العريض ، والشفاه الغليظة المقلوبة ، وبروز الفك العلـــوى الـــذى يميز الجماعات الزنجية ، غير أن هذه الصفات ليست سائدة بينهم جمعـــيا ، إذ نجد بينهم أفراد يمتازون بالأنف الرقيقة والشفاه الرفيعة واختفاء بروز الفك العلوى . ويمتاز الجميع بالرأس الطويل ، والقامة الطويلة جدا فهى تصل بين الـــنوير إلى (١٨٥سم) بينما فى الدنكا والشيلك تبلغ حوالى (١٧٨ سم) ، وطول القامـــة مصـــحوب دائما بطول الساقين . ويظهرون دائما فى وقفتهم التقليدية على رجل واحد مرتكزين على حربة . ويبدو الأثر الحامى قويا بين جماعات الشيلك ، فيتميز كثير من افرادهم بالأنف الدقيق والشفاه الرقيقة ، وهم يشتغلون بالزراعة إلى جانب رعى الماشية ، بعكس الدنكا الذين لا يعدلون بقطعانهم شيئا أخر . [٢]

وأيـــنما وجـــد النيليون فهم متشابهون فى لغاتهم وتقاليدهم وثقافتهم ، وبينهم وبين النيليين الحاميين تشابه فى أمور كثيرة كتمجيد الماشية وإيثار حرفة الرعي وتنظيم المجتمع . [٣]

ويتكلم النيليون لهجة سودانية مثلهم فى ذلك مثل غالبية القبائل الضاربة فى حـــوض النـــيل ، بيد أنه فى نطاق هذه المجموعة اللغوية الكبرى هناك اختلافات كثيرة قائمة حتى بين الجماعات النيلية ذاتها . [٤]

---

(١) يسرى الجوهرى : الإنسان وسلالاته . دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٧٣ ص ص ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٢) Seligman Cp . Cit > P > 112

(٣) محمد عوض محمد : ١٩٦٥ مرجع سابق ص ١٤٧ .

(٤) Seligman , Op . Cit . P . 111 .

ونظـــرا لأن المعلومـــات الخاصـــة بالناحـــية الجسمانية محدودة جدا ، فقد اعتمد سليجمان على ما كتبه وسترمان فى تصنيف تلك الشعوب على أسس لغوية وفيما يلي تصنيف وسترمان للجماعات النيلية :-

١) مجموعـــة النيليـــن العلـــيا : وتنـــتظم شعوب ميتو (Mettu)) ، ومادى (Madi) ، وابوكايـــا (Abukaya) ، واباكـــا (Abaka) ، ولوبـــا (Luba) (Luba) ، وويـــرا (Wira) ، ولـــندو (Lendu) ، ومورو . (Moru)

٢) مجموعـــة النيليـــن الوســـطى : وتنـــتظم شعوب الشيلك (Shilluk) ، والأنواك (Anuak) ، وبير(Beir) ، وجور (Jur) ، وبلاندا (Belanada) ، وأغلبـــية شـــعوب شرقى أوغندا وآشولى (Acholi) ، ولانجو (Lango) ، وآتورو (Aturo)، وجاللوو (Jaluo) .

* **مجموعة النيليين الدنيا : وتشمل شعوب الدنكا (Dinka)، ونوير(Nuer)** [١]
ويقسمهم محمد عوض محمد إلى الشعوب التالية :-

١-جماعة اللو (LUO) فى كينيا ، وتمتد أوطانهم من منطقة خليج كافروندر نحو الجنوب الشرقى .

٢- شـــعوب آشـــولى (ACHOLI) فـــى أوعندا فى الجزء الشمالى منها ، بقرب مجـــرى أسوا وإلى الجنوب منه شعب أخر يدعى لانجو (LANGO) يتكلم اليوم لغة النيليين ، ولكنه فى الأصل من شعب النيليين الحاميين .

٣- شعب الدنكا ، ومواطنه إلى شمال البارى .

٤- شعب النوير ، وأهم مواطنه فى الجزء الأسفل من بحر الجبل وبحر الغزال .

٥- شعب الشيلك ومعظم أوطانهم على الضفة الغربية للنيل الأبيض .

٦- شعب الانواك فى حوض نهر بارو من أهم روافد السوباط ومعظم أوطانه داخل حدود أثيوبيا .[٢]

ويمارس جميعهم الرعى أساسا .

---

(1) Ibid . p . 111

(٢) ولمزيد من التفاصيل أنظر : محمد عوض محمد ١٩٦٥ : مرجع سابق ص ١٥١ .

احتلـــت دراسة القبائل – النيلية فى جنوب السودان جانبا كبيرا من اهتمام الكـــتاب والأنثروبولوجيين غير أن معظم هذه الدراسات انصبت على قبيلتى النوير والشـــيلك ،وأما قبيلة الدنكا والتى تقطن مجاورة لهاتين القبيلتين فلم تحظ بالدراسة العمـــيقة الشاملة ، رغم أن قبيلة الدنكا ليست من أكبر قبائل الجنوب فحسب بل هى اكبر قبائل جمهورية السودان .

وقـــد ظهـــرت أهمية دراسة قبائل جنوب السودان فى الآونة الأخيرة فيما أسمته الحكومة السودانية بمشكلة الجنوب ، لقيام الجنوبيين بالثورات المستمرة على الحكومـــة المركـــزية فى الخرطوم ، نظرا لعدم تفهم الحكومات السابقة للأوضاع القبلية بمديريات الجنوب وإتباعها وسائل عقيمة صارمة فى الإدارة والحكم ، فضلا عن إغفالها رفع المستوى الاقتصادي والاجتماعي وتحسين طرق المواصلات، مما جعـــل بعض العناصر فى الجنوب تطالب بالانفصال عن الشمال. كما كان من أثر الاستعمار البريطاني للسودان تخلف الجنوب عن ركب الحضارة والمدنية ، وعزل قدوم البعثات التبشرية التى تقوم فى الظاهر بخدمات اجتماعية ، ولكنها تبعث روح الانفصال والتفرقة فى نفوس الجنوبيين . [1]

(١) توفيق الحسينى عبده : الحياة الاجتماعية لقبيلة الدنكا : دراسة أنثروبولوجية اجتماعية ، رسالة مقدمة للدبلوم ، جامعة القاهرة كلية الآداب ، يناير ١٩٦٥ .

ثقافة الدينكا :

- يعتبر الحديث عن ثقافات الدنيكا وتراثهم حديثًا عن الهوية الحضارية التاريخية لهذه المجموعة .

وتعود أهمية ذلك إلى سببين :-

الأول : أن الديـــنكا من أكبر المجموعات العرقية فى السودان على الإطلاق ولم تعرف حـــتى الآن أن لهـــا جـــذورا أخرى فى الدول المجاورة للسودان مثل سائر القوميات السودانية الأخرى . (١)

الـــثانى : لقد دلت كافة الأبحاث والدراسات العرقية والجيوفيزيائية التى قام بها العلماء المتخصصـــون فى هذا المجال أن الحضارات التى قامت فى أفريقيا منذ آلاف السنين كانت من صنع الأفارقة السود .

وتنقسم قبيلة الدنكا إلى عدد من البطون الكبيرة ، ولكل قبيلة اسمها الخاص : فقبيلة بور تحف بها المستنقعات ، ويبدو أن كلمة بور معناها المغمور بالمياه ، وقبيلة علياب يقال أنها تسمى باسم جعران من الجعارين ، وقبيلة سيك مسماه باسم الرمح المقدس وتقدسه هـــذه القبـــيلة بـــالذات ، وسميت أجار بهذا الأسم الذى يعنى انثور ، وأما قبيلة تورى فمعناها الرعد العاصف .

---

(١) بول قاك : نظرة تاريخية لثقافات الدنكا (مونجانق) وتراهم ، فى ثقافات سودانية ، أغسطس ١٩٩٥ ص ص ٦٢ ـ ٦٦ .

(٢) المركز السودانى للثقافة والإعلام . مهرجان الثقافات السودانية الأول ٥ـ ١٠ أغسطس ١٩٥٥ .

Hirschlerg . W.: OP . Cit . P . 53

وكذلك محمد عوض محمد ١٩٦٥ : مرجع سابق ص ١٥٢ .

يســكن الدنكا بين بحر العرب والنيل الأبيض وينقسمون إلى عدد كبير من قبائل غير مرتـبطة ببعضها . رك – Rrik ، مالوال – Malwal ، جوك – Gok ، أجار – Agar ، نجـوك Ngok ، نيل – Niel ، علياب Aliab ، بور – Bor ، كيك – Kiec ، توى – Twi [1].

ويعتـبر الدنكـا أكـثر عـددا وأوسع انتشارا من أية مجموعة أخرى من الشعوب النيلية ، وتمثل أوطانهم موقعا وسطا يعتمد من السوباط الأدنى إلى بحر الجبل ثم إلى بحر الغزال ، ويلتزم موطنهم الجانب الشرقى للنيل الأبيض ومواضع قليلة جدا مـن الدنكا الغربى ، والوطن الشمالى للدنكا أقل فى المساحة وعدد السكان من الوطن الجـنوبى حيث يبدأ الثانى من السهول النرقية فى حوض بحر الجبل ويمتد على شكل مروحة إلى الشمال الغربى حتى يصل إلى شواطئ بحر العرب . [2]

ولقـد جرت العادة إلى تقسيم الدنكا إلى ثلاث شعب : شعبة النيل الأبيض وشعبة بحر الجبل وشعبة بحر الغزال .

ويصـفهم الرحالة " جون باتريك " بقوله : أن الدنكا قبيلة زنجية كبيرة تقطن شرق النيل الأبيض ، واقليمهم ليس متصلا حيث تعيش بينهم قبيلة النوير .

- يمـتد وطن الدنكا على مساحة واسعة بحيث يشمل معظم مديرية بحر الغزال ، بل يعبر بحرالعرب ليصل إلى مديرية كردفان ، وتقع أجزاء من وطن الدنكا فى حدود محافظات بحر الغزال واعالى النيل وجنوب كردفان .

وإقلـيم الدنكا مستو على العموم ، وتكثر به المستنقعات فى فصل الخريف ممـا يضـطر الدنكـا لرفع منازلهم عن سطح الأرض بأعمدة من الخشب ، وفى الجنوب نجد أرض الإقليم حشائش وشجيرات قصيرة فى فصل الجفاف حيث يرى الزراف والحمار الوحشى وأنواع كثيرة من بقر الوحش وربما الفيلة والنعام .

---

(١) Bernatzik , H . OP . Cit . P . 229

(٢) محمد عوض محمد ١٩٦٥ : مرجع سابق ص ١٥٠ .

وأوطان الدنكا عبارة عن أراضى سهلة خالية من أى أثر للجبال أو الكثبان ، ولذلك كان تصريف المياه فيها متعذرا ، وكان سببا لانتشار المستنقعات فى فصل المطـر ، وتـزداد المسـتنقعات ازديادا هائلا فى الحوض الأدنى من بحر الجبل وحـوض بحـر الـزراف ، ويعقب موسم الأمطار موسم الجفاف الذى تجف فيه الأرض وتتشـقق ، ويهـرب الدنكاويون من الجفاف المنشر بموطنهم إلى شواطئ الأنهـار أو المنخفضات التى يبقى بها الماء . وفى السهل الشرقى من بحر الجبل يوجـد شريط مرتفع عن مستوى السهول ، ويسمون كل جزء مرتفع عن الأرض باسـم " دولة " وعلى هذه المرتفعات تكثر الأشجار وتتكدس المساكن ، وفى الجزء الجـنوبى مـن موطـن الدنكا تنتشر الغابات وبالتالى الحيوانات المختلفة كالأفيال والـزراف. والمـنـاخ حـار نسبيا رغم سقوط الأمطار التى تبدأ فى بداية شهر أبريل . [١]

أما مناخ بلاد الدنكا فليس كله متساويا فى الأرض المنتشرة عليها القبيلة ، فبيـنما نجد الشمال الشرقى أقل أمطارا من الجنوب نجد فصل الشتاء تتساوى فيه درجة الحرارة فى كل أنحاء البلاد .

والمسـاحة الواسعة التى يمتد عليها وطن الدنكا تعطينا فكرة واضحة عن طول المدة التى عاشوها فى هذا الإقليم منذ أن تركوا الموطن المشترك مع النيليين ، ومـن ثم سنفهم بسهولة وجود الاختلافات اللغوية والثقافية ، التى ساعدت على اختلافها عدم وجود لغة مكتوبة وتباعد المسافات وصعوبة المواصلات الداخلية .

---

(١) كارلتون ، إدوارد هنت : السلالات البشرية الحالية ترجمة محمد السيد غلاب ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٣١٦ .

مـــن هـــــم الدنكـــا :

- يقال أن الأسم الذى يحمله (الدينكا) غير حقيقى فقد أطلق عليهم بواسطة الأجانب فكلمـــة (Dinka) فى حقيقة الأمر هى جملة ومعناها يقول (Deng KA) أى

(هـــو ، ذا دنيق) شيخ المجموعة ، كإجابة عن سؤال محذوف تقديره : أين دنيق ؟ شـــيخ المجموعة ، وأحيانا يقال أنه (**دنيق كاك – DENG KAK**) ، (**وكاك**) هو اسم شيخ المجموعة التى وجدت فى شندى الحالية فى الشمال إذ أن الدينكا هم أول من سكن مناطق مدينة شندى قبل أن تتحول إلى مركز للنخاسة فيما بعد .

والاسم الذى تطلقه هذه الجماعات على نفسها هو جنح مفردها جانح حرفها جيرانهم من العرب إلى دنكا والمفرد دنكاوى .[1]

كلمة دنكا – (Dinka)

هـــى التحريف الإنجليزي للكلمات العربية ، دنكاوى وجانكوى وجانجى ، ويطلـــق الدنكا على أنفسهم موينج يانج (**Moing Jang**) ، ولا توجد رابطة تجمع قبائل الدنكا فى أمة ، لأن القبائل لا تعرف لها رئيسا أعلى كما يعرف جيرانهم الشيلوك مجموعة النيليين الدنيا ، تشمل شعوب الدنكا(**Dinka**) والنوير(**Nuer**) .

---

(1)Hirscherg , Walter : Volkerkunde Afrikas , Mannheim 1965 . P .53 .

لقـــد كان لتطورات مشكلة الشمال / الجنوب دور كبير فى توسيع وتعميق تدهـــور علاقات القبائل مع بعضها البعض . ففى عام ١٩٥٥ ظهر أول تعبير عن دخـــول العـــنف المسلح فى السياسية السودانية ، وأصبح الشباب الجنوبى المتعلم بشـــكل خـــاص ، قوة سياسية نشطة لها وزنها وتأثيرها ، وفى هذا الإطار تكونت جمعية شباب الدينكا فى كل أنحاء السودان ، وكان من بين أهدافها توعية جماهير الديـــنكا بمشـــاكل السودان الحديث التى تواجههم ، رغم أن السياسة لم تكن مجال اهتمامها الوحيد ، لكنها ظلت تحتل جزءا هاما من البرنامج الثقافى الذى وضعته الجمعية لنفسها وتركز الاهتمام المباشر لأعضائها من أبناء الأنقوك – وكانوا كلهم من المتعلمين – على تقرير مصير المنطقة . ولتحديد أهداف الجمعية ونشاطاتها ، عقـــد مؤتمـــر فى (**أكينهيال– Akeenhial**) فى ديسمبر ١٩٥٥ تحت إشراف (أحمـــد دنيق) ابن الزعيم (**دنيق ماجوك**) ، الذى عين مساعد ضابط تنفيذي فى منطقة الأنقوك .(١)

لقـــد ســـببت الحـــرب تمزيقا واضحا فى الخدمات الاجتماعية مثل التعليم والصحة وأماكن الأسواق وكل الأنشطة التى تمت بصلة لاستمرار المرأة فى الحياة . ولقـــد قـــتل وفـــر مـــن الدولة العديد من المتخصصين فى التمريض والأطباء والمدرســـين ، تاركيـــن وراءهـــم مـــئات الآلاف من الأمهات والسيدات الحوامل والأطفـــال الذين هم فى المدارس يذهبون بمفردهم إلى براري السودان الجديد لقد تحركت الجماعات للبحث عن أماكن إيواء آمنة ومحاولة تصحيح الأوضاع .

فمياه الشرب الآمنة والملابس الدافئة ليست موجودة . بالإضافة إلى البؤس والمـــوت ضريبة الأطفال والسيدات الحوامل ... وكلما استمرت الحرب زاد عبئ العمل على المرأة وخاصة فى قرى السودان الجديد ، حيث تمشى السيدات والبنات أميال عديدة للبحث عن الماء وخشب الوقود .

---

(١) فرنسيس دينق : مشكلة الهوية فى السودان ، أسس التقابل القومى ، ترجمة محمد على جاد من مركز الدراسات السودانية ١٩٧٣ ص ٧١ .

ولمعالجة هذا الموقف لكل هؤلاء السيدات تنادى المرأة فى السودان الجديد بالســلام ، بل تناشد نساء العالم فى أى مكان للتعبير عن موافقتهم مع من ينادون بالبحث عن السلام ، كما يناشد المجتمع الدولى وكل الشعوب التى تحب السلام فى العــالم بممارســة الضغط الممكن لدى حكومة السودان لكى تتحقق من أن شعوب جنوب السودان لها نفس الحقوق(١) ولم يشهد التاريخ مملكة لقبيلة الدنكا(٢)

ويمــتاز الدنكــاوى بطول القامة ، وبالبشرة السوداء التى تميل إلى البنى الغامق ، والشفاه غليظة مقلوبة ، والشعر صوفى والرأس طويل والجبهة منحدرة.

وتــتلخص خصائصهم النفسية فى أنهم أهل شجاعة وفروسية . وأجسامهم غاية فى المرونة ويظهر هذا فى رقصهم ، وتساعدهم سيقانهم الطويلة وخصورهم النحــيلة على التفوق فيه . وحياة الدنكا شاقة ، وهم بصفة عاملة لديهم لياقة بدنية تساعدهم على مواجهة حياتهم الشاقة

---

(١) رسالة دكتوراه

Jok Madut Jok : Women , Sexuality and Social Behavior in western Dinka . 1996 .

(٢) حسن محمد جوهر : مرجع سابق ص ١٠٣ .

Seligman , C . G . Races of Africa, New York , 1957 . P . 60 .

وقــوام اقتصاد معظم قبائل الدنكا هو بلا شك اقتناء الماشية وبوجه خاص اقتــناء البقر ، فالحرفة الأساسية لديهم الرعى وهذا النوع من الرعى شبه مستقر ، فهم يرعون فى المناطق الممطرة وإذا جاء موسم الجفاف انتقلوا إلى مناطق أخرى تكثر بها الأعشاب . وللأبقار مكانة كبيرة فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ، فيها يقــدر الثراء والمكانة الاجتماعية وبها تدفع المهور والدية وبالتالى فهى لها أهمية روحية بين فروع قبيلة الدنكا بسببها .

ويعيش الدنكاوى من أجل الأبقار يرعاها ويحميها من شر الأعداء ومن شر البعوض وذباب (**التسى التسى**) ويحيا ذاكرا لها حيث يقول فيها الشعر وبها تحلو حفــلات السمر وتعتبر الأبقار الشئ الوحيد الذى يحسد عليه المرء ، لابد للدنكاوى مــن الحصول عليها بأى طريقة من الطرق ، وفى الماضى كانت الإغارة والسلب والنهــب وتنعكس أثر حياة الرعى التى تسود بيئتهم احترامهم لماشيتهم إلى درجة تقرب من التقديس الدينى . فعندما يهدى الأب ثورا لابنه عند بلوغه مرحلة الشباب ، يــتعلق الشــاب بثوره تعلقا وثيقا ، وليس من المبالغة فى شئ أن نقول أن الابن يلتصــق بــثوره ويلازمه حتى تحقق ما يسميه علماء النفس بعملية التقمص ، فهو يقضى الساعات لثوره ويلعب معه ، بل أنه يعرف بين أقرانه باسم ثوره ، ويعتبر مــوت الــثور كارثة كبيرة ، ولذلك فليس من العجيب ألا تذبح الماشية إلا فى منا سبات الحفلات الاجتماعية والطقوس الدينية .

تلعــب الماشية دورا هاما فى حياة الدنكا لما لها من أهمية اجتماعية ودينية تفــوق أهميتها الاقتصادية وقد ساعد هذا الاعتقاد على حفظ تلك الإعداد الهائلة من الماشــية وعدم استهلاكها حفظ للأجيال المتعاقبة ثروة متوارثة هامة ومورد أساسيا للغذاء .

أمــا الــرعى فبسبب اهتمامهم بالماشية جعلهم رعاة ممتازين ، ومعرفتهم بالاقتصاد الحيوانى راسخة ولذلك فإن قطيعهم يعتنى به .

والدنكــاوى يرعى قطيعه فى المرعى الجاف فى فصل الأمطار والفيضان وعندما يجــف الإقليم يتحرك تدريجيا إلى المراعى الخضراء النامية بجوار الأنهار ولكنه يخــتلف عــن الرعاة الآخرون فى انه يزرع التربة التى يبخر عنها الماء ، ولهذا

السـبب فـإن الجـزء الجاف من السهول الفيضية يصبح أمله الوحيد ، وعلى هذا الجزء من أرض التويك (**Toick**) توجد قراه .

ويـتدرب الأحـداث على رعى الماشية ، ويتولى الكبار تعليمهم تدريجيا ، فيـبدأ الأطفـال بجمع فضلات الماشية للوقود ، ثم يتعلمون حلب البقر ، وفى نحو التاسعة من العمر يذهبون إلى النهر ليتعلموا صيد الأسماك وبعدها بعامين أو ثلاثة يشتركون فى صيد فرس البحر .

ورغم شهرة الدنكا بالماشية كأساس اقتصادى فى حياتهم فقد استطاعوا أن يحققوا نجاحا ملحوظا فى الزراعة كلما سنحت الظروف لذلك .

والـزراعة عند الدنكا تتوقف على الاستفادة من الماشية والغنم والماعز فروثها هو المصدر الوحيد لتسميد الأرض وارتفاع خصوبتها كما يستخدم السماد المجتمع فى اللواك للزراعات المبكرة .

وبممارسـة الـزراعة والرعى يكون قد حقق نجاحا ومقدره فى الاقتصاد الـزراعى المختلط ، والسر فى ذلك يكمن فى الاستئناس الكامل للماشية . وتختلف الماشية فى الحجم والتكوين ، ولكن لها بصفة عامة طابع الصنف الجيد .

ويهتم الدنكا الشماليين بالزراعة ، فيزرعون البقول بأنواعها والذرة الشامية والفول السودانى والسمسم والتبغ ويصدرون الفائض عنهم إلى قبائل الجنوب .

كمـا يعتـبر شعب الدنكا من الصيادين المهرة ولديهم أساليبهم وحيلهم فى صيد الحيوانات البرية مثل الغزلان والوعول . ويصطادون الوعول الكبيرة بكلاب كبيرة مدربة على الصيد ، ولأن الوعول يصعب عليها الجري فى الأراضي المبتلة ، فـانهم ينـتهزون فرصة سقوط المطار ويصيدونها ، ويصطاد الفيلة بإلقاء رماح مدبـبة فـى نهايتها أثقال كبيرة ويقتسمون سن الفيل بينهم حيث يستغلونه فى عمل حلقات عريضة يلبسونها فى الأذرع .

وتعمـل قبـيلة " السيك " وهى فرع من فروع الدنكا باستخراج الحديد من باطن الأرض وصهره وصناعة الرماح والحراب .

فـإلى عهـد قريـب صهر الدنكا الحديد اللازم لهم ، ولا يزال يصهر فى المنطقة الغربية من الوطن .والقبيلة التى تشتغل بصناعة الحديد هى **(دنكا السيك)**

حــتى لقد أطلق عليها (**دنكا الحدادين**) ، وأشهر عشائرها التى تمارس هذا الفن هما عشيرتى : (**Nyonker**) ، (**Gumbek**) وتقطنان جنوب بلد شامب .

ويجمــع الحديــد الخام من التلال فى الجنوب ويصهر فى أفران أسطوانية الشكل ارتفاعها خمسة أقدام وقطرها قدمان . فتوقد النار أسفل الأفران ويكوم فوقها مــا يقــرب من أربعة أقدام من الفحم النباتى وتستغرق هذه العملية نحو ٢٤ ساعة يخرج بعدها الحديد منصهرا فيشكل حسب الشكل المطلوب ، ونظرا لاعتماد السيك على صناعة الحديد كمورد أساسى فى حياتهم الاقتصادية ، فإن المصاهرة تنحصر بيــن عشائرهم القبلية ، لأن نقص الماشية لديهم يجعل حصولهم على الزوجات من القبائل المجاورة أمرا صعبا . كما أنهم يحصلون على الماشية اللازمة لغذائهم عن طريق مبادلة المنتجات الحديدية والحراب بالماشية مع القبائل الأخرى . [١]

---

(١) محمد عوض محمد ١٩٦٥ : مرجع سابق ص ١٦٣ .

محمد عبد الفتاح إبراهيم : مرجع سابق ص ١٨٠ .

أما بخصوص التجارة فتعتبر العائلة الدنكاوية وحدة اقتصادية مكتفية ذاتيا ، ويصـــنع الـــرجال والنساء كل ما يحتاجون إليه والأشياء الوحيدة التى تشترى من الخـــارج هـــى المعادن البسيطة الصنع والخرز وبعض الملح والمنسوجات القطنية للذين يرتدونها .

ولقد نمت التجارة وارتفعت الصادرات فى الآونة الأخيرة ومن ناحية تقسيم العمل فلكل من الرجل والمرأة نصيبه المحدد فى بناء المنازل وإصلاحها ، وفى الزراعة والرعى وإمداد المنزل بالطعام والأدوات ، وبما أن المرأة تقوم بالجانب الأكبر من الشئون المنزلية ، فإن الرجل مسئول عن القطيع واحتياجاته من الأوتاد والحبال ، كذلك إقامة الأسوار عندما ينتلقوا إلى مراعى جديدة وكذلك سقيا الماشية ورعيها ، وعليه أن يكون مسلحا ومستعدا لحمايتها .

وهكذا نرى أن الرعى والصيد من اختصاص الرجال ، وتقوم معظم النساء بحلب الماعز أو الأغنام وقلما يحلبن البقر . وتتعلم البنات من أمهاتهن أعمال المنزل من طبخ وطحن وخبز ، وتقوم النساء بجميع أعمال الزراعة ، ولا يشترك فيها معهن سوى الأحداث من الأولاد والبنات .

والعناصر الأساسية الاقتصادية عند الدنكا تنحصر فى المأكل والملبس وفى الحاجة إلى مسكن .

*** المسكن :**

هـــذا وتعـــيش كل عشيرة فى رقعة من الأرض منفصلة عن العشيرة المجاورة ، ويقيمون مساكنهم وسط المراعى والمزا رع ، والمسكن من الخشب بسقف مسطح وفـــى المـــناطق الـــتى تكثر فيها الأمطار ترفع المساكن فوق أعمدة من الخشب ، ويخصـــص مســـكن للـــنوم وأخر للمعيشة والطعام ، وتكون الأكواخ متباعدة عن بعضها ولكن تتلاصق فى موسم الجفاف حينما يهرعون إلى شواطئ الأنهار .

تـــتألف القرية من عدد من المقرات ويتكون كل مقر من واحد أو أكثر من المنازل السكنية (أكواخ) حسب عدد زوجات الرجل لأن لكل زوجة كوخها الخاص بها ،

ومـــن مخزن للحبوب ومن لواك (LUAK) أو منزل الماشية وهو أهم وأكـــبر مبنى وتبنى المنازل السكنية على أعمدة من الخشب لكى تجعل الحياة سهلة

فـــي وطن يفيض بالمياه عدة أشهر من السنة . وهذه المساكن المرتفعة نجدها فقط عـــند الجماعـــات الـــتى تســـكن مـــناطق الفيضان ، أما الدنكا التى تسكن بجوار المســـتنقعات حيث الفيضان أقل قسوة فتبنى مساكنها فوق الأرض مباشرة والمنزل صـــغير نســـبيا ومستدير الشكل وبابه صغير ، ويبدو مرفوعا عن الأرض بحوالى قدميـــن تقريبا على أعمدة سميكة مقطوعة من خشب متين . والأسباب التى تجعل الدنكـــا يبنون مساكنهم على أعمدة هى أنها تعطيهم الأمان من الحيوانات المتوحشة التى قد تهاجمهم . كما أنها تتيح لهم الحصول على حجرتين إحداهما فوق الأخرى ، وينتفع بالفراغ الأسفل المظلل كمكان للجلوس أثناء النهار ومثل هذه المنازل توجد فقـــط بـــأرض الدنكـــا الجنوبـــية حيث يتوفر الخشب وتقام الحوائط من الحشائش المجدولة ثم تغطى بطبقة من الطين ، وتصنع الأسقف مخروطية الشكل من فروع الأشـــجار الصغيرة بعد جدلها بالأعشاب ، وعادة يتم صنع السقف على الأرض ثم يوضـــع فـــوق الحائط أما اللواك(**LUAK**) أو منزل الماشية فيبنى على الأرض مباشرة وهو مستدير أيضا .

* **الأدوات المنزلية :**

معظـــم الأدوات المنزلـــية الـــتى لـــدى الدنكا صناعة محلية ، والأدوات الضـــرورية فـــى حياتهم تتألف من أوعية فخارية للطبخ يقوم بصنعها النساء من خامـــات الـــتربة المحلية وآنية من القرع العسلى مختلفة الأشكال والأحجام بعضها يستخدم لحفظ عصيدة الذرة ، والبعض الآخر لحفظ الزيت والزبد واللبن .

كمـــا يشـــتمل الأثـــاث علـــى سلال مجدولة لخزن الحبوب وشباك لصيد الأسماك مصـــنوعة مـــن الأغصان المجدولة ، كذلك أمتعة للنوم من جلد الحيوانات وأوتاد ماشية وأحبال مفتولة من شرائط الجلد ، ويحتوى كل مقر لذلك على جرن من جذع شجرة مجوف ومثبت فى الأرض لصحن الحبوب

وهـــم يبـــنون للماشـــية أكواخا أضخم وأعظم مما يبنونه لأنفسهم ويسمونها لواك وجمعهـــا لويك ، ومكانها وسط المزارع فى الوقت الذى تتوافر فيه الحشائش ، أما موسم الجفاف فتنتقل العشيرة إلى جوار الأخوار أو الجداول والأنهار ، وهنا يبنون لأنفســـهم أكواخـــا مؤقـــتة أو ينامون فى العراء ، ويشعلون النار ليلا لحرق روث

الماشية بهدف طرد البعوض لكى لا يؤذى الماشية . وتربط الحيوانات فى أوتاد من الخشب لتأمينها من السرقة ولتظل قريبة من موقد النار [(١)]

والملابس عندهم ليس لها وظيفة ومن يرتديها يريد أن يخفى عيبا فى جسمه [(٢)] ولذلــك ينتشــر بينهم العري ، نجد الدنكاوى عارى من كل شئ إلا من حبات الخرز وقطع الحديد وسن الفيل المحيط بوسطه وعنقه وذراعيه وساقيه وكذلك الفتاة قبل الزواج ، ولكن بعد زواجها تضع لها أمها فراء (مئزرا) يطرز أطرافه بالودع والخرز وهو يغطى ما بين الوسط والركبة ، عريض من الأمام ويتضاءل عرضه إلــى أن ينــتهى بما يشبه الذيل عند الركبة ويثبت هذا المئزر بسير من الجلد على الوسط .

ومــن **أدوات الزينة** ذات المغزى الرمزى لدى النكاوى العقود المصنوعة مــن الخزز حول الرأس والتى تدل على عدد الأبقار التى يملكها ، فكلما زاد عدد الأبقار زاد عدد العقود التى يلفها حول رأسه ، فإذا ما بلغت عددا معينا وضع ريشة فوق رأسه ، وهذا معناه أنه من كبار الأغنياء. [(٣)]

ومــن الملامــح الجمالية لديهم أن يكون جسم الفتاة والفتى ممشوقا وغير مــترهل ومن الملامح غير الجمالية ، والمثيرة للاشمئزاز أن يكون للدنكاوى بطن مــترهل ويقاس جمال الفتاة والفتى بما يملكان من الحلى والخزز والذى يظهر فى ليلة " النقارة ، وهى ليلة راقصة تجتمع فيها العشيرة فى ضوء القمر وفيها يرقص الشباب .

والتشليخ أو الوشم عبارة عن صفين أو ثلاثة من الندوب ،أى فى شكل نقط ، وهذه هى العملية الأساسية للتكريس عند الدنكا . ويصحب هذه العملية أن ترسل مجموعــة من الصبية تتراوح أعمارهم بين خمسة عشرة إلى ستة عشرة سنة إلى منطقة المستنقعات ليعيشوا هناك نحو شهر فى العراء أو فى حفر يحفرونها ،

---

(١) محمد عوض محمد عوض : ص ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
(٢) أحمد حسين : من وحى الجنوب القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٨ ، ص ٩٣ .
(٣)حسن محمد : مرجع سابق ص ١١٢ .

ويحصـــلون ليعيشوا على قوتهم بأنفسهم ويتكبدون المشقات ، وعند انتهاء هـــذه المدة يعودون إلى القرية فتحلق رؤوسهم ، ويتبرع والد كل فتى بما تجود به نفســه لابـــنه وتعطـــى الأكثرية منهم للابن ثورا وزورقا ورمحا وحربة للصيد ، وأخرى لصيد فرس النهر ، وشباكا لصيد الأسماك ، ويتبرع الأغنياء منهم ببقرة أو بقرتيـــن . ومنذ هذه اللحظة يسمح لهم التحدث إلى الفتيات والاشتراك بالتدريج فى بعض المعارك التى تحدث.[1]

* **الغـــذاء :**

يشكل اللبن عنصرا أساسيا فى غذائهم وأحيانا يخلط الدم مع اللبن .

ولان الدنكـــا ينتشـــرون علـــى مساحة واسعة من الأرض فقد أدى ذلك إلى وجود اختلافات فى غذائهم . فالذين يعيشون فى المستنقعات على طول نهر النيل وروافده يـــأكلون كمـــية كبيرة من السمك ولحم فرس النهر . أما الذين يعيشون فى منطقة رومبك (**Ruombek**) حيث تجود الزراعة فيعتمدون فى غذائهم على الذرة ، بينما دنكا الشمال الغربى يجمعون بين هذين النوعين فهم يعتمدون فى غذائهم على قليل من الذرة وقليل من السمك .

ولا تذبـــح الماشية إلا فى المناسبات الاجتماعية والدينية حيث تقدم القرابين والأضـــاحى ، أو للاحتفال بمناسبة من المناسبات الهامة ، عندئذ يمكن أكل لحومها مشويا أو مسلوقا .

وخـــلال فصل المطر يتناولون فى غذائهم مختلف السلاطات الخضراء و القرع العسلى التى يستفاد بثمرتها وأوراقها .

ورغم أن لدى الدنكا دواجن مستأنسة فإنهم لا يأكلون الطيور أو البيض .

ويســـتخدم الذرة فى عمل الثريد الثقيلة والعصيدة ، بينما بعضها يخمر لتصنع منه البيرة المحلية (المريسة) وتشرب فى شهور أكتوبر ونوفمبر وديسمبر .

وهم يأكلون لحم الأفيال ويعتبرون لحم التمساح وثعبان الأصلة كلحم الأسماك وأيضـــا فـــرس البحر ، ويمكن القول أن الدنكا يعتمدون على لحوم تلك الحيوانات كغذاء أساسي لهم ، بجانب دقيق الذرة الذى يصنعون منه ثلاثة أنواع :-

---

(١) أحمد حسين المرجع السابق ص ٩٣ .

الأكواب : ويتكون من كرات العجين المطهية على النار وتؤكل مع إضافة اللبن والسمك إليها .

الولول : ويتكون من الدقيق المخلوط بالماء ويطهى على النار حتى يصبح سميكا ويؤكل مع اللبن .

الفونج : وهو الذرة المسلوق . كما يأكلون لحم الأغنام . أما الأبقار فنادرا مـــا تؤكـــل لحومهـــا ولا يأكلون الطيور والبيض . ويتكون غذاؤهم الرئيسي من وجبتيـــن إحداهما فى الصباح والثانية عند المغرب ، ويتناولون الطعام مستخدمين ملاعق من المحار ، وتكثر الفتيات من شرب اللبن .

*** والـــزواج :**

لـــدى الدنكـــا اغترابى أى من خارج العشيرة التى ينتمى إليها الشخص ، ويعتـــبر زواج أهـــل العشيرة الواحدة من بعضهم من المحرمات ، وإذا حدث فإنه يجلب غضب أرواح السلف والخراب والدمار على القبيلة بأكملها .

وتتاح فرص التعرف بين الشباب والشابات من العشائر المختلفة فى موسم الجفاف حيث تجتمع عشائر قبيلة الدنكا حول الانهار . ويسبق فترة الخطوبة تفاهم شخصى بين الفتى والفتاة . وقبل أن يقدم الشاب على خطبة الفتاة عليه أن يحصـــــل على موافقة رفاقه فى الطبقة العمرية التى ينتمى إليها . ثم يرافقونه إلى بيت العروس ، ويطلبون التبغ من والدها ، فإذا ما أعطاه لهم يكون هذا دليل على رضاه وموافقته. وتساهم العشيرة كلها فى دفع المهر المكون من عشرين بقرة .[(١)]

وتخـــتلف قيمة المهر من قبيلة إلى أخرى ، فالقبيلة الغنية بماشيتها . قد يصل فيها المهر إلى خمسين رأسا من الماشية أكثرها من البقر ، ومعها غنم وماعز ، أما عند سكان المستنقعات ، حيث المراعى محدودة ، قد لا يزيد على خمسة رؤوس .

بعضها من البقر والبعض ثيران ومعها بعض من الماشية الصغيرة ، ماعز وأغنام كما يقدم العريس زوجا من الأسنة التى تستخدم فى صيد فرس البحر ، ومقـــدارا

---

(١) حسن محمد جوهر : مرجع سابق ص ٦٥ .

كبيرا من السمك وقدرين أو ثلاثة من دهن فرس البحر ، أما عند جماعة الحدادين ، فـــإن المهر يدفع معظمه من أقراص الحديد ، وعنصر الماشية فيه قليل جدا ، وفى الغالب لن يكون فيه بقر ، بل بعض الثيران ، والماعز والأغنام .

وليس من الضروري أن يدفع المهر كله مرة واحدة ، بل يدفع أكثره ويسقط الباقى بالاتفاق بين الأبوين ، ويتم الزواج بحفل تقام فيه الموسيقى والرقص، وتبقى الزوجة عادة فى بيت والدها ، حيث تسكن مع عريسها كوخا أعد لهما ، إلى أن تلد طفلا أو طفلين ، وبعدها تستطيع أن تنتقل إلى عشيرة الزوج وتتخذ لها مسكنا فيه [١] وبمجـــرد أن يـــتزوج الشاب يهديه والده قطيعا خاصا به ، ويتخذ العريس اسما لنفسه وهو اسم أشهر ثيرانه ، وتهدى الأم ابنتها قدرين ومحركين للحساء وعدد من الملاعق .

وتمتـــنع المـــرأة خلال فترة الحمل والرضاعة عن أكل بعض الأنواع من الأطعمـــة (لحـــم الجاموس الميت والسحالي) ، وعليها أن تراعى تلك المحرمات لكيلا يموت وليدها . وإنجاب الأطفال شئ مقدس لديهم ، ومن تقاليدهم أن من مات زوجهـــا بدون أن تنجب فإنها تتزوج من أخيه أو من أى رجل أخر على أن ينسب الأطفال

الذيـــن يولدون إلى الأب المتوفى . ولا تتم تسمية الطفل بعد ميلاده مباشرة ولكنه يترك بدون اسم حتى يحبو ويستطيع المشي . ومما هو جدير بالذكر أن الاسم يتغير كلما انتقل الطفل من طبقة عمرية إلى أخرى وغالبا ما تكون الأسماء مرتبطة بأســـماء الـــبقر أو المطـــر . ولادة توأم فى القبيلة له فرحة كبيرة ويعمل لها حفل يســـتدعى فـــيه أحد الكهنة ويقيمون الصلوات للإله الأعظم " نهاليك " ويذبح ببوله عجل كبير يمسحون جسم الوالدين والتوأم ويدعون لهم بالخير . [٢]
وعـــندما **يشـــب الأطفـــال** ، يخرج الولد للصيد ورعى الابقار وتتعلم البنت أعمال الزراعة وحلب الأغنام وأعمال المنزل . ولقد تأثرت قبيلة الدنكا بجيرانها فى عملية الختان ، فقد بدأت هذه العملية تنتشر بينهم حديثا .

---

(١) حسن محمد جوهر : مرجع سابق ص ٦٥ .

(٢) محمد عوض محمد ١٩٦٥ : مرجع سابق ص ١٦١ .

وعـــندما يقترب الطفل من العاشرة تخلع قواطعه السفلية ، ولا يدل هذا عندهم على بلوغ الصبى مرحلة من العمر ، وذلك بخلاف الوشم الذى يعمل فى الجبهة ويكون فى سن المراهقة ويدل على بدء مراحل الفتوة والدخول فى أول طبقات العمر .

وتعدد الزوجات لدى الدنكا ليس ممنوعا ، ولكنه شئ نادر . والطلاق جائز عندهم وســببه فـــى العـــادة العقم ، فإذا مضى عامان أو ثلاثة ، ولم يثمر الزواج الثمرة المـــرجوة ، جـــاز للزوج أن يطلق زوجته ، وفى هذه الحالة ترد إليه الماشية التى قدمهـــا مهـــرا . ومـــا قد تكون قد أنجبته من عجول فى تلك الفترة ، وربما فضل الزوج أن يحتفظ بزوجته الأولى برغم عقمها ، ويتزوج امراة أخرى . ومن أسباب الطلاق أيضا سوء المعاملة ، وهروب الزوجة إلى رجل أخر ، ولكن لا يعتبر الزنا جريمة تعاقب عليها الزوجة وعلى الزانى أن يدفع للزوج غرامة .

تـــتروراح مـــا بين خمسة أو ثمانية رؤوس من الماشية . ورد المهر عند الطـــلاق يعـــد أمرا صعبا ، لأنه يقسم بين أهل العروس ، وعلى والدها أن يجمعه ثانية من أقاربه ، وكذلك نجد أيضا أن حالات الطلاق بينهم نادرة .(١)

وينتشـــر بيـــنهم عـــادة تجنب الحماة ، فعلى أزواج بناتها عدم الجلوس أو الحديث معها ، وتعامل شقيقة الحماة معاملة الحماة . (٢)

أمـــا **الوفاة** فتختلف طريقة دفن الموتى من عشيرة لأخرى ، وعادة ما يدفن الرجل خـــارج الكـــوخ ، ويقوم أخوة المتوفى بحفر القبر على يمين باب الكوخ ويوضع الجـــثمان على الجانب الأيمن بحيث تكون اليد اليمنى للمتوفى تحت رأسه ، ويبطن القـــبر بجلود الحيوانات ، كما يغطى الجثمان بالجلد ويوضع فى أذن المتوفى قطعة مـــن جلد الغنم لكيلا يدخل التراب لأذنه ، ويذبح بقرة كقربان للأرواح ، وإذا كان المتوفى امرأة تدفن فى حفرة داخل الكوخ .

---

(١) محمد عوض محمد ١٩٦٥ : مرجع سابق ص ١٦٣ .

(٢) محمد عبد الفتاح إبراهيم : مرجع سابق ص ١٨٠ .

بينما يدفن رئيس الماشية فى حظيرة الأبقار وينثر على قبره روث المواشى واللبـــن ومـــن مظاهر الحداد لديهم أنهم يضعون التراب على رؤوسهم ويرفعون أصـــواتهم بـــالعويل ويظـــل والد المتوفى وأخواته حول القبر أربعة أيام وإذا كان المتوفى شيخا تمتد المدة إلى ثمانية أيام يمتنعون خلالها عن شرب اللبن والاقتراب من الأبقار ، وبعد انتهاء فترة الحداد يقومون بالاستحمام وشرب اللبن .

ومن تقاليدهم أن الشاب الذى تدركه الوفاة دون أن يتزوج ، لابد لأخيه أن يتزوج بالنيابة عنه ، قبل أن يتخذ زوجة لنفسه ، لأن الزواج أمر لا يجوز أن يحرم مـــنه المرء حيا كان أو ميتا . وتعتبر هذه الزوجة فى عرف المجتمع زوجة الأخ المتـــوفى ، وينسب الأولاد له وأيضا الأرملة لابد أن تتزوج أخ زوجها المتوفى أو أحد أقاربه ، ولا يعد هذا الرجل زوجا لها ، بل هو نائب عن الزوج المتوفى ، وأيضا الأطفال الذين يولدون يعدون أطفال الزوج الأول

وأمـــراض الدنكا ليست كثيرة وأكثرها انتشارا هو مرض الملاريا ، ونظرا لأن الأهالي يعتقدون أن الأرواح هى التى تسبب الأمراض فالوسيلة الوحيدة للعلاج عندهم هى تقديم القرابين لروح " دنج ديت " وأرواح أسلافهم طلبا للشفاء ، وهناك مـــنهم مـــن له قدرة شفاء المرض بمساعدة أرواح الأسلاف . وهم يحمون أنفسهم وأبقـــارهم مـــن الناموس بدهن أجسامهم بالتراب المخلوط ببول البقر فيضع طبقة عازلة تمنع اقتراب الناموس .

* **الفـــن والزينـــة :**

تقتصـــر أعمال الزخرفة لديهم على أشياء قليلة مثل زخرفة مقابض الحراب ، ولكـــل حربة غرض معين يستخدم فيه كما تزين بمواد خاصة ، فحراب الزينة تزيـــن بأسلاك من النحاس والحديد وكذلك حراب السحر ، أما حراب الرقص والـــتى غالـــبا مـــا يحملها الشاب عندما يزور خطيبته فهى تزين بريش النعام الأسود ، ويشكل الخرز المستورد عنصرا أساسيا فى الزينة ويحلى الجسد عند الوسط والرقبة بعقد من الخرز تختلف أهميته من قبيلة لأخرى ، فكمية الخرز

الـــتى يـــتحلى بها محارب دنكا اللواك فى وسطه ورقبته تكفى لزينة عشرون رجلا من جيرانه دنكا النجوك .

كما يلجأ الدنكا إلى دهن أجسادهم بالرماد المتخلف من حرق روث الماشية ، حجتهم فى ذلك أن جسدهم العارى يتعرض للشمس والرياح فإذا أهمل يصبح جاف خشنا .

* **الترفيـــه :**

يعتـــبر الـــرقص أهـــم وســـائل الترفيه عند الدنكا ، وهو غالبا مرتبطا بالغناء ومصحوب بدق الطبول وهى الوسيلة الموسيقية الوحيدة .

والرقصـــات تقام ليلا فى المناسبات الاجتماعية مثل الزواج أو الانتصار على الأعداء أو تنصيب زعيم جديد ، ويرقص الرجال والنساء معا على هيئة دائرة كبيرة .

* **الملكية والشراء والوراثة :**

هذه المصلحات لها معنى فى عقول الدنكا تختلف عن المعنى الشائع .

فالوراثـــة والأيلولة مقتصرة على الذكور دون الإناث يعطى الرجل أبقارا إلـــى كل زوجة من زوجاته ، وتتسلم زوجته الأولى أكبر نصيب أما الزوجات التالـــية فـــيكون نصيبهم أقل منها . ولكل طفل رضيع بقرة لتمده باللبن وربما تضاف أبقار أخرى إليه ، وكل هذه الأبقار تعتبر ملكية خاصة للطفل ، وأطفال الزوجة الأولى ينالون نصيبا أكبر من الأطفال الآخرين .

ممـــا تقدم يتضح أن مفهوم الملكية عند الدنكا يختلف تماما عن المفهوم الشائع فالـــرجل يمـــتلك قطيعا من الماشية ، ولكن ذلك لا يعنى أنه يتصرف فيها كما يـــريد ســـواء بالبيع أو الذبح لأنها مخصصة للزوجات ومصيرها إلى مختلف الأطفال والأقارب . وإذا أراد ابن أخت أحد أن يجلب لبنا فهو يذهب إلى أبقار خاله ويحلبها دون أخذ موافقته .

وتنتقل الوراثة إلى الأبناء الذكور فقط ، وكثيرا ما يتصرف الوالد فى جزء كبـــير مـــن قطعانـــه قبل وفاته ، فهو سيهب لكل زوجة من زوجاته عددا من الأبقار ، وهناك نظام للتوريث يقضى بأن لا يورث الابن الأصغر من أبيه شيئا

بل يرث كل شئ عن أمه لأن التقاليد تقضى بأن يقوم هذا الابن على خدمة أمه حتى بعد زواجه . وتورث المناصب السياسية من الأب إلى الابن الأكبر .

ويعـتمد الـنظام القضائى لديهم على مبدأ التعويض . ولكل جريمة عقاب مساو لقدر الأذى الواقع منها ويقدر كل خطأ بتعويض قيمته عددا من الأبقار . والحـاكم والفاصـل فى المنازعات هو الزعيم " بين بيث " وتبدأ حروبهم بدق الطبول وبالمصارعة الفردية بين القبيلتين المتحاربتين ، وسلاحهم هو الحربة ، وهى عصا غليظة تنتهى برأس كروي بها سكين حاد ، ويحارب بها الدنكاوى ويصطاد بها حيوانه . وهم لا يعرفون الأسلحة النارية .

ونجدهم يعتقدون فى إله أعظم يملك الكون وينظمه ويسمى " نهاليك " كما يعتقدون فى إله خاص بالروح ويسمي " دنجيت " بالإضافة إلى أنهم يقدسون أرواح أسلافهم . وهناك إله آخر يدعى " دنج ديت – Deng Dit " ومعناه المطر العظيم ، وهذا يحتل مكانة ثانوية بالنسبة لنهاليك ولكنة متصل به . وتقدم القرابين فى هياكل ، أو أكـواخ عـبادة (Shrines) ، وهى مبعثرة فى جميع مواطن الدنكا ، ولكل قبيلة دنكاوية هيكلا من هذا النوع ، وهو خاص بالطقوس الهامة ، والحفلات الخطيرة . ولا يخـتلف مظهـر هذا الهيكل عن الكوخ الدنكاوى المألوف ، ولكن يكون أمامه نصب عبارة عن جذع شجرة صغيرة او فرع كبير متشعب، كما يكون بابه مقفول دائما ،وتذبح القرابين بواسطة رمح خاص يحتفظ به لهذا الغرض .

ولكل ضريح خادمه الذى يتوجه إليه عامة الشعب لتقديم القرابين ، ولكى يجاب دعـاؤهم يقـوم خـادم الضـريح بخلـط مقدار من التراب بالزيت وبول الثور " المقـدم للقربان " ويدهن به جسم مقدم القربان وهذا دليل على أن قربانه قد قبله الإله وأن حاجته ستقضى .

ويـرجع الدنكـاويون كثيرا من أمور حياتهم إلى أرواح أسلافهم مثل الأحلام والمـرض وهـم يبـتهلون دائما إلى تلك الأرواح لمعاونتهم ومساعدتهم فى صيد ورعى الأبقار ويعتقدون أنه إذا ما استعان أحد بروح معينة فإنها تدخل إلى جسمه فتعطـيه القوة لإنجاز ما يريد مثل صيد فرس النهر وبعد انتهاء العملية تخرج من جسمه .

وعليهم تقديم القرابين لتلك الأرواح بصفة مستمرة ممثلة فى " دنجديث " حتى لا يصيبهم الشر . وينتشر بينهم عبادة وتقديس " الطوطم " وغالبا ما يكون من " الأشجار – والزواحف – والحيوانات " . فتتخذ كل عشيرة لنفسها طوطما معينا كالتمساح والأسد أو الثعبان وهذا الحيوان يكون مقدسا بالنسبة لهم فلا يقتلونه ولا يأكلون لحمه ولا يستخدمون جلده وإذا ما حل هذا الطوطم فى كوخ أحدهم اعتبروه بركة ، فلو وجد أحدهم ثعبانا فى كوخه عليه أن يترك الكوخ للثعبان حتى لا يقلقه فهو خير للشخص ولعشيرته . وإذا لدغ الثعبان أحدا منهم فإنهم يعتبرون هذا عقابا لهذا الشخص على خطأ فعله . وعليه أن يقدم قربانا حتى يغفر له .

ويعتقدون فى الحسد والعين الشريرة وكثيرا ما يثير هذا النزاع والشقاق فيما بينهم .

ومما هو جدير بالذكر الآن أن الدين الإسلامى والمسيحى قد انتشر بين شعب الدنكا وخاصة بعد اتصال شمال السودان بجنوبه كما تنتشر الكنائس بموطنهم .

ولكل عشيرة عدد من الزعماء وتنقسم السلطة بينهم .

١) زعيم القبيلة " بين بيث " وهو أيضا صانع المطر وله قدرات كبيرة كشفاء المرضى وجلب المطر ، وهذا المنصب يورث من الأب إلى الأبن ، وله سلطات واسعة فى فض المنازعات .

زعيم البقر " بين ووث " وهو الذى يتولى العناية بالأبقار والدفاع عنها وحمايتها .

١) الزعيم " بين دى راب " ويتولى العناية بمحصول الذرة والمحافظة عليه .

٢) الزعيم " بين دى ره " ومسئوليته تتعلق بصيد الأسماك .

والزعيم " بين بيث " يمثل السلطة الحقيقة فى القبيلة ، حيث يتجه إليه أفراد القبيلة فى شهر أبريل من كل عام ومعهم القرابين التى يقدمها " بين بيث " إلى " الريبو " " الروح الخاص بالأمطار " وهم يقومون ببعض الطقوس الخاصة بذلك ، حيث يجتمعون حول كوخ صانع المطر الزعيم " بين بيث " ، فيخرج الزعيم ويطوف حول الكوخ ومعه ثورين ويستمر الطواف إلى أن يتبول الثوران مع دق الطبول وحينما يحدث ذلك يتزاحم الناس ليأخذ كلا منهم قدرا من البول ويدلك به جسمه ، ثم تذبح القرابين ويشرب الشيوخ من دم الذبائح ، وتطهى بعد ذلك .ويأخذ منها

الجميع ويترك جزء منها داخل كوخ صانع المطر ، وتعلق القرون على عامود من خشب الأبنوس المقام أمام الكوخ وبذلك تنتهى الطقوس وتهطل الأمطار .

دنكا أعالى النيل [١]

يشكل الدنكا عنصرا مهاجرا أو وافدا إلى السودان من منطقة البحيرات العظمى فى أواسط أفريقيا . وكان الاتصال بين العرب والدنكا فى عهد الفونج ١٨٢٠ وفترة الحكم التركى ١٨٨٥ .

وعند نجاح الثورة المهدية وتأسيس حكمها فى أم درمان "(١٨٨٥ – ١٨٩٨) ،أخذت تمد سلطانها على شتى بقاع السودان بما فيها بلاد الدنكا .

وعندما جاء الإنجليز لأرض الدنكا فى أعقاب قضائهم على حكم المهدية فى أم درمان (١٩٨٩) عملوا على مسح أثار المهدية فى المنطقة .

وقد أخذ أثر المهدية يزول تدريجيا وبالأخص عندما اعتمد الحكم الاستعماري سياســة الفصـــل الإثنى والعرقى بين شمال وجنوب السودان (١٩١٤ – ١٩٤٢) ليضع حاجزا أمام امتداد الثقافة العربية والإسلامية لجنوب السودان وقد تحقق ذلك بواســطة الخطر الذى اعتمده الاستعمار على حركة المواطنين من شمال السودان إلى جنوبه فتقلصت التجارة ووضعت تحركات القبائل الرعوية الموسمية تحت نظام مشدد ورقابة صارمة .

وبالـــرغم من انحسار المد الثقافى العربى والإسلامى فى هذه الفترة إلا أن العــودة التدريجــية لأبناء الدنكا من مصر وشمال السودان إلى بلاد الدنكا بعد أن تشــبعوا بالثقافة الإسلامية أحيت تأثير الثقافة العربية وجعلت أمر اقتلاع جذورها كلية شيئا غير ممكن إلى الأبد ، وكان نتيجة لذلك أى عودة الدينكا إلى ديارهم عن مجموعتين من الدنكا : الدنكا أولاد الريف (أى الدنكا سلالة الأمهات المصريات) والملكــية (أى الدنكـــا الذين سرحوا من الجيش أو العتق ولم يتعرفوا على أهلهم وذويهم بأرض الدنكا) وأخذت هاتان المجموعتان تشكلان مركز إشعاع ثقافى عربى وإسلامى فى أرض الدنكا . وصدرت القوانين وعمل مؤتمر جوبا(١٩٤٩) ووافق على قيام حكم وطنى واحد يشمل شمال وجنوب السودان .

---

(١) عباس أحمد : دنكا أعالى النيل ، النظم الاجتماعية والتغيرات المرافقة للمد العربى ، الامارات – دبى ١٩٨٦ .

وزاد هذا عقب استقلال السودان عام (١٩٥٦) ، وفى أثناء تحركهم للتجارة وصلوا بالصدفة إلى الجزيرة " أبا " معقل الأنصار ومكان إقامة " **السيد عبد الرحمن المهدى** " آنذاك . ويقال أن السيد " عبد الرحمن " رأى الدنكا ينزلون بالجزيرة وكانوا عراة تماما ، فطلب منهم الحضور إليه وتحدث معهم وحثهم على ستر العورة وقرأ معهم (**فاتحة الكتاب**) وكانت " **الفاتحة** " لها أثر كبير عليهم ، حيث فتحت قلوبهم فأشهروا إسلامهم وبايعوا زعيم الانصار على إتباعه ، وبعد ذلك انتشرت المساجد والخلاوى الدينية التى تقوم بتعليم " **القرآن الكريم و اللغة العربية** " .

وتعد المساجد والخلاوى من أهم قنوات الاتصال الثقافى العربى والإسلامى ، فبالإضافة إلى أداء الصلاة الجماعية بواسطة أناس ينتمون لأصول عرقية مختلفة وبالأخص الدنكا والعرب ، الجلابة فإن المساجد والخلاوى تشهد أحيانا أنشطة دينية

وتطور التعليم وانتشرت المدارس ، وهناك إقبال متزايد من الدنكا على تعليم الأولاد والبنات بالمدارس . واستمر تأثير المد الثقافى العربى والإسلامى والجمع بين ثقافة شمال السودان وجنوبه ويظهر هذا فى الملبس وبالأخص انتشار الجلابية والعمامة وهما يشكلان الزى التقليدي للمرأة فى الشمال ، وبالأخص بالنسبة للفتيات المتعلمات أو القاطنات فى المدن والقرى الكبيرة بصفة عامة .

ولقد أدى قيام المشاريع الحديثة وانتشارها إلى تقليص النشاط الرعوى فى أرض الدنكا والذى كان النشاط المحورى لنمط الإنتاج التقليدي .

ونتيجة لذلك أصبح معظم الدنكا اليوم يعتمدون على المشاريع الزراعية الحديثة سواء كانوا مزارعين فى مشاريع القطن أو عمال زراعيين فى مشاريع الزراعة الآلية . ويعتمد الإنتاج فى هذه المشاريع على الأيدي العاملة المؤجرة وعلى المسئولية الفردية . بينما كان الإنتاج التقليدى وبالأخص الإنتاج الرعوى يعتمد على العمل المشترك للمجموعات القرابية مما دعم وحدتها وتماسكها ، وبالتالي كان للنظام الاقتصادي الحديث أثر سلبى على بنية المجموعات القرابية .

ولقــد حدث التغيير فى الزواج فمن أهم المتغيرات اليوم أن المهر والذى كان يدفع فى الماضى فى شكل أبقار أخذ يدفع اليوم بطرق شتى ، فأحيانا يدفع فى شكل أبقار (**حوالى ١٥ بقرة**) ، وأحيانا يدفع نقدا وأخرى يجمع المهر بين الأبقار والنقود .

ولكــن مـــا زالــت هناك بعض الممارسات فى سلوكهم منها زواج الشبح والــزواج الليفراتى ، وأيضا عدد الزوجات فهو لا يلتزم عادة بما قرره الإسلام ، ولكــن ظهــرت حــالات خمس زيجات لرجل واحد ، وكذلك المسيحيين ما زالوا يتزوجون بأكثر من زوجة فى وقت واحد .

ومـــن الأمور الهامة التى لا زال الدنكا يتمسكون بها بالنسبة للزواج عادة اســترجاع المهــر أو جزء منه عند الطلاق . من الطقوس التقليدية التى بدأت فى الــزوال عــادة خلــع الأسنان الست الأمامية للأولاد ، عادة رسم العلامات القبلية المميزة .

ولقــد ظهر أثر المد العربى والإسلامى بعد الاستقلال (**استقلال السودان عــام ١٩٦٥**)، وقد شهدت موجات متتابعة ومتزايدة من وفود العرب (**الجلابة**) إلـــى المـــنطقة بعد زوال الحواجز التى وضعها الاستعمار فى طريق الالتقاء بين شـــمال وجـــنوب الســـودان . وقد كانت هذه الهجرة الكبيرة أساسا بهدف التجارة والاستثمار الزراعى فى مشاريع القطن أولا ثم مشاريع الزراعة الآلية لاحقا . ولقد انتشرت هذه المشاريع وتزايد عددها حتى غطت معظم الأراضي التى كان يستغلها الدنكا سابقا فى الرعى والزراعة التقليدية .

ولقــد انخــرط معظم الدنكا فى العمل الزراعى الحديث كمزارعين وأيدي عاملة تعمل بالأجر فى هذه المشاريع الحديثةً . ومن ثم فقد تحول اقتصاد الدنكا من اقتصـــاد رعـــوى شبه مستقر إلى اقتصاد زراعى حديث . ولقد كان لهذا التحول الاقتصـــادي أثـــر كبـــير علـــى البنـــية الاجتماعية التقليدية للدنكا ، ولكن العرب (الجلابـــة) لـــم يأتوا باقتصاد جديد فحسب وانما أيضا بثقافة جديدة : هى الثقافة السائدة فى شمال السودان (**الثقافة العربية والإسلامية**) .

وقد مكن هذا التدفق إلى تمكين القيادة السياسية من بناء قاعدة اقتصادية مؤثرة عن طريق تعاونها مع الرأسمالية الوافدة التى يمثلها (**الجلابة**) وحصولها على عائدات

وتســـهيلات مالـــية مقابل تسهيل حصول الجلابة على الأراضى الزراعية اللازمة لإقامة المشاريع الزراعية الحديثة .

إن التركيز على الابعاد البيئية والاقتصادية هو الذى مكن من الكشف على مـــدى الطبـــيعة التكيفية للنظم الاجتماعية للدنكا فى وجه التغيرات الحديثة فلم يكن نـــتاج هذه التغيرات الوافدة انهيارا أو تفككا شاملا فى نظم وثقافة المجتمع المحلى كمـــا يفـــترض المدخل الوظيفى التقليدى بقدر ما كان تكيفا وتحولا تدريجيا يتسم بدرجة كبيرة من العقلانية والانتقائية .

إن مـــا يؤكد السمة التكيفية للنظم الاجتماعية ما يمكن وصفه بعملية دنكنة (**Dinkanzation**) الثقافة الوافدة وبـالأخص مـا يمكن تسميته تجـاوزا مـن أجل المواءمة التحليلية بدنكنة الإسلام

" **تيالـــيك** " هو الإله ، والمهدى هو أحد ابناء دنيق أو دنيق ديت كما تقول أدعية الدنكا وأناشيدهم الدينية ، ومنها ما يبدو مدى التقابل بين مفهوم المهدية فى إطارها الدينى والثقافى فى شمال السودان وفى إطارها الثقافى فى منظور الدنكا ، فالمهدى هـــو ابن الدنيق وسليل أيول (**الجد المفترض للدنكا**) الذى سيعود بمجتمعهم إلى أصوله الأيولية تماما مثل دنيق وغيره من الشخصيات ذات القدرات فوق الطبيعية لقـــد ســـاعدت معـــتقدات الدنكا التقليدية والتى تتسم بدرجة كبيرة من التأرجح بين الوحدانـــية والـــتعددية ، وعملـــية دنكـــنة العقـــيدة الجديدة فى كثير من رموزها وعناصرها . فالاعتقاد فى الإله الواحد لا يتناقض بالنسبة لهم مع الاعتقاد فى قوى روحية أو فوق طبيعية أخرى وإن كانت أقل رتبة وخاصة وأنهم يجدون فى الثقافة مـــا يـــوازى رمـــوز وعناصـــر هذه القوى : الفكى ، الوسيط الروحى السائد فى المعـــتقدات الشـــعبية فى شمال السودان ، هو المقابل للسبر عندهم ، والكجور هو نظير الزار أو الشيطان .

وهكـــذا نجدهم فى حالة الكجور يقولون الكجور كشخص يكون بالضرورة غـــير مسلم ، وهكذا تتم عملية تهميش الفوارق بين عناصر العقيدة الجديدة والعقيدة التقلـــيدية عـــن طريق تهميش الأفراد (**الكجور كشخص**) لا تهميش الجماعة أو معتقداتها الأصلية .

المراجع العربية

١- أحمد حسين : من وحى الجنوب ، دار المعارف ١٩٨٥ .

٢- بول قاك : نظرة تاريخية لثقافات الدنكا (مونجانق) وتراثهم فى ثقافات سودانية ، أغسطس ١٩٥٥ ، المركز السودانى للثقافة والإعلام . مهرجان الثقافات السودانية الأول ٥-١٠ أغسطس ١٩٥٥ .

٣- توفيق الحسينى عبده : الحياة الاجتماعية لقبيلة الدنكا :دراسة أنثروبولوجية اجتماعية ، رسالة مقدمة للدبلوم ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب يناير ١٩٦٥ .

٤- جورج . ت كميل : أفريقيا المدارية ، الجزء الأول ، ترجمة مصطفى منير ، الدكتور داود حلمى السيد

٥- حسن محمد جوهر : السودان ، أرضه وتاريخه وحياة شعبه ، القاهرة ، دار الشعب ١٩٧٩ .

٦- عباس أحمد : دنكا أعالى النيل ، النظم الاجتماعية والتغيرات المرافقة للمد العربى ، دبى ، ١٩٨٦ .

٧- فرنسيس دنيق : مشكلة الهوية فى السودان ، أسس التقابل القومى ، ترجمة محمد على جاد من مركز الدراسات السودانية ١٩٧٣ .

٨- كارلتون كون ، إدوارد هنت : السلالات البشرية الحالية ترجمة محمد السيد غلاب ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ١٩٧٥ .

٩- محمد عبد الفتاح إبراهيم : أفريقيا ، الأرض والناس مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٧.

١٠- محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، سكانه وقبائله ، القاهرة ١٩٥٦ .

١١- محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥ .

المراجع الأجنبية :

1- Bernatzik , Huog A : Neue Grosse Volkerkunde koin ,1968 .

2- Hirschberg , Walter : Volkerkunde Afrikas , Mannheim , 1965 .

3- Jok . Madut Jok : Women , Sexuality and Social Behavior in Western Dinka , University of California , Los Anglos 1996 .
رسالة دكتوراه

4- Seligman C . G .: Races of Africa, Fourth Edition Oxford. 1966 .

" ندوة الدنكا " معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة ،
٦ يونيو ص ١٧٠ : ٢١٤

الحياة الاقتصادية والاجتماعية لقبيلة الدنكا في جنوب السودان

دراسة انثروبولوجية

للدكتور / عبد العزيز راغب شاهين(١)

تعتمد الحياة الاقتصادية لقبائل الدينكا على مجموعة من العوامل التي تلعب دوراً هاماً في توجيه النشاط الاقتصادي لهذه القبائل، حيث يتوقف هذا النشاط على العوامـل الطبيعـية والبشـرية، وتلـك التي ترتبط بدورها بالعوامل التكنولوجية بالإضـافة إلى القيم والعادات والتقاليد والأعراف التي تسود عند هذه المجموعات القبلية.

فاقتصـاد قـبائل الدينكا اقتصاد تتحكم فيه العادات والتقاليد، تلك التي تمنع دخـول الـثروة الحيوانـية إلى إطار الاقتصادي العالمي، كما يمتاز بأنه اقتصاد جماعي حيث تسود مظاهر العمل الجماعي والتعاوني، وتبرز مظاهر هذا العمل في تقسيم العمل بالمعسكرات وفي نظام التغير، كما يوصف هذا الاقتصاد بأنه اقتصاد معيشـي، يرتكز بصورة رئيسية على الرعي، وخاصة رعي الأبقار لتوفير الغطاء النباتـي الكثيف، وهنا تسود الأنماط والقيم السلوكية الرعوية، ويجه الإنتاج في هذا الاقتصاد أساسا لكفاية حاجة الأفراد في إطار الاقتصاد المعيشي، ولم تدخل المنطقة في إطار التبادل السلعي المنتظم إلا في الفترة الأخيرة.

وللأبقـار عـند قـبائل الدينكا أهمية اجتماعية واقتصادية، ودور هام في التماسك والضبط الاجتماعي حيث تشكل محور حياتهم اليومية حيث تستخدم التبادل فـي المهـور، وفي التعويضات للجزاءات العرفية وتقديمها كقرابين، فالرجل لا يعتبر من القبيلة (دنكاويا) إلا إذا كان لا يملك عددا من القطيع.

---

(١) د/ عبد العزيز شاهين أستاذ مساعد الأنثروبولوجيا الأجتماعية – معهد البحوث والدراسات الأفريقية- جامعة القاهرة .

وهذا الاقتصاد المعيشي لا يعتمد فقط على الرعي، والثروة الحيوانية متمثلة في الأبقار، بل يعتمد أيضا على زراعة الأرض كحرفة ثانوية، وذلك بسبب نظرة قبائل الدينكا لهذه الحرفة باعتبارها مقيدة للحرية، مفضلين عليها التنقل والترحال، حتى أنهم ينظرون إلى القبائل التي تعتمد على الزراعة بصورة أساسية ولا تملك أبقاراً بأنها أقل مرتبة منهم. وتشكل ملكية الأرض لدي الدينكا إمتدادا للأوضاع الإجتماعية ويتم توزيعها بواسطة زعيم القبيلة على قادة القبائل الفرعية، الذين يقومون بتوزيعها على جماعاتهم. ويخضع تقسيم العمل لنظامي العمر والجنس، فالمرأة تشارك في تربية الأبقار، وتصنيع الحليب، أما الرجال فهم الذين يختارون المراعي وإقامة المعسكرات.

ولم يكن لهذه القبائل أي علاقة بالتجارة، قبل تجارتهم مع القبائل العربية، وتأخذ التجارة الآن شكلين، شكل السوق المفتوح وشكل التبادل، كما تقوم تلك القبائل بصيد الحيوانات البرية، حيث يشكل الصيد أهمية كبيرة لديهم، وحيث يساعد على العمل الجماعي والتعاون الاجتماعي من خلال توزيع الصيادين ما يصطادونه للجماعة القرابية، ذلك لأن المشاركة والتبادل من أهم السمات التي يمتاز بها اقتصاد قبائل الدينكا.

يؤمن الإنتاج المتنوع من البيئة، وتربية الحيوانات، وبعض المزروعات ما عدا الحبوب، فهي قليلة، لهم حاجاتهم الغذائية، وبما أن معرفتهم بالتكنولوجيا الحديثة معدومة لذلك نراهم يحتاجون إلى سلع أساسية كالحراب والمدي "الساكين" والأدوات المعدنية الأخري التي يستعملونها في حياتهم اليومية، إضافة إلى بعض المواد التي تستخدم الزينة، وهذه يحصلون عليها من خلال بيعهم (خارج منطقتهم) لبعض الأبقار أو أسنان الفيلة أو الجلود أو بعض الفاكهة والحبوب.

ويرتكز مجتمع الدينكا على أسس قرابية وقبلية وليس على أسس سياسية، بحيث أن كل الوظائف السياسية والاقتصادية والاجتماعية يتم أداؤها داخل تجمعات الأقارب سواء على مستوي الأسرة النواة أو العائلات الكبيرة أو العشائر، أو مجموعة العشائر، وبهذا يعمل المجتمع على أساس مجتمع تكاتفي تقليدي، لا على

أساس مجتمع إنفرادي، ويتشكل المجتمع من وحدات القري، ومؤسسات قائمة على القـرابة مـثل طبقات العمر، والصداقات، وجماعات العمل التعاوني، ومعسكرات الذكـور والإنـاث. ويأتي اكتشاف البترول في منطقة جنوب السودان، وفي بعض مـناطق قبائل الدنكا، والأمل معقود على أنه سيكون له أثر إيجابي في سر الحاجز بين هذا الاقتصاد المعيشي الذي تتحكم فيه التقاليد التي تمنع دخول الثورة الحيوانية إلـى إطـار الاقتصاد السلعي والعالمي ، حيث أنه سيضيف بعدا جديداً من خلال توطيد الأرتباط بالسوق العالمية عن طريق الشركات المنقبة عنه، ومن خلال تمكين الإنـتاج السلعي وعلاقاته الرأسمالية من السيطرة، الشئ الذي قد يقود إلى تقليص الـنظم التقلـيدية للإنتاج والذي يتسم جزء كبير منها بالتعاون والعدالة في توزيع الفـائض، إلا أنـه كـان له أثر سلبي على الحياة الاقتصادية التقليدية لهذه القبائل ولمنطقة جنوب السودان بصفة خاصة، وعلى وحدة السودان بشكل عام.

ولقـد تـناول البحث بالدراسة والتحليل أربعة موضوعات رئيسية، تناول الأول دراسـة الأثر البيئي في تشكيل اقتصاد قبيلة الدنكا، وعلى حركة السكان في المـنطقة، وركـز الثانـي على دراسة الحياة الاقتصادية، وتحليل دعائم الاقتصاد المعيشـي لتلك القبيلة في ضوء نظرة أنثرولولوجية تحليلية، أما الموضوع الثالث تعلـق بدراسـة الحـياة الاجتماعـية، بينما الموضوع الرابع أختص بدراسة أثر المتغيرات الاقتصادية الحديثة في جنوب السودان، وخاصة اكتشاف البترول، على الحـياة الاجتماعـية والاقتصـادية لقبيلة الدنكا، وعلى قضايا الوحدة والترابط في السودان عامة وفي جنوبه خاصة.

أولاً – الظروف البيئية والسكان

تنتشـــر قـــبائل الدنكا في جنوب السودان في مديرتي بحر الغزال وأعالي النـــيل، حيث تشكل ثلاث مجموعات قبلية كبيرة، مجموعة الدنكا في بحر الغزال، ومجموعـــة (البور The Bor) ومجموعة (البادانج The podong) وتعتبر هذه القبائل من القبائل النيلية، وتمثل أكبر مجموعة قبلية في جنوب السودان حيث تشكل أكثر من ٥٠% من مجموع سكانه وأكثر من ١٠% من مجموع سكان السودان.

ويقـــدر عدد سكان قبائل الدنكا بحوالي ٣ مليون نسمة، تعيش على مساحة مـــن الأرض تقـــدر بحوالـــي ٢٥٠ كيلو متر مربع في إقليم السفانا ، وتتفرع هذه القـــبائل إلـــى ٢٥ فرعا رئيسيا، وآلاف الفروع الثانوية، ويوجد لكل فرع من هذه الفروع اسما خاصا به استمده من الظروف البيئية الطبيعية، وتنقسم هذه الفروع إلى عدد من العشائر التوتمية [1] ولا تحتل قبائل الدينكا إقليما مندمجا متصلا، بل تفصل بيـــنهم قبائل النوير، وتمثل أوطانهم موقعا وسطا يمتد من السوباط الأدني إلى بحر الجبل ثم إلى بحر الغزال، فالمجري الأسفل لهذه الأنهار الثلاثة يحتله النوير، ويقسم إقلـــيم الدنكا جغرافيا إلى ثلاث مناطق، منطقة النيل الأبيض، ومنطقة بحر الجبل، ومنطقة بحر الغزال، وقد حال هذا الإنتشار دون أي محاولة لتوحيد هذه القبائل في نظـــام سياســـي مشـــترك[2]. وتتميز المنطقة الجغرافية لهذه القبائل باتساع مساحة الأعشـــاب الســـفانا الكثيفة والتي تتخللها الأشجار القصيرة، والعديد من المجاري المائـــية الدائمة حتى في موسم الجفاف، ولهذا نجد توفر المراعي لأبقارهم ولأنواع عديـــدة من الحيوانات البرية، ويتفاوت سقوط الأمطار من مكان لآخر في مناطق سكني الدنكا تبعا للموقع، ولهذه الظروف الطبيعية تأثير كبير على الحياة الاقتصادية لـــتلك القبائل، وعلى حركة السكان سواء في موسم الجفاف أو موسم الأمطار حيث تســـقط الأمطـــار في أواخر شهر إبريل، وخلال شهر مايو، ويونية، وأوائل شهر يولية، وتكون الأمطار خلال هذه الفترة متوسطة الغزارة، بينما يغزر سقوطها من منتصف شهر يوليه حتى أواخر شهر سبتمبر، وتصبح الإقامة مستمرة في القري، وفـــي شهر أكتوبر تهب الرياح الشمالية، وتصبح المنطقة دافئة وجافة، وتبقي حالة الجفـــاف هـــذه حـــتى أوائـــل مـــايو حيث ترتفع الحرارة فتصل إلى ٤٦°، فتجف

المســتنقعات وتقل مياه المجاري، ويبدأ السكان بحفر الآبار الإرتوازية قرب القري التــي يعيشــون فــيها، ويتفاوت سقوط الأمطار من مكان لأخر في مراكز سكني "الدينكا" تبعا للموقع. وعند غزارة الأمطار تغمر الأرض بالسيول وتهدم المساكن، وتصبح الطرقات غير صالحة للنقل، وفي بعض الأحيان تغمر قري بأكملها وتندثر مؤقتا للحياة النباتية والحيوانية. ولهذه الظروف الطبيعية، نجد أن قبائل الدينكا تنتقل في موسم الجفاف إبتداءا من أكتوبر حتى إبريل أي حتى بداية سقوط الأمطار وبدء الفيضانات إلى مكان آخر قرب المياه [٢].

مــن هــذا المنطلق، نجد أن عدم الاستقرار، وحياة التنقل مع قطعاتهم في رحــلات فصــلية على محاور معينة وراء العشب والماء هو التعبير الأمثل لعدم اســتقرارهم، كما تعبر تحركاتهم عن تصرف مهم لمواجهة تحديات الطبيعة، وهم فــي نفس الوقت يعجزون عن مواجهة هذه التحديات الطبيعية ، وهم أكثر إيجابية، فهــم يفضــلون لهم ولقطعانهم السلامة فيتحركون بشكل روتيني فصليا كإستجابة للظروف الطبيعية وقد انعكس تعاقب فصلي الأمطار والجفاف على حياة الدينكا في علاقات سياسية بالغة التعقيد والأهمية.

ففي فصل الأمطار تعيش القري في عزلة نسبية تفصل بينها مياه الفيضان والحشــائش المرتفعة التي تمتد أميالا طويلة بين كل هضبة وأخري، ويأتي فصل الصــيف وتجــف مياه الأمطار فتنتقل الجماعات الإقليمية المختلفة لتتمركز حول مصــادر مشــتركة للمــياه وتعيش في معسكر واحد يمارس فيه أعضاؤها للرعي والقنص والصيد وجمع الفواكة والدرنات، ويمكن القول من خلال التفاعل المستمر بيــن الظــروف الايكولوجــية والاقتصــادية تتضح الأهمية التي تحتلها العوامل الإيكولوجــية في تحديد التغير الديناميكي والتفاعل المستمر بين الأرض والسكان، وكذلــك الــتوزع الإقليمــي ، فخلال فصل الأمطار تعيش القرية في عزلة نسبية يفصــلها عن القري الأخري بعد إقليمي يعبر عن استقلالها وتمايزها، ولكن خلال فصل الجفاف يتمركز الناس من القري المختلفة في نفس الإقليم حول مصادر عامة للماء والحياة ويشاركون في معسكرات مشتركة.

ومـــن ناحــية أخــري نجد للجماعات القرابية التي تنتمي إلى نفس القرية كوحدة سياسية تتوزع في فصل الصيف تسفر عن كثير من العلاقات المتداخلة التي تــربط بيــن الأعضــاء الذين ينتمون إلى اقسام قبلية مختلفة بالنسبة لنمط التوزع الإقليمـــي في فصل الأمطار ، ومع أن هذه العلاقات تكون علاقات فردية أو على مســتوي الجماعـــات القرابية الصغري دون أن تمتد لتشمل الوحدات السياسية من الأقســـام القبلية التي تعلو القرية في نسق التوزع الإقليمي فإن هذا لا يقل من أهمية الآثـــار السياســـية لإيكولوجـــيا الدينكا،يـــتوقع بل ويفترض من الجماعات الثأرية المـــتمايزة (القـــري) التـــي تجتمع في فصل الجفاف في معسكر واحد أن تتناسي مـــنازعاتها مؤقتا، وتخضع ككل للسلطة القائمة في المعسكر كوحدة إقليمية لابد أن يخضع أعضاءها لنوع من تقنين المناشط وأنماط السلوك والعلاقات.

وتقع القرية أيضا تحت وطأة الظروف الإيكولوجية الذي يحدد مدي ونوع العلاقـــات التي ترتبط بين الجماعات القرابية المتمايزة، والتي تضطر إلى التجمع لاستقلال مساحة من الأرض تحدها مياه الفيضان في فصل الأمطار وتعزلها نسبيا عن الوحدات الاجتماعية والإقليمية المجاورة.

ثـــم يأتي موسم الجفاف فتسرع الجماعات الإقليمية لتتمركز حول المصادر الـــنادرة للمياه، وهذا أيضا يتوقف مدي القرية وأنواع ومستويات التفاعل والتعاون التي تربط بين أعضاء من جماعات محلية مختلفة يتوقف على طاقة هذه المصادر الطبيعية للمياه، ويقول آخر تحدد الظروف الإيكولوجية ايضا في فصل الجفاف كما فـــي فصل الأمطار حدود القرية وأنماط التفاعل ومدي التعاون بين أعضاء القرية كوحدة سياسية متمايزة.

وترتـــبط قـــبائل الديـــنكا بعلاقات اجتماعية من حيث المصاهرة بجيرانهم "النوير" و"الشيلوك" و"الأدوال" و"الرك" لكنهم ينقسمون على عدة فروع قبلية مستقلة تعيش في مساحات منفصلة ومتميزة بحدود طبيعية كالأنهار والأحراج والمستنقعات والغابات.

وتنقسم فروع القبائل إلى عدد من العشائر، ومعظم أفراد هذه العشائر والفروع لا يعرفون بعضهم البعض، لأنه عندما يشعر أحدهم بقوته ويتمتع بسطوة من مساندة أخوته أو ابنائه أو اقاربه الذين جاؤوا من عدة زوجات، عدا عن الأتباع والمؤيدين، عندما يشعر بذلك كله يترك القرية ويبحث له عن مكان آخر، فيتخذ له إسما مختلفا تماما لإسمه الأول ويشكل عشيرة فتصبح فيما بعد فرعا لقبيلة معينة.

وتنقسم الدينكا إلى عدد من " الفروع " و" العشائر" " التوتمية " ورغم ذلك فإنهم يتصفون بخصائص أو صفات مميزة وأهمها :

١- وجود إسم مشترك.

٢- توجد لديهم أهداف مشتركة مرتكزة على الشعور العميق بالولاء والانتماء والتضامن والدفاع والهجوم.

٣- وجود مناطق رعي مشتركة وحقوق مكفولة للصيد والقنص، وتعاون مطلق لحماية هذه الحقوق.

٤- لا يعرف أفراد قبائل الدينكا التمييز الطبقي التقليدي، بحيث يعتبرون أن الناس جميعا متساويين ولكنهم، رغم ذلك، نجد لديهم تمييزا طبقيا واجتماعيا بين فئات القرابة وغيرها، ويعود هذا الاختلاف القائم بين العشائر الخاصة Bny والعامة Kic حسب لغتهم، فالعشائر الأولي تنتمي إلى عشيرة الزعيم أو الرئيس وسلالته، ورغم أن البعض يمكنه أن يكتسب نفوذا كبيرا وقوة في عشيرته من جراء استخدام مهارته في الصيد، ومع هذا يبقي في فئة وطبقة عشيرته، أما العشائر الثانية "العامة" فلا تنتمي إلى عشائر الرؤساء قد تتمكن من ممارسة نفوذ سياسي، ولكن على مستوي أدني في التنظيم الاجتماعي.

٥- يتصف الرئيس عند "الدينكا" بالعطف والشهامة والشجاعة والضيافة، ولديه إحساس تجاه الجماعة، وكريم ونبيل، وبما أن هذه الصفات الحسنة يتصف بها الرئيس فيتمكن بقدراته من تحقيق السيطرة والنفوذ.

٦- لا يوجد عند قبائل الدينكا زعيم واحد، بل يعرفون عدة زعماء، بحيث يكون للزعيم الديني أهمية كبيرة على مستوي القبيلة الفرعية، فيمارس نفوذه في ميدان

الســلطتين الدينــية والدنيوية معا، ويطلق عليه لقب "رئيس الحرية" أي الخبير في الأسـلحة أو زعـيم الحـرية المقدسة التي توارثها الأسلاف، ويتصف الزعيم بأنه القاضــي العــادل يفصــل بين المتشاجرين وله الكلمة الأولي والأخيرة في الحكم، ويوجعــون إلــيه في كل ما يعانونه من مشكلات، ولا تتجاوز سلطته القرية التي يسكنها، ويعتبرونه صانع المطر، وتعود إليه سلامة العشيرة.

٧- أما طبقات العمر فيعتبرها "أفراد الدينكا" عملية للتكاثر أو الانقسام القبلي مع الزمــن، كما تمثل هذه الطبقات خصائص وملامح البناء القبلي، بحيث يمكن ادراك انقســام القبيلة من خلال بروز طبقات العمر الجديدة ، ويضع هذا لنظام الأفراد في فــئات تسودها الألفة والمودة والمساواة، إذ تراهم يشتركون في احتفالات وطقوس معا، وعندها يضعف دور الأسرة.

وعمومــا يعطــي مجــتمع الدينكا أهمية كبيرة لاختلاف طبقات العمر إذ يعد هذا المجــتمع الأفراد منذ الطفولة ليتجاوزوا مراحل مختلفة تمثل كل مرحلة طبقة عمر معينة، بحيث يحرص الأباء والأقارب على إشراكهم في مشاجرات مع خصوصهم، أو قــد يقــوم أحد الأولاد بإخفاء أحد الثيران التي يرعاها فيضعها في قطيع آخر لإســتثارته كي يحصل خلاف بينهما، في هذه الحالة تهدف المشاجرات إلى تدريب الصغار على القتال أو المصارعة في عمر مبكر، وتعمل في نفس الوقت على روح الــتعاون والتضامن والولاء للجماعة القرابية فتصبح القوة والشجاعة والجراءة هي التي تحدد الكفاءة ، بينما البكاء والهزيمة والسقوط على الأرض أي الاستسلام يعبر عن قلة الكفاءة (٤).

ثانيا: الحياة الاقتصادية عند الدنكا

تعتمد الحياة الاقتصادية لقبائل الدنكا على مجموعة من العوامل التي تلعب دوراً هاماً في توجيه النشاط الاقتصادي لهذه القبائل، حيث يتوقف هذا النشاط على العوامــل الطبيعــية والبشــرية، وتلــك التي ترتبط بدورها بالعوامل التكنولوجية بالإضــافة إلى القيم والعادات والتقاليد والأعراف التي تسود عند هذه المجموعات القبلية.

(١) الــرعي :

يرتكـــز اقتصـــاد قبائل الدينكا بصورة رئيسية على الرعي، وخاصة رعي الأبقار لتوفير الغطاء النباتي الكثيف، وهنا تسود الأنماط والقيم السلوكية الرعوية، يسود في تلك القبائل أسلوب الحياة القبلية التي تفرض على الرعاة التعاون من أجل الوقوف بوجه قسوة الظروف الطبيعية وأية أخطار أخري خارجية.

يعتـــبر الرعـــي عند أفراد قبائل الدينكا المهنة الأولي بدون منازع، حيث يخرج الشبان إلى المراعي البعيدة بحثا عن النبات في موسم الجفاف، وعندما تقام المعسكرات للرعاة في المراكز التي يتوفر فيها الماء والعشب، ولكل قبيلة مناطقها الخاصـــة ومـــوارد المـــياه التـــي تـــردها في موسم الجفاف على ضفاف الأنهار والبحيرات، وفي هذه الحالة نجد مظاهر العمل الجماعي والتعاوني.

إن نشـــاط الأفـــراد في هذه المعسكرات يتمثل في حماية الأبقار ورعايتها، ويقـــوم بهـــذا العمـــل الشبان والفتيان معا، وتسود روح المرح والدعابة، يقومون بالرقص والغناء، وتبرز مظاهر النشاط في تقسيم العمل في المعسكرات بحيث يقوم الفتية والفتيات بجمع الأعشاب وبعض القطع الخشبية لإعداد حظائر الحيوانات، في حيـــن يقوم غيرهم بالبحث عن الأسماك في مجاري المياه، ويقوم الصغار بتنظيف حظائـــر الحيوانات كل صباح من الروث، وينشرونه حتى يجف ليتمكنوا فيما بعد مـــن إحـــراقه لـــيلا ليتصاعد منه الدخان ويطرد الناموس، ويمنع ذلك من إزعاج الأبقـــار، ويستخدمون الروث كذلك كنوع من الوقود، وسماد في الزراعة، وإضافة إلـــى كـــل هـــذا يســـتخدم رماد الروث لدهن أجساد الأشخاص الذين ينامون مع الحيوانات من أجل حماية أنفسهم من الناموس، ويقوم هؤلاء الصبية أيضا بمساعدة أمهاتهم في حلب الأبقار، بينما تقوم النساء بصنع منتجات الحليب، في حين أن كبار السن يسكنون في قراهم الأصلية حتى الانتهاء من موسم الحصاد.

إن الاهـــتمام بالأبقـــار، فـــي القرية أو في المعسكر الذي يتجمع فيه مربو الأبقـــــــار، لـــه أسلوبه الخاص ويحتاج إلى مهارات معينة مثل اختيار المرعي المناسب، غير قريب من مناطق الفيضانات، وكيفية حماية "الأبقار" من الناموس أو

مـــن الحشـــرات أو مـــن الحيوانات المفترسة أو السرقات، وحماية الصغار وعدم إرهاقها في المسير، ثم توليد الحوامل علاجها من الأمراض، ويقوم رعاة الدينكا أثـــناء الســـير "فـــي ترحالهم" بإنشاد لأعالي، وهذه تلعب دوراً هاماً عند الدينكا، والغـــناء للأبقـــار بدور حول شكل قرونها، أو ألوانها، أو قدرتها على الاحتمال أو خوارها أو طاعتها أو عدوانيتها (٥).

(٢) ملكية الأبقار وقيمتها:-

تعرف قبائل الدينكا أنها من القبائل التي تتمتع بمركب الماشية الذي تتلخص أن حـــياة الأفراد تتمركز كلها حول الماشية، ولقد تأثرت كل النظم الاجتماعية في الديـــنكا بهـــذا المركب، فنظام القرابة والنظام الاقتصادي والنظام الديني والشعائر والســـحر والقـــيم والمعتقدات والفن ومصطلحات القرابة والزواج والفولكلور كلها تتمركز حول الماشية، ويتأثر المركز لاجتماعي للعائلة بما تملكه من أبقار بل إن أسماء أفرادها تأخذ من أسمائها، حتى أن شجرة الانتساب للقطيع تعكس نفس نمط التوزع والانحدار القرابي للعائلة والعلاقات القرابية التي تربط بين أعضائها، كذلك فالأبقـــار تصبح موضوعاً ومصدراً لإلهام قدرتهم التشكيلية والشعبية، وهي تعتبر كذلـــك مناســـبة لتقســـيم العمل بين أفراد العائلة الذين يقوم كل منهم بوظيفة معينة ترتبط بمركزه الاجتماعي والعمرى بين أفراد عائلته.

وهكـــذا لا تـــرجع أهمية الأبقار للدينكا فقط إلى قيمتها الاقتصادية ولكنها تصـــبح موضـــوعا وإطارا لكثير من العلاقات الاجتماعية، فعن طريقها يدفع مهر العـــروس وديـــة القتـــيل وتـــتم إجراءات التكريس وتقدم الأضحيات وتقام الولائم الشـــعائرية، وهي كذلك مصدر للمنازعات التي تقوم بسبب الاختلاف حول ملكيتها بيـــن الأفراد والعائلات والقرى والأقسام القبلية المختلفة أو بسبب الاختلاف حول مـــناطق الرعي والمياه الصالحة لها، ومن هنا أيضا فقد تأثر نسق القيم في الدينكا بالأبقـــار، لـــيمجد الـــبطولة التي تتمثل أوضح ما تكون في غارات الأقسام القبلية والقـــبائل المختلفة التي تكون الأبقار موضوعا لها، وما ينشأ بالتالي من منازعات حول تقسيم الغنائم.

ولقد ارتبطت العلاقات بين "الدينكا" ، و"النوير"وجيرانهم من القبائل الأخرى وحـظ هـذه المجتمعات من الأبقار، فقد قامت بين الدينكا والنوير علاقات تنطوي أحـيانا على مظاهر التعاون والتبادل الاقتصادي، ولكن الطابع العام لتلك العلاقات يتمـثل فـي تعرض الدينكا لهجمات وغارات النوير التي تأتي كل عام في مطلع فصـل الصـيف والتي تدفعهم إليها الحاجة الملحة للأبقار، وعندما يقل مدي عمق مظاهـر الـتعاون والنشاط المشترك والتفاعل بين الدينكا وجيرانهم الآخرين مثل الشيلوك والأنواك فهذا يرجع إلى فقر هذه القبائل إلى الأبقار(٦).

وبذلـك تتضح الأهمية الوظيفية للأبقار في البناء الاجتماعي للدينكا، حيث يدور حولها معظم النشاط الاجتماعي بصفة عامة والنشاط السياسي والديني بصفة خاصـة. فملكية الأبقار لدي الدينكا جماعية تعاونية بحيث تشكل العنصر الرئيسي لاقتصـاد الأسـرة، وهـذا نجدهـم يسـتخدمون الأبقار لأكل لحومها إذا ماتت، ويسـتخدمون جلودهـا كفراش أو ألبسة، ويصنع قرونها أدوات للنفع أو كملاعق، ويسـتعملون روثهـا أسـمدة أو وقودا لإشعال النار وغيرها، كما تستخدم الأبقار للتبادل في المهور، وفي التعويض للجزاءات العرقية وتقديمها قرابين.

إن قـيمة الأبقـار عند الدينكا ليست في عددها، بل في قيمتها الاجتماعية والاقتصـادية فـي تكوين زيجات جديدة دعما للعصبية والتضامن العائلي القبلي، يسعي الإنسان لدي الدينكا أن يكون له قطيع من الأبقار تفي بالالتزامات العائلية من أجل تدعيم الروابط القبلية والعشائرية، بحيث أنهم لا يفكرون في بيعها أو التخلص منها إلا في الحالات الضرورية كالحصول على بعض الحبوب، أو عندما لا تتأمن احتـياجات الأبقـار، وهم بالتالي لا يعملون على تكاثرها العددي بسبب المشاركة المستمرة في المهور، وهذه تعمل بدورها على تقليل أعدادها، حتى أن رب الأسرة قـد يضـطر أحـيانا إلى الانتظار حتى يستطيع القطيع أن يعود إلى عده ونوعيته الأصلية كي يشارك في مهر أبنائه حفاظا عليها، وهناك الأمراض والحشرات التي تتعرض لها الأبقار مما لا يساعد على تزايدها كثيراً.

إن الأبقـــار خاصة، والثروة الحيوانية المتواجدة عند الدينكا عامة لها أهمية فـــي حياة أبناء هذه القبائل، إذ أن الرجل لا يعتبر من القبيلة (دينكاويا) إذا كان لا يمـــتلك عددا من القطيع، وهنا نجد أنه ينظر إليها وكأنها أهم من حياة الإنسان، ثم على "الدينكاويين" أن يحاربوا من أجل اقتنائها، وأن يموتوا من أجل المزود عنها، أي أنها امتداد لهوية الإنسان فيعيش معها، وينتفع من خيراتها، ويستمد منها وسيلة للتبادل الاجتماعي[٨].

(٣) الزراعة :

إن قـــبائل الدينكا لا تعتمد فقط على الثروة الحيوانية، متمثلة في الأبقار بل نجدهـــا تقـــوم بنشـــاط زراعـــة الأرض كحرفة ثانوية بسبب نظرتهم لهذه الحرفة باعتبارها مقيدة للحرية، مفضلين عليها التنقل والترحال، حتى أنهم ينظرون للقبائل التـــي تعـــتمد على الزراعة بصورة أساسية ولا تملك أبقاراً بأنها أقل مرتبة منهم، ورغـــم ذلـــك فإن الزراعة تحتل موقعا أساسيا في مصادر الطعام من خلال إنتاج العديد من المحاصيل المتنوعة.

إن بعض العشائر "الدينكاوية" المجاورة للقبائل العربية الشمالية في السودان تهـــتم بالزراعة وخاصة المتنقلة بسبب أن خصوبة الأرض لا تلبث أن تتدني، ولا يعـــرفون طريقة استخدام الأسمدة الكيماوية وحتى العضوية أيضا لأنهم لا يهتمون كثـــيرا بتربية الحيوانات لاستخدام روثها سمادا للأرض من بين مزروعاتهم الفول الســـوداني، والسمســـم، اللوبـــيا، الفاصوليا، وبعض أشجار الفاكهة التي تعيش في المـــناطق الحـــارة، أما تربيتهم للأبقار، فهو محدود جدا، وتستخدم فقط لتؤمن لهم الحليـــب واللحم أحيانا، وقلة تربيتهم للأبقار تعود إلى الخلافات الكثيرة بينهم وبين المزارعين للحفاظ على المحاصيل الزراعية.

وتستخدم قبائل الدينكا أدوات بدائية في الزراعة، الفأس هي الأدوات البدائية المستعملة، وأغلب أراضي الدينكا كرست لزراعة الذرة البيضاء، وذلك يعتمد على خصـــوبة الأرض، وعندما تفقد التربة معدل إنتاجها في الذرة البيضاء فإنها تصبح رملـــية، ويقل الإنتاج فيتجهون لزراعة الأرض بالبندق الذي تتناسب مع ذلك النوع

من التربة، والدنكا ليس لديهم مشكلات فيما يتعلق بخصوبة التربة، فالمتبع لديهم أنه عــندما تقل خصوبة التربة يقررون نقل زراعتهم إلى موضع جديد، حيث يحرقون الأشجار التي تخصب الأرض بالرماد (٩).

(٤) تقسيم العمل :

يخضـــع تقسيم العمل عند قبائل الدينكا لنظامي العمر والجنس معنا، مثلهم كمــثل بعض المجتمعات التقليدية الرعوية في العالم، إذ أنه ليست لدي هذه القبائل مهــارات خاصـــة أو خبرات نوعية إلا نادراً، ولا يوجد لديها تحديد دقيق لتوزيع العمــل، فالمــرأة تشــارك في تربية ألأبقار، وفي الذهاب إلى المرعي، وتنظيف الحظيرة، وحلب الأبقار وتصنيع الحليب، وتشارك في بذر الحبوب، ولها دور هام في الحصاد، وجمع بعض المحاصيل البرية.

أمــا الــرجال فهــم الذين يختارون المراعي وإقامة المعسكرات فيها أيام الجفاف، وإعداد النيران وحمل صغار العجول أثناء السير لمسافات طويلة خوفا من أن يصــيبها الإرهاق ، وإعداد الحفر لبذر الحبوب، وتنظيف العشائش والأعشاب، والمشــاركة فـــي عمليات حلب الأبقار في بعض الأحيان، ويشارك الصغار أيضا بأعمال مشابهة لبعض الأعمال التي يقوم بها الذكور والإناث (١٠)

ويقوم على نظام طبقات العمر في الدينكا نوع من تقسيم العمل الاجتماعي حيــث يمتــنع علـــى الشاب بعد أن يمر بشعائر التكرس أن يقوم بحلب الماشية أو أعمال الأناث الأخري، لأنه قد أصبح رجلا بعد أن كان صبياً، ويعامله كبار السن على أنه رجل، ويستطيع أن يقوم برعي الماشية، ويمتلك ثورا يأخذ إسمه، ويذهب للرقص، ويمارس الحب تمهيدا للزواج.

ويرتبط نظام تقسيم العمل الاجتماعي في قبائل الدينكا بالتوزيع الطبقي للقائم علـــى مـــبدأ العمـــر، فمسألة توزيع الوظائف المختلفة صورها المتنوعة الحربية والقضـــائية والشـــعائرية تقوم في هذه المجتمعات على أساس توزع أعضائها في طبقات العمر، وليس على أساس انتمائهم إلى زمرات اجتماعية معينة، كالعشيرة أو الــبدنة أو العائلة، وإذا وجدت عشيرة أو عائلة معينة تتمركز فيها وظيفة من هذه

الوظــائف ويتوارثها أبناؤها جيلا بعد جيل ، فإن هذه القاعدة لا تحكم كل المناشط الاجتماعية في المجتمع، كما أن أعضاء طبقة العمر يشغلون مراكز اجتماعية معينة ويقومون بوظائف معينة طوال شغلهم لهذه المراكز، وإذا وضعنا في الاعتبار تنظيم التــنقل فــي نســق طبقات العمر لسوف يتضح لنا كيف أن هؤلاء الأعضاء إنما يشــغلون تلــك المراكز ويقومون بتلك الوظائف لفترات محددة ما تلبث أن تنتهي وتتغــير بالتالــي مراكزهم ووظائفهم بارتقائهم في النسق التفاضلي لتنظيم طبقات العمر(١١).

(٥) ملكية الأرض:

تشكل ملكية الأرض لدي الدينكا امتدادا للأوضاع الاجتماعية، وهي مقترنة بــنظام عرفــي يحــدد الحقــوق والواجبات الملزمة للفرد، وتحديد الملكية في هذا المجتمع، يعني امتلاك الشيء الذي يُخوّل للفرد أو للجماعة حق خاص من أجل أن يســتخدم هذا الشيء، وعلى الآخرين الامتناع عن استخدامهم له، وهنا لا بدء من معــرفة أمرين رئيسيين وهما: معرفة نظام ملكية الأرض، ثم العلاقات الاجتماعية التي جعلت من هذا الشيء ملكا لشخص أو جماعة دون غيرها.

إن توزيــع أرض قــبائل الدينكا على أصحابها يتم بواسطة زعيم القبيلة، ويكون هذا التوزيع على أتباعه الأساسيين، وهؤلاء يمثلون قادة القبائل الفرعية، ثم يقوم القادة بدورهم بتوزيعها على جماعاتهم، ولكل رجل الحق في أن يقيم ويزرع فــي المــنطقة التي يعيش فيها، مع إدراكهم أن الأرض هي ملك للزعيم والذي له الحــق في منح مساحات منها للسكان الجدد إلى المنطقة، وبصورة أكثر وضوحا، فهــو حامــي الأرض ولديــه القوة المسيطرة عليها، وهذه القوة ترجع إلى امتيازه الدينــي أو الإلهي، وهذه القوة الإلهية الوثنية بإمكانها أن تتحكم في الإنتاج وتعمل علــى تدمــيره إذ أرسلت الأمطار أو الطيور أو الجراد، ويقر العرف السائد بعدم السماح لمالك الأرض أن يبيعها، ومن حقه أن يمنح أرضه للإقامة أو للزراعة لمن يشــاء مــن اقاربــه، لكن تغيير الإقامة في أراضي للقبيلة يحتاج إلى موافقة القادة المحليين. وينص العرف أيضا بانتقال الأرض بالإرث إلى أكبر الأبناء من الزوجة

الأولـــي، ويجـــب تخصيص قطعة من الأرض للإبن متى اجتاز شعائر التكريس، وعمل إتمام مراسم الزواج.

لا تنحصـــر أهمية الأرض عند الدينكا بتأمين المرعي المناسب أو الغطاء النباتـــي، ولكـــن تتعدي ذلك لتوفير العديد من الحيوانات البرية من أجل اصطيادها للانـــتفاع بلحومها وجلودها كالزراف والوعول والغزلان والتمساح والفيل وبعض الـــزواحف البرمائـــية، وتتم عملية الصيد باختباء الصياد حيث يكون دائما مستعدا بحربـــته لأي صيد يصادفه، إن بيئة الدينكا تسمح لهم بوجود مخابئ طبيعية تتواجد في أشجارها الكبيرة وأعشابها الطويلة لمراقبة حركات الحيوانات ويصطادون الفيلة بإلقـــاء أحجـــار علـــى رؤوسها عندما يقتربون منها، وهم مختبئون في الأشجار، ويســـتفيدون مـــن أســـنان الفيلة من أجل صنع حلقات عريضة توضع في الأزرع للزيـــنة، أمـــا صـــيد الزراف، فيتم عبر مطاردتها إلى مكان مسدود، ثم برمونها بالحـــراب من أجل أكلها، ومن أدواتهم المستعملة للصيد الشراك والعصي الغليظة والأفخاخ والرماح، إضافة إلى القوارب للصيد المائي(١٢).

(٦) التجارة :

لـــم تكن لقبائل الدينكا أي علاقة بالتجارة بالمفهوم الحديث قبل تجارتهم مع العـــرب الشماليين، فكلمات مثل تجارة، سوق ، ربح، ليست لها ترجمة مباشرة في لغة الدينكا، وبسبب العلاقات التجارية بين شمال السودان وجنوبه، كان هناك تبادل للملح والخرز بالدجاج والمواشي.

أمـــا في الوقت الحاضر ففتحت الأسواق في قبائل الدينكا لتجارة المواشي ودخـــل الرجال والنساء في هذا المجال، وكثرت أنواع التجارة، مثل تجارة البيرة، وحطـــب الـــنار، وحبال الأسقف والبيض والحليب ، وتلك الأنواع يتخصص فيها النشء، أما تجارة الماشية فتقتصر على الرجال.

وفتحـــت أســـواق لتجارة الماشية في مدينة "أكون" و "واراوار" حيث تباع المواشـــي الصـــغيرة من أجل المال، كما تكثر تجارة الملابس، والأدوية، والخرز، والحـــبوب ، والألواح الخشبية، ومواد الطعام. ويعتبر التبادل بين الحبوب والأبقار

الأكـــثر شيوعا في تجارة الدينكا، وكذلك يعد التبغ مورداً أساسياً للدخل في الدينكا، حيـــث يزرع في فصل الصيف الجاف فقط على طول الأنهار أو قرب الآبار فتأخذ زراعــة التـــبغ كل وقت أولئك المشتغلين في زراعته خلال فصل الجفاف، وذلك بســـبب حاجته للري المتكرر، ومعالجته، حيث أنه يصنع وهو طازج، وينتج على شـــكل رؤوس مخروطـــية ويـــترك حتى يجف، وقد يباع سليم أو يقطع إلى قطع صـــغيرة أو كبيرة، وبالنسبة للقطع الكبيرة يمكن أن يتم تبادلها بثور أو نقود تكفي لشراء ثور أو حبوب.

وهكذا، فالتجارة في الدينكا، تأخذ شكلين، إما شكل السوق المفتوح أو شكل التبادل، والتبادل هنا يأخذ شكل منتظم بين العائلات والأصدقاء والنساء، وقد حدث ذلك في فترة الحرب الأهلية (١٣)

(٧) الصيد وجمع الأطعمة البرية:

لتوفر الحيوانات البرية أهمية على التعاون الاجتماعي من خلال توزيع ما يصطادونه على الجماعة القرابية، بحيث أن الصياد ذاته قد لا يحصل إلا على نسبة ضـــئيلة مـــن الفريسة، ذلك لأن المشاركة والتبادل من أهم السمات التي يمتاز بها اقتصـــاد قـــبائل الديـــنكا، إذ أن الكل يشارك في الصيد، خاصة في حالات الصيد الضخم، بقر وحشي، فيل، ومن يملك السهم القاتل يقوم بتقسيم الصيد "الفريسة" إلى أجـــزاء تـــوزع علـــى الذين شاركوا في الصيد فعليا، وكل منهم يقسم نصيبه على أقاربه ، وأصدقاته وجيراته، ويعتقد البعض أن قبائل الدينكا لا ترغب بقتل الحيوان الـــبري، لـــيس لأنـــه يستغني عن لحومه، ولكن لانشغالهم المستمر برعي الأبقار وحمايـــتها، ممـــا جعـــل معظم الحيوانات البرية التي تعيش في منطقتهم كالزراف والبقر الوحشي والفيلة وغيرها، تظهر للعيان وكأنها مدجنة بشكل مدهش.

ويســـود بين قبائل الدينكا الغربية حرفة صيد الأسماك، على الرغم من أنه لا يوجـــد في تلك القبائل الصيادين المحترفين، حيث أنهم يعملون في مهن أخري، وحيثما وجد أمثال هؤلاء الأشخاص، فيطلق عليهم أهالي الدينكا لفظ "أبور Abur"

قاصــــدين بذلـــك هؤلاء الأفراد الذين لا يملكون أبقاراً، وهو مصطلح يحمل دلالة مزدرئة "ناقضة". ويعتبر الصيد موسميا لأسباب كثيرة منها:

أولا أن اقتصاد الدينكا اقتصاد متعدد الأوجه، و تسد الأسماك الفجوات الناقصة في الـــنظام الغذائـــي لـــتلك القـــبائل والتـــي لا تستطيع القطاعات الأخري في إشباعها.

وثانـــياً، طبيعة مناطق الصيد أثناء فصل المطر حيث ترتفع الأنهار، ويتعذر على الأفـــراد الغـــير مالكين لزوارق الصيد في هذه الأنهار، وهكذا ينتظر معظم الناس تقهقـــر مياه الأنهار حتى يمكن الصيد فيها مستخدمين في ذلك وسائل متنوعة مثل الحـــربة والسنانير وحبال الصيد. وتبدأ فترة الصيد في المدة من نوفمبر / ديسمبر إلـــى مارس/ إبريل. وفي هذا الوقت تنقسم الأسر بين هؤلاء الذين يقومون برعي الماشـــية ويـــتجهون إلى المعسكرات في فصل الجفاف حيث يكون بإمكانهم الصيد أيضـــا، وهـــؤلاء الذيـــن يقيمون في القري حيث يقومون ببناء المنازل أو تنظيف المزرعة استعدادا لفترة الزراعة المقبلة.

ويســـهم صـــيد الأسماك بشكل كبير في اقتصاد الدينكا، ولكنه ليس المصدر الأول للغـــذاء فـــي الدينكا، فهم يعتمدون أيضا على الأطعمة البرية. وتنمو في أراضي الديـــنكا تشـــكيلة من الفواكه والنباتات البرية التي تعد مصادر غذائية مهمة. فهذه الأغذيـــة الـــبرية توجد في الغابة ولا يوجد قيود على الاقتراب منها. فهذه الأغذية تسهم بمقدار عظيم في النظام الغذائي لقبائل الدينكا، فالفواكه والبندق والتوت البري مـــن الكفايـــة بمكان أثناء الحصاد وبعده، حيث يتم تجفيف الفائض عن الاستهلاك لاســـتهلاكه فـــيما بعد. ومن النباتات البرية التي تساهم في نظام التغذية في قبائل الدينكا "الزاو" أي "اللالوب" في اللغة العربية.

وبالـــرغم من تأكيد أهمية الأطعمة البرية في الدينكا، فمقدار مساهمتها في الغذاء، في ضوء القيمة الغذائية، ليس معروفا، وعند تصنيف أهمية مصادر الغذاء المخـــتلفة، يمـــيل معظم أهالي الدينكا في منطقة "أكون" إلى الاعتقاد بأن الأطعمة

الـــبرية تســـهم بـــنســـبة مـــئوية تتراوح بين ١٠ إلى ١٥٪ من احتياجات الغذاء الإجمالية[١٤].

إن الإنتاج المتنوع من البيئة وتربية الحيوانات وبعض المزروعات، ماعدا الحـــبوب، فهـــي قلـــيلة، كـــل ذلك يؤمن لهم حاجاتهم الغذائية، وبما أن معرفتهم بالتكنولوجيا الحديثة معدومة لذا نراهم يحتاجون إلى سلع أساسية كالحراب و المدي " السكاكين" و الأدوات المعدنية الأخرى التي يستعملونها في حياتهم اليومية إضافة إلـــى بعـــض المواد التي تستخدم في الزينة، وهذه يحصلون عليها من خلال بيعهم خارج منطقتهم لبعض الأبقار أو أسنان الفيلة أو الجلود أو بعض الفاكهة والحبوب.

ثالثا : الحياة الاجتماعية لقبائل الدينكا

١- النسق القرابي :

ينتمـــي مجـــتمع الديـــنكا إلى نوع من المجتمعات يعرف بإسم المجتمعات الانقســـامية، حيـــث نجـــد تساندا وظيفيا بين النظام القرابي ونسق البدنات في تلك المجـــتمعات، فالبدنه دائما ما تُـــكوّن وحدة جينالوجية، ولكن الوحدات الجينالوجية لا تكـــون بدنـــات دائما إلا إذا لعبت هذه الوحدات دوراً سياسيا معينا حيث تنعكس العلاقـــات القرابـــية في البناء السياسي والعلاقات السياسية في المجتمع الانقسامي وحيث تكون للنظم القرابية وظائف سياسية محددة.

فقواعـــد الإكسوجامية التي تحكم نظام الزواج، والتي بمقتضاها لا يستطيع الـــرجل أن يـــتزوج من امرأة تمت له بصلة القرابة وحيث تمتد الاكسوجامية في اتجاهـــات مخـــتلفة بتفاوت مداها قربا أو بعدا. فالدينكا مثلهم في ذلك مثل النوير يعـــرفون أنواعـــا مـــتعددة من العلاقات القرابية التي تربط بينهم، فهناك العلاقات القرابية التي تربط بين أعضاء العشيرة الواحدة، أو العلاقات القرابية التي تنشا عن التبني أو عن طريق الإنحدار في خط الذكور أو الإناث أو التي تنشأ عن المشاركة فـــي مهـــر العروس أو القرابة القائمة على نظام طبقات العمر، وهي كلها درجات للقرابة تتفاوت فيها درجات التحريم والتابو.

ونجـــد أن العلاقات القرابية القائمة على أساس المصاهرة والتي تربط بين الـــبدنات الإكسوجامية في الدينكا قد ساعدت على اتساع دائرة العلاقات التي تربط بيـــن تلـــك البدنات كما ساعدت على زيادة كثافة التفاعل في المناشط الاجتماعية المتـــنوعة التـــي يشاركون فيها، وبالتالي فقط أعطت هذه العلاقة مزيدا من قدرة النسق القرابي لأن يكون إطارا للوحدة السياسية في البناء الإنقسامي.

إن قواعـــد الإكســـوجامية تمنع التداخل بين أنماط السلوك المتوقعة والتي تصـــدر تعبـــيراً عـــن أنواع معينة من العلاقات. فالقواعد الإكسوجامية لها أهمية سياســـية واجتماعية، حيث أن البناء السياسي في المجتمعات الانقسامية كنسق من جماعـــات إقليمية تعبر عن وحدتها وتمايزها من ناحية وقابليتها للالتحام في وحدة كبري في عمليات الالتحام والانشقاق السياسي من ناحية أخري، فإن هذا البناء إنما يقـــوم علـــى أساس من الروابط القرابية بحيث يحدد البعد القرابي الذي يفصل بين البدنات مدي البعد البنائي والسياسي الذي يفصل بينها.

ولمـــا كانـــت الوحـــدة الإقليمية السياسية تكون وحدة قرابية تحكمها قواعد الإكســـوجامية التي تعتبر الاتصال الجنسي بين الرجال والنساء الذين ينتمون إلى نفـــس الوحدة القرابية السياسية نوعا من الزنا بالمحارم، وحيث يفرض على رجال الوحـــدة الاقليمية السياسية أن يقوموا بإختيار زوجاتهم من وحدات اقليمية متمايزة بشبكة من العلاقات القرابية الناتجة عن تزاوج رجالها من نساء الوحدات الإقليمية السياســـية الأخـــري، وعندما تصبح الجماعات الإقليمية جماعات من الناس الذين تـــربط بيـــنهم روابـــط القرابة القائمة على أساس المصاهرة، فإن شبكة العلاقات القرابـــية القائمـــة فـــيما بينهم تصبح أساسا قويا لتكوين شبكة أخري من العلاقات الاجتماعية التي تربط بين الوحدات السياسية المتمايزة (١٥)

ويعتقد أغلب رواد الأنثروبولوجيا أن المجتمعات الإنقسامية تتصف بكونها تفـــتقر إلـــى "التنظـــيم السياسي" وعدم وجود "الجماعات السياسية" وأن التضامن الداخلي يقوم على عامل القربي الدموية. كما أنها تمتاز بعلاقات غير متوازنة بين الوحدات الدموية داخل البناء القبلي.

كمـــا يتعايش الأفراد في تلك المجتمعات الانقسامية في ظل نظام اجتماعي انقســـامي يحقق التكيف الاجتماعي للأفراد داخل النسق الانقسامي حيث يعيد تقسيم الأفـــراد علـــى شـــكل طبقات "سن" و"جنس" مثل طبقة " البكور" و طبقة "الأنداد" أو طـــبقة "الأخـــوة الأصغر" وفي ظل هذا التقسيم "الطبقي" يتعايش أفراد المجتمع الديـــنكاوي في ظل "وحدة" وانقسام لها آلية مختلفة عن انقسامهم بين وجهاء وغني وفقير، ومحارب وغير محارب، كما يختلف وضع الأخوة في هذا التقسيم في بعض الأحـــيان حسب ترتيبهم "السني" داخل الأسرة أو العائلة. فالتقسيم في كل مجال من المجـــالات الســـابقة "الطبقة" ، "السن" ، "الوجهاء" يعطي ترتيبا مختلفا في المواقع والأدوار والمكانـــة، هـــذا الاختلاف لابد أن يوضع في الاعتبار عندما تدرس هذه الانقسامات لأن الدور أو المكانة قد تخلق "إنقساما" هنا و "توحيدا" هناك.

وأن ما يخص وحدة القبيلة أو انقسامها، فإن عمليات الوحدة والانقسام إنما تقوم على معيار القربي الدموية، كما تحكم هذه العمليات بآلية أخري هي ما يمكن تسميته بالخطر الخارجي، فالقبيلة تتوحد عندما يهددها الخطر الخارجي ثم تضعف وتـــتفكك هـــذه الوحدة بزوال ذلك الخطر، كما أن مستوي التهديد الخارجي يتحدد بمســـتوي العـــداد بـــناء على قانون الولاء الذي يتدرج باختلاف مستويات القربي الدموية .

والبدنة في الدينكا تتكون من الأقارب العاصبين من الأحياء والأدوات الذين تـــربط بيـــنهم القـــرابة خـــلال حظ الذكور فقط، فتعتبر العشيرة في الدينكا نسقا إكســـوجاميا مـــن البدنات، فالتنظيم العشائري تحكمه المساواة والإكسوماجية، هذا التفاضـــل قد إنعكس على سمات التركيب البنائي للعشيرة في كل نمط من أنماطها. وتنقســـم العشـــائر إلـــى عدد من الوحدات الكلية المتجانسة التي تفصل فيما بينها خطـــوط أو حـــدود التقاطع الواضحة، ولم تكن هناك فرصة للتفاضل في العشيرة الواحـــدة على أساس الانتماء إلى خط معين أو سلف معين من أسلافها. وإذا كانت هناك فرص للتزاوج بين أعضائها وبخاصة الذين ينتمون إلى البدنات الكبري الذين تـــباعدت بينهم خطوط الانحدار القرابي فقد استمدت الإكسوماجية واستمرار انعدام

التفاضـــل الطبقـــي في العشيرة الواحدة كخاصيتين من الخصائص المميزة للتنظيم العشائري في ذلك المجتمع.

وهكـــذا نـــري أن النســـق القرابي هو أساس البناء الاجتماعي في مجتمع الديـــنكا، فشـــبكة العلاقات القرابية وما يرتبط بها من علاقات اقتصادية وسياسية وشـــعائرية تستند وتدعم البناء القرابي الذي يتفاعل مع الأبنية الاجتماعية الأخري التـــي تكـــون نســـقا كليا، وإذا كان النسق القرابي هو الذي يعطي الوحدة للمجتمع الانقســـامي، فـــإن هذا النسق يعبر عن نفسه في المناشط الاقتصادية وغيرها من المناشـــط الاجتماعـــية التي لا نستطيع أن نذكر علاقتها الوظيفية بالنسق القرابي الانقسامي في هذا المجتمع.

ويرتكـــز المجـــتمع في الدينكا على أسس قرابية وقبلية، وليس على أسس سياســـية، بحيث أن كل الوظائف الاقتصادية والاجتماعية والأيديولوجية المهمة يتم أداؤها داخل تجمعات الأقارب، سواء كانت هذه هي العائلات النواتية، أو العائلات الكبـــيرة، أو العشائر أو مجموعة العشائر، وبهذا يعمل المجتمع على أساس مجتمع تكافي، تقليدي، لا على أساس مجتمع انفرادي.

وعلـــى العموم، يتشكل المجتمع من وحدات القري، ومؤسسات قائمة على القـــرابة بالمعني الدقيق مثال، طبقات العمر، والصداقات المتخصصة، وجماعات العمـــل التعاونـــي، ومعســـكرات الذكور والإناث، ولهذا فكل العلاقات الاجتماعية والاقتصـــادية والأيديولوجية لها صفة القرابي، ويتصرف للناس تجاه بعضهم كما أنهـــم لو كانوا أقرباء حقا في أوسع التنظيمات العشائرية، حيث ينتمي المئات إلى نفس الجد، وقد تبتعد صلات الرحم كثيرا [١٦]

٢- **الزواج:**

يتوجب على الشاب، قبل أن يخطب فتاة، أن يحصل على موافقة رفاقه في فئة عمـــره، فهـــم الذين يرافقونه أثناء ذهابه إلى منزل والد الفتاة من أجل أن يخطبها، وأما المهر فيشتمل عادة على عدد من رؤوس الأبقار والماعز بالنسبة للعشائر التي تعتمد في حياتها على رعي الماشية. بينما العشائر التي تهتم بصناعة الحديد فيتكون

المهر من عدة قطع حديدية يستخدمها أهل الفتاة في حياتهم العملية. ويمكن الاتفاق على دفع المهر بالتقسيط، وليس من المفروض أن يتم تسديد المهر حتى يتم الزواج بحيث يمكن للعريس أن يقدم باقي المهر بعد الإنتهاء من الزواج، وقد يقدم العريس أحـــيانا، عددا من الأبقار والماعز، و حربة لصيد فرس النهر وصفائح من السمن وكمـــيات مـــن الأسماك، ولا يكون هذا المهر من منزل ذويه، بل يكون أيضا من أقاربـــه، وعـــندما يتم دفع المهر إلى والد العروس فقد يوزعه على أفراد أسرته، ويتبين من ذلك أن الأقارب عون للعريس على دفع مهر العروس، لأن عدم مقدرة العـــريس على دفع المهر قد يسئ إلى سمعة أفراد عشيرته، ومن هنا كان للأقارب دوراً هامـــاً فـــي مـــثل هـــذه الحالة، أما والدة العروس فتقدم لإبنتها وعاءاً كبيراً ومحركين للحساء وبعض الملاعق.

ومـــن حيث الطلاق فقد تكون أسبابه متمثلة في العقم وعدم الوفاء للزوج، أو عدم قدرة الزوجة على طهي الطعام جيدا، أما حالة الزنا فلا يعتبر سببا من أسباب الطلاق، لأن الزاني يجب أن يدفع الزوج غرامة قد تتراوح بين ٥-٨ رؤوس من الأبقار، إذا فعل الزاني مع الزوجة.

وعـــندما تشعر الزوجة أنها أصبحت حاملا فيتوجب عليها الإمتناع عن تناول بعض الأطعمة، ويحرم عليها أكل لحم الحيوان الميت، بينما هذا اللحم ليس محرما علـــى أهالي الدينكا في الحالات العادية، ويعتقد أن المرأة الحامل إذا لم تمتنع عن ذلك فقد يموت طفلها، أما تسمية الأطفال، فالعادة عند الدينكا أن يأخذ الأبناء أسماء أجدادهم وأقارب الأب والأم، ولا يعطي الإسم للمولود إلا بعد أن يصبح في مرحلة بعـــد ٦-٧ اشهر، وأخذت هذه القبائل طريقة إتباع عملية الختان عن العرب عندما فـــتحوا السودان، ويتم الختان في عمر يتراوح بين ٥-٧ سنوات للذكور والإنـــاث على السواء(١٧)

٣- مراحل التكريس عند الأبناء :

تبدأ عملية التكريس الأولي عند الذكور بالختان في فترة ما بين العمر ٥-٧ سنوات، ولا يستثني من هذه العملية سوى المعتوه أو المريض بمرض مزمن، وكل

طفـل لا يمر بهذه الحالة ينتقدونه اجتماعيا ويسخرون منه كما لو أنه إرتكب عملا سـيئا ضد رفاقه، إذ قد يرفض في اللعب معهم أو حتى تناول الطعام، وحجتهم في ذلك أن الختان له أهمية من الناحية الحيوية والنظافة، وتبدأ مرحلة التكريس الثابتة عـند الأولاد بعمـل عدة جروح دامية على الجبهة في احتفالات اجتماعية ليصبح الذكور في فئة عمر واحدة من البالغين الناضجين، ويبدأ هؤلاء الأولاد في ممارسة أنـواع المشـاجرات يسـتخدمون خلالها الهراوات وسيقان الذرة وفروع الأشجار الحـادة الطويلـة مقلدين الخلافات العشائرية، وهذه الممارسات نوع من التكريس الزائف.

وتبدأ مرحلة التكريس الثالثة عندما يقوي الصبيان أكثر وتبرز أسنانهم كلها كاملـة بحجمها الطبيعي عند الناضج في العمر، ويعملون على خلع أربعة أسنان. الأمامـية، العلـيا، والسـفلي، ويرجعون هذا إلى اسباب جمالية لأنه إذا بقيت هذه الأسـنان كاملة فتضغط على الشفاء السفلي إلى الخارج فيجعل الفم قبيحاً، وهذا يتم أيضا عند الإناث والذكور معا.

وأما التكريس الرسمي فإنه يتم ما بين سن ١٦، ١٨ عاما، وهذا يعتبر من أهـم التجارب أو الخبرات التي تعترض الصبي، عند الدينكا، في حياته، وقبل أن يخـتارها فهـو لا يخرج من صفوف الصبية أو الطفال في نظر المجتمع، ويقوم بالأعمال المعتادة مثل حلب الأبقار، ويذهب إلى المراعي، ويقوم بأغلب النشاطات المرتبطة بتربية الماشية. أما الذين اجتازوا شعائر التكريس فإنهم لا يقومون بمثل هـذه النشـاطات إلا فـي ظروف استثنائية، مثل الرعي في مناطق يحتمل تواجد حـيوانات مفترسة. أما الذين لم يجتازوا بعد هذه الشعائر فلا يسمح لهم بالمشاركة في الرقصات الجماعية، أو مغازلة الفتيات، وإذا حدث هذا فإنهم يتعرضون عندئذ للسـخرية والاسـتهزاء، وذلـك لأن هوية الشاب لم تتحدد بعد، أي أنه لا يعد في صفوف الرجال .

لكـل طبقة من طبقات الأعمار عند قبائل الدينكا راع أي أب وعادة يكون أحد الأفراد البارزين، فهو الذي يمنحها الإسم التقليدي، ويستمد هذا الإسم من أسماء

الثيران التي تستخدم في شعائر التكريس، أو من أسماء الطيور، أو النسر، أو البقرة، أو التمساح. والأب الروحي، هذا، هو الذي يسمح للطبقة التي تتهيأ للتكريس بإجتياز الشعائر، وقد يمتنع هذا الأب عن السماح لها في حالة وجود مرض، وباء، أو في حالة ضعف في إنتاجية الأرض، أو وود فيضان، أو في حالة عدم توفر الأسماك في النهر أو البحيرات أو المستنقعات، وذلك لأن السمك يعتبر الغذاء الرئيسي للشباب خلال ممارستهم لشعائر التكريس، وأحيانا يحرم عليهم تناول الحليب ومشتقاته.

ويتخلل عملية التكريس إحداث جروح في جبهة الشاب تتراوح ما بين ٧ – ١٠ جروح بانتظام، وعلى الشاب أن يتحمل الألم وبدون أن يظهر أية إشارة تعبر عن أنه يتألم، وذلك لأن تحمل هذا الألم يسبب البهجة والمتعة والسرور لأقاربه، وأهله وأصدقائه من الجنسين. ويجتمع هؤلاء الفتية الذكور في قرية أو "معسكر" خاص بهم لعدة شهور حتى يشفوا تماما، وهم من ناحية وجهة نظر شعائر التكريس غير متطهرين، ولذا يجب عليهم الامتناع من الإقتراب من الأبقار، أو حتى تناول شرب الحليب أو منتجاته، ويتغذون بالصيد واللحم والسمك ويرتدون في هذه الفترة أقنعة، أي غطاء للرأس من ورق النخيل، وملابس مزخرفة يرتدونها بكبرياء، ويتناقسون ويتبارون في حلبات الرقص ولكي يصبحوا متطهرين من وجهة نظر الشعائر فيجب أن يهاجمهم بعض الأفراد من طبقة العمر السابقة، أي الذين سبقوهم في التكريس، ويضربونهم بفروع الشجر في محاولة لرميهم في النهر، وعندما يخرجون مباشرة من الماء ويصبحون متطهرين، وفي هذه الحالة يزيدون سواعدهم ورقابهم وجباههم بالخرز الملون والأصداف[١٨]

٤ – طبقات العمر:

نظام طبقات العمر في مجتمعات شرق أفريقيا بصفة عامة، وقبائل الدينكا بصفة خاصة، هو نظام للتفاعل الاجتماعي يتم فيه ترتيب أعضاء المجتمع، وبخاصة الذكور منهم على أساس السن أو العمر، حيث يتوزعون على جماعات طبقية تنتظم كل منها كل الأفراد الذين ينتمون إلى سن معينة بحيث يتم ترتيب كل

أعضاء المجتمع في النهاية في طبقات يعلو إحداها الأخرى أو يقف كل منها موقفا من بقية الطبقات التي تعلوها أو تأتي دونها في نسق التفاضل أو التمايز الاجتماعي.

وتعتبر طبقة العمر جماعة محددة منظمة، تضم جميع الأشخاص الذين ينتمون إلى سن واحدة، وغالبا ما تتألف من الذكور وحدهم والذين يكرسون معا وفي وقت واحد، سواء كان التحاق الشخص بطبقة عمر معينة يحدث بمجرد ولادته أو بعد تكريسه، فإنه يظل معتبراً كعضوا في تلك الطبقة طيلة حياته، وفي العادة يكون لأفراد الطبقة اسم مشترك يميزهم، كما أنهم جميعا يشغلون نفس المركز الاجتماعي ويتبعون نفس أنماط السلوك في معاملاتهم بعضهم لبعض ويتخذون موقفا واحدا إزاء غيرهم من الناس الذين ينتسبون إلى طبقات العمر التي تعلو طبقتهم أو التي أدني منها في المنزلة.

وبذلك يعتبر نظام طبقات العمر، نظاما يتوزع بمقتضاه أعضاء المجتمع في طبقات متمايزة بحسب السن، بحيث يتيح لكل فرد في المجتمع فرصة المشاركة في وظائف الحياة الاجتماعية الكبرى، حسب نظام محكم دقيق في جملته وتبعا لقدراتهم الجسمانية وكفاياتهم الذهنية، وما يكتسبون من خبرة وتجربة نتيجة لتقدمهم في السن، كما يتيح لكل فرد أيضا فرصة للإنتقال ضمن جماعة متماسكة من الزملاء والقرناء، والترقي في مختلف المراتب الاجتماعية تبعا لتوقيت مرسوم ومعلوم، وذلك إذا تغاضينا عن بعض الاختلافات والفوارق الزمنية التي توجد في ذلك النظام نتيجة للعوامل المتنوعة[١٩]

ووظيفة طبقات العمر تعتبر ذات طبيعة اجتماعية، حيث يحدد مركز الشخص في بناء طبقات العمر سلوكه الاجتماعي تجاه الأعضاء الآخرين في القبيلة، وكذلك تحدد مصطلحات القرابة العلاقات بين الطبقات المختلفة، فأعضاء طبقة العمر التي ينتمي إليها الأب يعتبرون أباء وتعتبر زوجاتهم أمهات، كما أن أعضاء نفس الطبقة التي ينتمي إليها الشخص يعتبرون أخوة وزوجاتهم أخوات.

كمـــا ترتبط بنظام طبقات العمر نظام تقسيم العمل الاجتماعي، حيث يمتنع علـــى الشاب بعد أن يمر بشعائر التكريس أن يقوم بحلب الماشية أو أعمال الإناث الأخرى، لأنه قد أصبح رجلا بعد أن كان صبيا، ويعامله كبار السن على أنه رجل فهو يستطيع أن يقترب من الماشية بعد أن كان ذلك محرما عليه وهو يقوم برعيها، ويمتلك ثورا يأخذ اسمه، ويذهب للراقص، ويمارس الحب تمهيدا للزواج.

كمـــا تقوم أنواع معينة من التمرينات الشعائرية بين أعضاء الطبقة الواحدة والأعضـــاء من الطبقات الأخرى، حيث يجب الفصل بين الطبقات التي تقوم فيها الأضـــحيات، ولا يستطيع الشخص أن يتزوج أو يمارس العلاقات الجنسية مع إبنة زمـــيله في الطبقة لأنه يعتبر أب لها، كذلك لا يستطيع الشخص أن يتزوج من إبنة زميل أبيه في الطبقة لأن العلاقات المحددة التي تفصل بين الشخص وأب الزوج أو أب الزوجة، لا تتناسب مع العلاقات الحرة بين أعضاء الطبقة الواحدة.

وتتضح الأهمية البنائية لنظام طبقات العمر من خلال المسافات البنائية التي تفصل بين ألأقسام المتمايزة في نسق طبقات العمر حيث تحدد المسافة البنائية التي تفصل بين الأعضاء في نظام طبقات العمر أنواع السلوك والتوقعات التي تفرضها قـــيم النظام، لأن جميع أفراد الطبقة الواحدة يعتبرون أنفسهم جماعة متمايزة ذات الـــتزامات وحقوق محددة بالنسبة لأعضاء الطبقات التي تعلوها أو تأتي دونها في سلم التفاضل الطبقي في نظام طبقات العمر، فإن أعضاء طبقة العمر الواحدة تتغير مراكـــزهم في النظام خلال ديناميات للنظام ذاتها حين تترحزح طبقة من الطبقات لتخلـــي مكانهـــا لطـــبقة جديـــدة، لتحـــتل هي طبقة أعلي في النظام لها واجباتها وامتـــيازاتها وحقوقهـــا المحـــددة، وهذا الحرك في نظام طبقات العمر يعتبر ميزة أساســـية فـــي الـــنظام الذي يقوم على تعاقب الأجيال في الظهور والاختفاء، ومع اســـتمرار التنظـــيم البنائـــي وثـــبات النظام كله على الرغم من تحرك الأعضاء، وارتقائهم عبر الوحدات والمراتب المتمايزة في النظام.

كمـــا يقـــوم نظـــام طـــبقات العمر بوظيفة هامة في التماسك الاجتماعي، فالتكريس حيث يتعدي الوحدات القرابية المختلفة كالشعار، ويعيد تقسيم أفرادها على

أساس جديد هو عامل السن، وهو يختلف تمام الإختلاف عن الأساس القرابي الذي يتمـــثل فـــي الإنحـــدار مـــن جد إلى جد والذي تنقسم العشيرة بمقتضاه إلى بدنات وعائلات، بحيث نجد في النهاية أن الطبقة الواحدة تتألف من عدد من الأفراد الذين ينتمون إلى مختلف البدنات المكونة للعشيرة(٢٠)

٥- المسكن والتنقل عند الدينكا :

يمـــيل أفـــراد قبائل الدينكا إلى الابتعاد عن الأماكن الجبلية والمرتفعة رغم أنهـــم يفضلون المسطحات المرتفعة نسبيا لتشييد منازلهم، وذلك من أجل أن يكونوا بعيدين عن مياه الفيضانات والأمطار الغزيرة، ويعود سبب اختيارهم لهذه الأماكن لـــتوفر الأخـــاديد فـــي فصـــل الجفاف بغية الحصول على المياه وتوفر الأعشاب والحشائش. ويضطرون دائما إلى رفع المساكن عن سطح الأرض بأعمدة خشبية، ليـــتفادوا بهـــذه الطريقة مياه الأمطار ومنعا لهجوم أو زحف الحشرات والحيوانات المفترســـة أو الســـامة. ويبني الدينكاويون منازلهم على سلسلة من التلال المرتفعة نســـبيا، وتـــبعد عن مجري النيل مسافة تتراوح ما بين ٤٥-٦٠ كم، وتمتد شمالا وجنوبا حيث تتركز القوي الدائمة. وبما أن هذه المنطقة تعرف فصلا ممطراً وآخر جافـــا، لـــذا فـــإن قبائل الدينكا تعتمد للتنقل والترحال أسلوبا للحياة، بحيث أن فترة الإقامـــة والإســـتمرار في سكن القري تكون من مايو حتى سبتمبر أي فترة سقوط الأمطـــار، ثم فترة الإنتقال التي تبدأ من أكتوبر حتى أواخر إبريل أي فترة الجفاف وفي هذه الفترة يقوم كبار السن بصورة خاصة باختيار المراعي القربية من مجري نهـــر من روافد النيل مثال السوباط، بحر العرب، بحر الجبل، ويستقرون في مثل هـــذه المـــناطق حتى أوائل مايو، وبعد ذلك يعودون إلى المراكز الرئيسية الأولي لتهيئة الأرض من أجل زراعتها. وعند بدء الفيضان يبقي الرجال والنساء للإشراف علـــى زراعة ألأراضي وهي عبارة عن حدائق قرب المنازل، وإنتاجها للإستهلاك المحلي، في حين يخرج الشبان مع أبقارهم إلى المراعي الشاسعة.

ومن حيث أثاث المنازل فهو بسيط جدا، وذلك بسبب تنقلهم سنويا باستمرار مـــثل القبائل البدوية، بحيث يشتمل الآثاث على بعض الجلود والحراب والسكاكين

والعصي والمدي المصنوعة من الخشب فيثبتون في رأسها سكينا حادا يستخدمونها فـي الطعن وأواني فخارية، وأنية الفرع لتعبئة الماء وغيره، إضافة إلى القليل من الملابس المصنوعة من الجلود المدبوغة، أو الأقمشة وأدوات الزينة كالخرز وبعض القطع الحديدية[٢١]

رابعا: المتغيرات الاقتصادية الحديثة

لقـد اتضح من البحث أن معظم قبائل الدينكا يسود بينهم نمط حياة تقليدية، سـواء كانوا رعاة أو صغار زراع، كما أن الإنتاج في هذه المجالات يوجه أساسا لكفايـة حاجـة الأفـراد في إطار الاقتصاد المعيشي، ولم تدخل المنطقة في إطار التبادل السلعي المنتظم إلا في الفترة الأخيرة.

فبالنسبة للزراعة كانت حياة الزراع تعتمد على زراعة المحاصيل الغذائية التـي يعتمدون فيها على معيشتهم مثل الدخن والذرة وبعض الحبوب الزيتية ويباع الفائض عن حاجة الأسرة لتغطية الحاجة النقدية لدفع الضرائب وشراء بعض السلع الأخرى التي ترد عبر التجار لهذه المنطقة، وتستغل في شئون الحياة اليومية.

ولقد شهد عقد الثمانينات والتسعينات جهداً مكثفا من قبل مجموعات السكان في منطقة قبائل الدينكا في إندفاعها إلى زراعة المحاصيل النقدية وخاصة الحبوب الزيتـية من فول وسمسم، وتم هذا في معظم الأحيان على حساب الأرض والجهد والوقـت الذي كان يوجه للمحاصيل التى تنتج للإكتفاء الذاتي. وقد شهدت مناطق الديـنكا مـثلها فـي ذلك مثل باقي مناطق الجنوب ضائقة في المحاصيل الغذائية وارتفـاع جنوني في أسعارها، وهذه مسألة لا يمكن النظر إليها بمعزل عما يحدث للاقتصاد السوداني ككل وتبعيته للاقتصاد الرأسمالي العالمي، وتفضيله للإنتاج من أجـل تصدير المواد الخام الرخيصة للدول المستفيدة على أن ينتج من أجل تغطية الاحتياجات المحلية. وقد أدي هذا التطور بدوره إلى دخول الزراعة الرأسمالية في المـناطق المطرية إلى هذه المنطقة ووزعت الأرض للذين يمكنهم تقويم المشاريع التـي تحـتاج قـدراً وافراً من رأس المال، الشيء الذي لا يتوفر لسكان المنطقة الأصليين.

أمــا في المجال الرعوي فإن الحال كما هو عليه مع إزدياد بسيط في عدد الأبقار التي تصل إلى الأسواق. فنظرة المواطن العادي في المنطقة ما زالت تتعلق بالأبقــار علــى أســاس أنها عنصر الثراء المرئي والذي يمكن للإنسان أن يفخر ويتباهــي به، وأن كل القيم والتقاليد تدعو إلى تمجيد ورفع مكانة الفرد الذي يمتلك قطيعا كبيراً، وتنعكس هذه النظرة على كل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية، إذ أن مــثل هذا الشخص يجذب المحتاج إلى "فريقه" اعتمادا على ما يمكن أن يوفر له مــن مصــدر للحياة عن طريق الهدية أو التسليف، وعلى هذا الفرد أن يمنح تأييده الكامل ومساندنة لمثل هذا الشخص الذي يوصف بالكرم، ينظر للرعاة عادة في هذه المنطقة لأبقارهم على أنها هي المال، وهي في ذلك أعظم فائدة من النقود لما تجليه لصــاحبها من حسن السيرة والاحترام وسط أهلة ، ولذا فهم في أحاديثهم لا يقولون الأبقار بل يشيرون إليها بإسم "المال" ويقولون عنها إنها "الفضة أو الصوف" (٢٢).

وإذا اتجهنا جنوبا في منطقة الدينكا نلاحظ أن الزراعة التي تتم في المنطقة بقصد إنتاج بعض ما يحتاجه الفرد في حياته اليومية قليلة جدا، وجل اعتماد السكان هــنا ينصب في العناية قطعان الماشية التى تمتلكها كل أسرة، كما نلاحظ هنا أيضا أن الاقتصــاد السلعي لم يحرز تقدما يذكر في هذه الناحية، وأن ما يباع خلال العام مــن هــذه الحيوانات ليس بالقدر الذي يذكر، ويأتي ذلك أساسا من أن الأبقار هنا تستخدم بديلا للنقد في معظم حالات التبادل، كان ذلك دفعا لضريبة أو تسديدا لحكم فــي أي نــزاع يتم أو كان ذلك في مجال الزواج مثلا، بل إن أبناء المنطقة الذين يهاجــرون للعمل في مناطق السودان الأخرى يحاولون عند عودتهم أن يحولوا كل مدخراتهم النقدية إلى أبقار عند عودتهم إلى المنطقة.

والصلة بين الفرد وأبقاره وسط الدينكا ليست صلة اقتصادية فقط، إن صلته هــنا أكثر إرتباطا من ذلك بكثير ولها مؤشرات عديدة تشير إلى أنها حميمة وهي عصــب العلاقــات الاجتماعية، والفرد تربطه بأبقاره صلة يومية مباشرة يسميها بالأســماء وهــي تستجيب إلى ذلك، بل إن لكل صبي ثوره المفضل وسط القطيع يتسمى به ويغني له وبصاحبه في الرقص صباحا ومساءا قبل أن تتحرك الأبقار من

مـــربطها إلى المرعي أو بعدها نعود، والأبقار هي كما هو الحال وسط القارة في جنوب كردفان المظهر الأساسي للتمايز الاجتماعي والفخر(٢٣).

(١) أثر إكتشاف البترول على الحياة الاقتصادية التقليدية:

ويأتي إكتشاف البترول في منطقة جنوب السودان، وفي بعض مناطق قبائل الديـــنكا، والأمـــل معقود على أنه سيكون له أثر إيجابي في كسر الحاجز بين هذا الاقتصـــاد المعيشـــي الذي تتحكم فيه التقاليد التى تمنع دخول الثروة الحيوانية إلى إطـــار الاقتصاد السلعي والعالمي، حيث أنه سيضيف بعداً جديداً من خلال توطيد الارتـــباط بالســـوق العالمـــية عن طريق الشركات المنقبه عنه، ومن خلال تمكين الإنـــتاج السلعي وعلاقاته الرأسمالية من السيطرة، الشيء الذي قد يقود إلى تقليص للنظم التقليدية للإنتاج والذي يتسم جزء منها بالتعاون والعدالة في توزيع الفائض، إلا أنـــه له أثـــر سلبي على الحياة الاقتصادية بهذه القبائل ولمنطقة جنوب السودان بصفة خاصة، وعلى وحدة السودان بشكل عام(٢٤).

ولقـــد كان لدخول الزراعة الآلية في مناطق جنوب كردفان ومناطق قبائل الدينكا الشمالية، كان له أثر سلبي على المجموعات المستقرة من صغار المزارعين وعلى الرعاة أيضا، ذلك أن الأرض التي أقيمت عليها هذه الزراعة كانت تستخدم من قبل هؤلاء المواطنين إما عن طريق الزراعة أو الرعي.

ولقـــد أدى تحـــول الـــزراعة في إتجاه المشاريع الآلية إلى الحد من حرية المـــزارع الـــذي كان يمكن أن يتحول إلى قطعة أرض جديدة كل خمس أو عشر ســـنوات، كما أثر على المراحيل التي كان يتبعها الرحل في رحلتهم السنوية، ومن ناحية قانونية وإنطلاقا من قانونية تسوية الأراضي وتسجيلها لعام ١٩٢٥ فإن هذه الأراضـــي تعتـــبر أراضـــي حكومـــية غير خاضعة لأي حق، لذا لا يمكن لهذه المجموعـــات أن تدعي حيازتها، هذا فى مجملة يطرح بعض الآثار المترتبة على إكتشاف البترول على الحياة الاقتصادية لمنطقة الجنوب بصفة عامة ومناطق قبائل الدينكا بصفة خاصة.

وكـــان من المفروض أن يكون للبترول أثر إيجابي في كسر الحاجز القائم بيـــن الاقتصاد المعيشي الذي تتحكم فيه التقاليد، وتمنع دخول الثروة الحيوانية إلى إطـــار الاقتصـــاد السلعي، ولكن هذا لن يتم إلا برفع مستوي الحاجات الضرورية "الاستهلاك" بين هذه المجموعات، وقد يبدوا هذا متناقضا مع الهدف الذي يدعو إلى توفـــير فائض اقتصادي للتنمية ولكن هذا التناقض مظهري ومؤقت للكثير من هذه المجموعات تشبع حاجياتها الضرورية في مستوي أقل من الحد الأدنى، أي أقل من ٢٢٠٠ وحدة حرارية يوميا، كما أنها تعتمد في بعض الأحيان على منتجات طبيعية مثل السمك ومنتجات الغابات ولا تحتك بالسوق (السلعة – النقد) إلا التماسا، ولهذا فإن رفع مستوي وتوسيع دائرة عاداتها الجديدة، من شأنها أن تقنع هذه المجموعات بترك العادات القديمة ودفع ثرواتها الحيوانية ومنتجاتها الزراعية إلى دائرة التعامل السلعي.

ولكـــن حتى يتم هذا بدون بروز التناقض بين الاقتصاد المعيشي والاقتصاد الســـلعي يجب أن يتم خلال بعث حركة واسعة من الوعي لانتظام هذه المجموعات فـــي جمعـــيات تعاونـــية إنتاجـــية تسويقية تلعب فيها الدولة دوراً مشجعاً ومرشداً وتســـاعدها عـــن طـــريق التسهيلات المصرفية المختلفة، وحتما سيؤدي مثل هذا التنظيم الذي لن يحتاج إلا إلى القليل من عائدات البترول إلى بعث النشاط والحياة فـــي جوانـــب الاقتصاد المحلي وربما يؤدي إلى وقف نزيف الهجوم الذي كاد أن يذهب بالإنتاج في هذه المنطقة.

وإذا كان ما أشرنا إليه هو جانب سيكون إيجابيا إلا أن اكتشاف البترول في مـــنطقة جـــنوب السودان، وفي بعض مناطق قبائل الدينكا، كان له أثر سلبي على الحـــياة الاقتصادية التقليدية لهذه القبائل بصفة خاصة وعلى منطقة جنوب السودان بصـــفة عامـــة. فلقد أثر على سبل الإنتاج التقليدية من خلال تمهيده لنمو علاقات إنتاجـــية رأســـمالية تـــتحطم معها نظم الإنتاج الجماعي كالتغير مثلا، وتذوب في خضـــمها العلاقـــات التى تربط الأسرة الممتدة والمشاركة التى تتم بين أفرادها في مجال الإنتاج والاستهلاك، بل وستدعم نمو العلاقات الرأسمالية للشركات الأجنبية التى تساهم في التنقيب عن البترول والتى سوف تقوم باستغلاله، وقد يصبح التحكم

صــعبا إن لــم يكــن مستحيلا في دور هذه الشركات ودور المجموعات التجارية والعمالية التى تفد إلى المنطقة، وستعمل هذه المجموعات على إقصاء المجموعات المستقرة أصلا من معظم المشاريع الإنتاجية ذات العائد المباشر، وقد يقود هذا إلى صــدام بيــن الوافديــن من تجار، عمال، فنيين، أجانب أو سودانيين ذوي التقاليد المخــتلفة وهذه المجموعات المستقرة، هذا علاوة على أن حيازة الأراضي التى قد تستولي عليها الشركات المنقبة عن البترول لحماية مناطق التنقيب سوف يؤثر على مناطق الرعي، وعلى زراعة السكان المستقرين.[٢٥]

(٢) أثر اكتشاف البترول على مشكلة جنوب السودان:-

إن كــل الدراســات التي تعالج قضايا الوحدة والترابط في مجتمعات ذات تــنوع ثقافي كالسودان تؤكد أن من أهم مقومات الانفصال أو الدعوة له، تتأتي من خــلال المعــتقدات، والبعد الجغرافي للإقليم المتحفز للانفصال عن مركز السلطة بالتــنوع الإثني واللغوي، واختلاف التجربة التاريخية خاصة في المجال الإداري، التنمية عبر المتوازنة، ثم فوق هذا احتمال تدخل جهات أجنبية إلى جانبهم.

علاوة على ذلك، يمكن إضافة عامل جديد للعوامل السابقة، كعوامل قد تدفع إلى محاولة الانفصال، وهذا العامل الجديد هو اكتشاف معدن نفيس أو البترول، ذلك أن اكتشاف البترول في بعض مناطق غرب السودان وجنوبه قد شجع المجموعات العرقية في الجنوب إلى الدعوة إلى الانفصال.

ولقــد أثبتــت التجربة في معظم الدول، ومنها على وجه الخصوص بعض الدول الإفريقية التي يوجد فيها تنوع في التركيبة السكانية، أن اكتشاف معدن نفيس او اكتشاف البترول بمقدوره ان يشجع الفئات التى تشعر بظلم في العلاقات مع بقية المجموعــات في المجتمع إلى الدعوة إلى الانفصال إذا ما كان هذا المعدن النفيس يقع جغرافيا في مناطق سكنها، هذا ما حدث في حالة مجموعات "الإيبو" في بياقرا بنيجــيريا عندما اكتشف البترول في أوائل الستينات من هذا القرن، وفي حالة إقليم "شابا" عندما حاول الانفصال عن زائير والاحتفاظ بالنحاس في إطار دويلة جديدة، فهــذه المعــادن ومصادر الطاقة، بالإضافة إلى فتح شهية المجموعات الانفصالية

ومســاندة دعوتها، وشعورها بأنها لم تعد عبئا على كاهل الدولة ويمكن أن يحرز تقدمــا فــي مجــالات التنمية إذا ما استأثرت بكل ما هو مخزون لديها من معادن ومصادر طاقة، أيضا تقوي من أمل التدخل الأجنبي.

وهذا ما حدث ويحدث في جنوب السودان بعد أكتشاف البترول ، فقد قويت الدعــوة إلى حق اقتسام العائد بصورة تحفظ للاقليم مكانة مميزة، وتبع ذلك العديد مــن المشاكل التابعة من الموضوع نفسه أو المرتبطة به، ويغذيها الشعور بإمكانية الاعتماد على الذات مستقبلا، ورغم عدم تصريح القيادات بمثل وجهة النظر هذه ، ومن هذه المشكلات.

(١) <u>مشكلة الحدود بين الاقليم الجنوبي والاقليم الشمالي:</u>

كان أول هذه المشكلات هي مشكلة الحدود بين الاقليم الجنوبي والاقليم الشمالي فوفقا لاتفاقية "أديس أبابا" في هذا الشأن، المناطق المتنازع عليها ثلاث مناطق هي:

(أ) منطقة حفرة النحاس. (ب) منطقة بانتيو. (ج) منطقة شالى والكرمك.

وتعد هذه المناطق ذات إمكانية اقتصادية عالية ربما يكون بعضها مؤثراً في مستقبل التنمية في السودان.

(ب) منطقة حفرة النحاس:

كانــت منذ زمن مجال استكشاف لمعدن النحاس وإن لم يكن هناك تحديد دقيق لكمــياته وإمكانــية استغلاله تجاريا، وهي المنطقة التى حاول الاستعمار أن يجعل مــنها حاجــزاً خالياً من السكان بين الشمال والجنوب لوقف امتداد الثقافة العربية الإسلامية جنوباً.

(ب) منطقة بانتيو:

أمــا مــنطقة بانتيو فهي المنطقة التي أشارت استكشافات شركة شيفرون التي تنقــب عــن البــترول أنهــا أغني المناطق التى تم التوصل إليها، وتشكل المركز الأساسي للحقل البترولي المكتشف.

فلقد اكتشفت شركة شيفرون الأمريكية البترول في منطقة بانتيو، وبدأ العمل في إقامة خط أنابيب يوصل المنطقة بميناء بورسودان تمهيدا لتصديره، وقد شكل ذلك إغـــراء لقبائل الجنوب بأنهم يستطيعون إقامة دولة مستقلة في الجنوب تكون قادرة على تحقيق التنمية الاقتصادية فيها، ولذلك نادي البعض منهم بأن يمتد خط أنابيب الـــنفط من منطقة بانتيو إلى ميناء ممباسا بكينيا عبر الجنوب السوداني حتى يكون تحـــت سيطرتهم التامة، في حين طالب البعض الآخر بأن يكون للجنوبيين نصيب الأســـد في هذه الثروة النفطية، ولقد تركز جانبا من عمليات قوات الأنيانيا "ألإثنين" في منطقة بانتيو النفطية. (٢٦)

(ج) منطقة شالى والكرمك:

و باعتبار أن هذه المنطقة كانت إحدي المناطق المهمة كمصدر للذهب في الماضـــي، يجعل منها منطقة يمكن معاودة الاستكشافات فيها مرة أخري، بالإضافة إلـــى أنهـــا من الناحية الثقافية وإنطلاقا من الإنتماءات العرقية لسكانها تكون أكثر إتصالات بمناطق الإقليم الجنوبي منها بالوسط الذي تقع فيه.

(٢) مشكلة مصفاة النفط في كوستي :

ظهـــرت بوادر هذه المشكلة في عام ١٩٨١، حيث تقرر أن تكون كوستي موقعـــا لمصـــفاة الـــنفط، ولقد طلب مجلس الشعب الإقليمي من رئيس الجمهورية التدخل لوقف القرار الذي أصدره وزير الطاقة وإدارة شركة شيفرون، وقد إرتكزت دعوي مجلس الشعب الإقليمي للجنوب على أن "بانتيو" هي أصلح منطقة لقيام مثل هذه المصفاة إذ أنها منطقة الإنتاج، وأن قيام المصفاة فيها سيتيح للمنطفة كلها قدرا من التنمية الاقتصادية هي في أشد الحاجة إليها، وتمخض الصراع عن الاستمرار فـــي العمـــل علـــى قيام مصفاة تكرير للبترول في كوستي مع الوعد بقيام مصفاة صغيرة في بانتيو(٢٧)

ولقد أدي إكتشاف البترول علاوة على إثارة المشكلات السابقة الذكر، إلى تشجيع المجموعات العرقية إلى الدعوة إلى الإنفصال، حيث شعرت هذه المجموعات

العرقية بأنها يمكن أن تحرز تقدما في مجالات التنمية إذا ما استأثرت بكل ما هو مخزون لديها من مصادر طاقة ومعادن، فقد قويت الدعوة في جنوب السودان إلى حق اقتسام البترول بصورة تحفظ للإقليم مكانة مميزة. وقد نتج عن ذلك إشعال نار الحرب الأهلية فى السودان فى منطقة الجنوب، هذه الحرب التى كان لها أثر قوى ومباشر على الحياة الاقتصادية للمجموعات القبلية فى جنوب السودان بصفة عامة ولقبال الدينكا بصفة خاصة.

فـإن المتبع لما يحدث فى جنوب السودان ، يجد أن مجال الاقتصاد يواجه مصـاعب جمـة . فلقد أدت الحرب إلى فقدان الغابات ومناشير الأخشاب ومزارع البـن والتـبغ وغـيرها فى الجنوب ، مما أدى إلى تشريد العاملين فيها ، كما أن زراعة الألغام أدت إلى خطورة التنقل وإلى خسائر مادية وبشرية عديدة.

كمـا أدت الحـرب إلـى قلة المساحات المتاحة للرعى وإلى صعوبة تنقل الـرعاة لحيواناتهم ، وأدى ذلك لحروب قبلية فى مناطق التماس بين القبائل حيث الصراع على المراعى والماء، وبالتالى أدت إلى فقدان عشرات الآلآف من رؤوس الماشية وفقدان الموارد لقلة الصادر منها [٢٨]

ولقـد سـاهمت الحـرب أيضاً فى ذبح الماشية للحاجة الملحة إلى لإطعام الجـيش المحلى الذى يعتمد بالكامل على السكان المحليين ، ولذلك قل عدد الثيران وانخفـض بشـكل كبير فأصبح بنسبة ثور واحد إلى سبعة أبقار. ومن بعض آثار الحرب الأهلية فى منطقة جنوب السودان أيضا :

(١)بلـغ عدد النازحين بسبب الحرب، وضرب المجاعة للجنوب والغرب والشرق عـام ١٩٩٠ حوالى ٧,٧ مليون مواطن سكنوا حول مدن السودان وبلغ من سكنوا حـول العاصـمة وحدها ٢ مليون نصفهم من الجنوب والنصف الآخر من الغرب والشرق، يسكنون بيوتاً من الكرتون ويقومون بأعمال هامشية بدخول متدنية وتنتشر بينهم الأمراض المعدية والأوبئة وترتفع نسبة وفيات الأطفال، وسببوا إضطراباً فى قلب عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

(٢)إنهكـت الأرض الزراعية من تكرار الدورة الزراعية وقلة المساحة المزروعة بالزراعة الآلية فى الأماكن التى يتم ترحيل السكان عنها بالقوة، وبالتالى انخفضت

إنتاجـية الأراضـي وتأثر الحاصلات النقدية التى كانت المصدر الأساسى للعملة الأجنبـية ، وفـى ظـل نفاذ المخزون الغذائى إنتشرت المجاعة فى أقاليم السودان المختلفة.

(٣) أدى التضـخم وارتفـاع الأسعار إلى نشر الفساد بالإضافة إلى إستيلاء الطبقة الطفيلـية على التجارة وإنخفض الجنية السودانى من ٣ دولارات للجنيه الواحد إلى أكثر من ٢٦٠٠ جنيه سودانى للدولار الواحد، وأفلس الجهاز المصرفى وأعلن أكثر مـن ٢٠ بـنك مـن مجموع ٢٣ بنك تعثرها وإفلاسها و صبحت غير قادرة على المساهمة فى الإقتصاد الوطنى.

(٤) الخسائر البشرية لهذه الحرب غير محصورة سواء بالإبادة والتطهير العرقى أو الجـوع والمـرض الناجم عن هذه الحرب. وقد خلقت هذه الحرب جيلاً كاملاً من الأطفال والشباب الذين ولدوا وتربوا داخل معسكرات اللاجئين أو معسكرات القتال وفـى الغالـب بعـيداً عن ذويهم وأصبحوا يشكلون مشكلة اجتماعية خطيرة على مستقبل البلاد.

(٥) أدت الحـرب ومـا نتج عنها لهجرة ٨ مليون مواطن خارج السودان هرباً من سوء الأحوال الاقتصادية إلى الدول المجاورة أو إلى دول العالم، وفقدت البلاد خيرة خبرتها وأيديها العاملة .

(٦) نتـيجة القهـر والجوع وسوء الأحوال الاقتصادية إنتشرت أمراض اجتماعية كثـيرة مـنها الأنحـراف الأخلاقى والفساد المالى والإدارى الذى أدى إلى فقدان مليارات الجنيهات السودانية حسب تقارير الحكومة إضافة إلى تكلفة الحرب نفسها التى تكلف سنوياً أكثر من ٥٠٠ مليون دولار وما يوازيها من الجنيهات السودانيةو وتسبب ذلك فى زيادة الانهيار الاقتصادى.

(٧) واجهـت هيئات الإغاثة الدولية مشاكل أعاقت عملها، استمرار الحرب وبسبب موقـف الحكومة والحركة الشعبية والقوى المحاربة الأخرى فى مناطق العمليات ، وأعلنت تلك أن أكثر من مليون ونصف المليون من سكان السودان معرضون للفناء بسبب الجوع والمرض(٢٩).

الخاتمــة

نســتنتج من البحث أن قبائل الدينكا من القبائل الرعوية . حيث يسود لديهم نمــط حــياة تقلــيدية سواء كانوا رعاة أو صغار الزراع . ولقد حال إنتشار قبائل الدينكا فى إقليم جغرافى ممتد – حيث تفصل بينهم قبائل النوير – دون إى محاولة لتوحيد هذه القبائل فى نظام سياسى مشترك.

ولقــد أثــرت الظروف الطبيعية على الحياة الاقتصادية لتلك القبائل وعلى حركة السكان سواء فى موسم الجفاف أو موسم الأمطار. كما أن الإنتاج فى المجال الــرعوى والزراعى يوجه أساساً لكفاية حاجة الأفراد فى إطار الاقتصاد المعيشى ولم تدخل المنطقة فى إطار التبادل السلعى المنتظم إلا فى الفترة الأخيرة.

فالزراع كانت حياتهم تعتمد على زراعة المحاصيل الغذائية التى يعتمدون فــيها على معيشتهم ، ويباع الفائض عن حاجة الأسرة لتغطية الحاجة النقدية لدفع الضرائب وشراء بعض السلع الأخرى التى ترد عبر التجارة لهذه المنطقة.

إلا أن الاقتصــاد المعيشــى فى الفترة الأخيرة قد شهد جهداً مكثفاً من قبل المجموعــات السكانية فى إندفاعها أى زراعة المحاصيل النقدية (الحبوب الزيتية) ويــتم هذا فى معظم الأحيان على حساب الأرض والجهد والوقت الذى كان يوجه للمحاصيل التى تنتج للاكتفاء الذاتى.

أمــا فــى المجــال الرعوى ، فنظرة الإنسان فى المنطقة ما زالت تتعلق بالأبقــار علــى أســاس أنها عنصر الثراء المرئى والذى يمكن للإنسان أن يفخر ويتــباهى بــه وأن كل القيم والتقاليد تدعو إلى تمجيد ورع مكانة الفرد الذى يمتلك قطــيعاً كبيراً، وتنعكس هذه النظرة على كل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وينظر الرعاة عامة إلى أبقارهم على أنها هى المال. وهى فى ذلك أعظم فائدة من النقود لما تجلبه لصاحبها من حسن السيرة والاحترام وسط أهله. ولذا فهم فــى أحاديثهم لا يقولون الأبقار بل يشيرون إلها باسم "المال" ويقولون عنها "الفضة أو "الصوف".

والـــزراعة عند قبائل الدينكا والتى تتم بقصد إنتاج بعض ما يحتاجه الفرد فـــى حـــياته اليومية قليلة جداً ، حيث إن كل إعتماد السكان هنا ينصب فى العناية بقطعـــان الماشية التى تمتلكها كل أسرة . كما نلاحظ هنا أيضا أن الاقتصاد السلعى لـــم يحـــرز تقدماً يذكر فى هذه الناحية ، وأن ما يباع خلال العام من الأبقار ليس بالقدر لذى يذكر.

ويـــأتى ذلك أساساً من أن الأبقار هنا تستخدم بديلاً للنقد فى معظم حالات التـــبادل ، كان ذلك دفعاً لضريبة أو تسديداً لحكم في أى نزاع يتم أو كان ذلك فى مجال الزواج مثلاً. بل إن أبناء المنطقة الذين يهاجرون للعمل فى مناطق السودان الأخـــرى يحـــاولون عـــند عودتهم أن يحولوا كل مدخراتهم النقدية إلى أبقار عند عودتهم إلى المنطقة.

والصـــلة بين الفرد وأبقاره وسط الدينكا ليست صلة اقتصادية فحسب، إن صـــلته هنا أكثر ارتباطاً من ذلك بكثير ولها مؤشرات عديدة تشير إلى أنها حميمة وهى عصب العلاقات الاجتماعية . والفرد تربطه بأبقاره صلة يومية مباشرة ، بل إن لكل صبى ثوره المفضل وسط القطيع يتسمى به ويغنى له ويصاحبه . والأبقار عـــند تلك القبائل تمثل المظهر الأساسى للتمايز الاجتماعى والفخر. فللأبقار أهمية اجتماعـــية واقتصـــادية ، و دور هام فى التماسك والضبط الاجتماعة حيث تشكل محـــور حـــياتهم اليومـــية و حيـــث تستخدم للتبادل فى المهور، وفى التعويضات للجـــزاءات العرفية وتقديمها كقرابين ، فالرجل لا يعتبر من القبيلة دينكاوياً إلا إذا كان لا يملك عدداً من القطيع. وتشكل ملكية الأرض لدى الدينكا امتداداً للأوضاع الاجتماعـــية ويـــتم توزيعها بواسطة زعيم القبيلة على قادة القبائل الفرعية، الذين يقومون بتوزيعها على جماعاتهم.

ويخضـــع تقســـيم العمل لنظامى العمر والجنس . فالمرأة تشارك فى تربية الأبقـــار وتصـــنيع الحليـــب ، أمـــا الـــرجال فهم الذين يختارون المراعى وإقامة المعســـكرات. وتـــأخذ التجارة الآن، عند هذه القبائل شكلين ، شكل السوق المفتوح وشـــكل التبادل ، كما تقوم تلك القبائل بصيد الحيوانات البرية ، حيث يشكل الصيد

أهمية كبيرة ، لا يهم حيث يساعد على العمل الجماعى والتعاون الاجتماعى ، لأن المشاركة والتبادل من أهم السمات التى يمتاز بها اقتصاد قبائل الدينكا.

وبذلـك يتضح أن الحياة الاقتصادية لقبائل الدينكا تعتمد على مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية وتلك التى ترتبط دورها بالعوامل التكنولوجية بالإضافة إلى القيم والعادات والتقاليد والأعراف التى تسود عند هذه المجموعات القبلية.

فاقتصـاد قبائل الدينكا اقتصاد تتحكم فيه العادات والتقاليد ، تلك التى تمنع دخول الثروة الحيوانية إلى إطار الاقتصاد العالمى، كما يمتاز بأنه اقتصاد جماعى حيث تسود مظاهر العمل الجماعى والتعاونى ، وتبرز مظاهر هذا العمل فى تقسيم العمل والمعسكرات وفى نظام النفير، كما يوصف هذا الاقتصاد بأنه اقتصاد معيشى . كمـا أن القـبائل لا تعرف الطبقات الاقتصادية، بحيث أنه لا توجد جماعة تملك وسـائل الإنـتاج . فالاقتصاد المعيشى هنا اقتصاد طبيعى لا يستعمل النقود ، لأن التبادل يتم عن طريق المقايضة والهدايا.

والأرض عـند قبائل الدينكا لا يمكن توريثها أو بيعها للغرباء ، لأن الفرد "الدينكاوى" يرى فى الأرض موطن أسلافه ، وهى بذلك مقدسة بالنسبة إليه، ويبرز فـى هذه الحالة صلة وظيفية بين الدين واستغلال الأراضي وهذه الصلة تتمثل فى العامل الاقتصادى.

أما بالنسبة للحياة الاجتماعية لقبائل الدينكا فنجد أن قواعد الإكسوجامية هى الـتى تحكم نظام الزواج ، والتى بمقتضاها لا يستطيع الرجل أن يتزوج من امرأة تمـت له بصـلة القـرابة. وذلك فقد ساعدت العلاقات القرابية القائمة على أساس المصـاهرة والتى تربط بين البدنات الإكسوجامية على زيادة إتساع دائرة العلاقات الـتى تـربط بين تلك البدنات ، كما ساعدت على زيادة كثافة التفاعل فى المناشط الاجتماعـية المتنوعة التى يشاركون فيها ، وبالتالى فقط أعطت هذه العلاقة النسق القـرابى مـزيداً من قدرته لأن يكون إطاراً للوحدة السياسية فى البناء الإنقسامى. فالنسـق القـرابى هو أساس البناء الاجتماعي فى مجتمع الدينكا، حيث يرتكز هذا المجـتمع علـى أسـس قرابـية وقبلية ، وليس على أسس سياسية، بحيث أن كل الوظـائف السياسية والاقتصادية والاجتماعية يتم أداؤها داخل تجمعات الأقارب ،

ســواء على مستوى الأسرة النواة، أو العائلات الكبيرة ، أو العشائر، أو مجموعة العشــائر ، وبهــذا يميل المجتمع على أنه مجتمع تكاتفى ، تقليدى ، لا على أساس مجتمع إنفرادى.

ويتشكل المجتمع ، من وحدات القرى ، ومؤسسات قائمة على القرابة مثال، طــبقات العمــر ، والصــداقات ، وجماعات العمل التعاونى ، ومعسكرات الذكور والإناث.

ولقــد إتتضــح إن إكتشاف البترول فى منطقة جنوب السودان، خاصة فى بعــض مــناطق قــبائل الدينكا كان له أثر ايجابى سلبى، الأول كسر الحاجز بين الاقتصــاد المعيشــى الــذى تــتحكم فيه العادات والتقاليد التى تمنع دخول الثروة الحيوانــية إلــى الاقتصاد العالمى ، حيث أنه سيضيف بعداً جديداً من خلال توطيد الارتــباط بالســوق العالمية عن طريق الشركات المنقبة عنه، ومن خلال الإنتاج الســلعى وعلاقاته الرأسمالية من السيطرة ، الشيء الذى قد يقود إلى تقليص النظم التقليدية للإنتاج والذى يتسم جزء كبير منها بالتعاون والعدالة فى توزيع الفائض.

والأثــر الســلبى يتضــح تأثــيره على سبل الإنتاج التقليدية ، وعلى نمط العلاقــات الــتى تــربط الأسرة الممتدة والمشاركة التى تتم بين أفرادها فى مجال الإنــتاج والإستهلاك ، وفى نمو العلاقات الرأسمالية للشركات الأجنبية التى تساهم فــى التنقيب عن البترول ، حيث يصبح التحكم صعباً فى دور هذه الشركات ودور المجموعــات الــتجارية والعمالــية الــتى تفد إلى المنطقة. علاوة على أن حيازة الأراضى التى قد تستولى عليها الشركات المنقبة عن البترول لحماية مناطق التنقيب سوف يؤثر علىمناطق الرعى والزراعة.

ومــن الآثار السيئة لإكشاف البترول أيضاً تشجيع المجموعات العرقية فى مــنطقة الجنوب إلى الدعوة إلى الإنفصال عن شمال السودان ، حيث شعرت هذه المجموعــات بأنها يمكن أن تحرز تقدماً فى مجالات التنمية إذا ما أستأثرت بكل ما هو مخزون لديها من مصادر طاقة ومعادن . فقد قويت الدعوة فى جنوب السودان ، إلــى حق اقتسام عائد البترول البترول بصورة تحفظ للأقاليم مكانة مميزة ، وتبع ذلــك العديــد من المشكلات المترتبة على اكتشاف البترول مثل مشكلة الحدود بين

الإقليم الجنوبى والشمالى ومشكلة مصفاة النفظ فى كوستى، وما ترتب على ذلك من إنـــدلاع وإشعال نار الحرب الأهلية فى منطقة جنوب السودان ، هذه الحرب الذى كان لها أثر قوى ومباشر على الحياة الاقتصادية للمجموعات القبلية فى تلك المنطقة بصفة عامة وقبائل الدينكا بصفة خاصة.

المــراجــع :

1- Ryle, J., 1998. The Dinka – Warrios of the white Nill time – life Books, U. S.A. P/0.

٢- عــبد العزيــز راغب شاهين، ١٩٩٩، التنوع والصراع الإثنى فى بعض مجــتمعات حــوض النــيل، دراسة فى الأنثروبولوجيا السياسية ، أعمال المؤتمر الســنوى للدراســات الأفريقــية ، الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة، ص ٤٠٧ – ٤٣٥.

3- Jok, Madut, J.,: 1996, woman , seuxality and social behavior in western Dinka: The impact of war, an reproductive health in south soudan, University of californial, los Angelos, pp. 107 – 118.

٤- فاروق إسماعيل، ١٩٨٠، الأنثروبولوجيا الثقافية ، الإسكندرية ص ١٨٧ ، ١٩٤ وأنظر فى ذلك أيضاً:

- Buxton, J.,: 1996. the mandari of southern sudan, New york pp. 120 – 135.

٥- علــى وهــب ، ١٩٩٦ ، المجتمعات البشرية والأنماط المعيشية والسلوكية منهجية الجغرافية الاجتماعية ، سلسلة الجغرافية البشرية ، الاقتصادية، الاجتماعية ، والسياسية ، الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ص ٢٠١ – ٢٠٣.

6- Iles, Karen, 1994. Feasibility study for restocking displaced Dinka and Nuer peoples in southern sudan UNICEF: livestock sector, Nairobi, pp. 25 – 49.

٧- أحمــد أبو زيد، ١٩٧٨، البناء الاجتماعى ، ط ١ ، القاهرة، ص ١١٠ – ١١٣.

٨- علـــى وهـــب، ١٩٩٦، المجتمعات البشرية والأنماط المعيشية والسلوكية، مرجع سابق ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤.

9- Jok, M., J., : 1996, woman, sexuality and social behavior in western Dinka, op . cit, pp. 127 – 130.

١٠- علي وهب ، ١٩٩٦، مرجع سابق ص ٢٠٤ – ٢٠٥.

١١- انظر فى ذلك:

- Hoebel E. A., 1984. Man in primitive society, Harvard, pp 430 – 433.
- Hoebel E. A., 1992, Anthropogy , the study of man, Mc. Crow – Hill Book company , New york, p 343.

١٢- علي وهب ، ١٩٩٦ ، مرجع سابق ص ٢٠٥ – ١٢٠٧.

13- Jok, M., J., 1996, woman, sexuality and social behavior in western Dinka, of. Cit, pp. 129 – 133.

14- Op. Cit ., pp. 133-136.

١٥- محمد عبده محجوب ، ١٩٨٤ الضبط الاجتماعى فى المجتمعات التقليدية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، ص ١٤٥ – ١٧٥.

وانظر أيضاً:

- Radcliffe, Brown, and F., 1973: African systems of Kinship and marriage, oxford university. Pp., 30 – 50.

16- Glukman , M.: 1975. custom and conflict in Africa Basil Blackweel, oxford, pp. 100 – 110.

وانظر ذلك أيضاً:

- Mair, 1. 1975, princitive Government, pengwin Book, Great Britain, pp. 150 – 220.

١٧- علـــى وهــب، ١٩٩٦، المجتمعات البشرية والأنماط المعيشية والسلوكية ، مرجع سابق، ص ٢١٢ – ٢١٣.

١٨- المرجع السابق ص ٢١٣ – ٢١٥.

١٩- أحمــد أبو زيد ، ١٩٥٩، نظام طبقات العمر، مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، المجلد الثالث عشر ، ص ١٨١.

٢٠- محمد عبده محجوب ، ١٩٨٤ ، الضبط الاجتماعى فى المجتمعات التقليدية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ن ص ١٧٦ – ٢٠٣

وانظر فى ذلك أيضا:

- Jok, M., J.,: 1996, Woman, sexuality and social behavior in western Dinka: The impact of war and reproductive health in south sudan. pp. 148 – 149.

٢١- على وهب ، ١٩٩٦، مرجع سابق ، ص ٢١١ – ٢١٢.

22- Duffield, M., : 1994. the political economy of southern soudan , london, pp. 253 – 258.

23- Deng, p. 1998, Dinka in Afro – Aralb Sudan, New York pp. 48 – 73.

24- Padel, p., 1995, Gil and regional sentiment in southern sudan, pp. 12 – 19.

25- Deng, p. 1999. The war in southern Sudan , New York, pp. 233 – 234.

٢٦- إبراهيم نصر الدين، ١٩٩٩ ، الحرب الأهلية فى السودان ، أعمال المؤتمر الســـنوى للدراسات الأفريقية – الصراعات والحروب الأهلية فى أفريقيا – معهد البحوث الدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة ، ص ١٩١.

27- charles, G.: 1994, Sudan at cross roades, England pp. 173 – 185.

27- Ryle, J., : 1998, The Dinka – warrios of the white Nile, pp. 50 – 70.

٢٩- أبــو الحســن فــرج ، ١٩٩٩ ، جــنوب السودان ، أعمال المؤتمر السنوى للدراسات الأفريقية ، الصراعات والحروب فى أفريقيا ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

النسق السياسى عند الدنكا(*)

للدكتورة / سلوى يوسف درويش

يرتبط النسق السياسى عند الدينكا بالأفكار الدينية والطقوسية السائدة فى المجتمع التى تشير إلى عدم وجود زعيم أو رئيس سياسى بالمعنى المعروف، وإنما يستمد الزعيم سلطته من خلال وصفه الدينى والقرابى. ويعد نظام الزعامة عند الدينكا هو محور النظام السياسى ويمكن دراسته من منظورين أساسين:

أولاً : نسق القيم.

ثانياً: نظام طبقات العمر.

بالنسبة لنسق القيم: يسود عند القبائل النيلية عامة والدينكا خاصة نظاماً قيمياً خاصاً من خلال توحد سياسى أكثر منه توحداً ثقافياً . كذلك تتمحور حياة الدينكا حول قيم أساسية تمنح الأسلاف وعالمهم سيادة وتفوق مطلق وهذا يعطى للزعامة شكلاً مميزاً.

أما بالنسبة لنظام طبقات العمر : يعد هذا نظاماً سياسياً وعسكرياً فى المقام الأول فهو يوحد الشباب فى نفس المرحلة العمرية ويجعلهم أكثر قدرة للدفاع عن أنفسهم وبذلك يصبحون قوة كبيرة يمكن الإعتماد عليها.

ويمكن إرجاع أسباب العنف داخل قبيلة الدنكا لتوزيع المهام والأدوار بين الأجيال والشعور بالعزة لدى الأعضاء من مجموعات المقاتلين والذين اكتسبوا هذا الوضع المميز نتيجة تدريبهم من الصغر على فنون الحرب.

(*) د. سلوى يوسف درويش : أستاذ مساعد الأنثروبولوجيا الاجتماعية – معهد البحوث الأفريقية.

ويرتبط النظام السياسى الحالى عند الدينكا بنظام قانونى ، حيث يرتكز هذا النظام حـول رؤسـاء العشائر الذين يكونون سلطة سياسية عليا، وهناك نواب لرؤوساء العشـائر وهم همزة الوصل بين السلطة.ويرتبط النظام السياسى الحالى عند الدينكا بـنظام قانونى ، حيث يرتكز هذا النظام حول رؤساء العشائر الذين يكونون سلطة سياسية عليا، وهناك نواب لرؤوساء العشائر وهم همزة الوصل بين السلطة.

ويقـوم النظام السياسى على دعائم دينية ، فالزعيم فى كل قسم قبلى يجمع بيـن السـلطتين الدينـية والدنيوية ويختار على أساس انتمائه لاسلاف لها قداسه وإجلال عند أعضاء المجتمع ، وبذلك يستمد سلطته من مركزه الطبقى والدينى مما يساعد على أدائه لوظائفه المتعددة ، وهو الذى يقوم بكافة الطقوس الاجتماعية ذات الطـابع الديـنى مـثل صـناعة المطر ، وما يتبعها من طقوس خاصة، كما يقوم بالصـلوات والتضرعات من أجل الإضرار بالعدو ، وهو يستعين فى ذلك بأشياء مقدسـة تضـفى عليه صفة دينية وتؤدى إلى احترام الناس له وطاعتهم لأوامره ، ويعـتقد أفـراد القبـيلة أنـه ممثل الإله فى الأرض ، ففى وجوده حمايه لهم من الأضـرار والكوارث ، لذلك فإنهم يحافظون على بقائه بشتى الطرق ، فإذا أدركوا أنه مرض فانهم يخشون موته فجأة حياً ، لينصبوا زعيماً أخر من عشيرته [1]

يقـوم النظام الدينى عند الدينكا على الاعتقاد فى وجود قوى فوق الطبيعة يـأتى على راسها الكائن الأعلى نيالك ، وتعنى فى لغة الدنكا الإله أو الخالق ، كما تعنى مجموعة القوى القدسية أو السماوية وبدرجات متفاوتة يأتى على رأسها دينج ديب وتعنى بلغة الدينكا المطر، ويعتقد الدينكا أن أول من خلق الإله هو دينج وهو صاحب الأرض ومالكها ، كما تأتى القوى الروحية العشائرية Clan Divintites التى تقوم بدور الوسيط بين القوى الإلهية وعالم البشر ودينج هو إله وسلف ، كما أن أويـل لونجـار سلف أخر له أهمية معينة وترتبط أساطير الدينكا بهؤلاء الآلهة وقدسيتهم وقد تأثرت بها آلهة النوير [2]

---

(١) توفيق الحسنى عبده – مرجع سابق ص ٦٣.

(2) **Johnson Douglas H., Nuer prophets, A History of peophecy from the upper Nile in the Nineteents and Twenturies Centuries, Clare Adon press , Oxford, 1997, p. 41.**

وقــد جاءت كلمة نيالك من نيال Nhial وتعنى فوق، وتستخدم بمعان عدة ولكن شقى الكلمة هما السماء sky وفوق above. ولكنها تعنى عند الدينكا الخالق aciek أو الأب Wa.

ويعــتقد الديــنكا أن الخالق له أرواح مختلفة تعرف باسم jok جوك وهى تؤثــر فى كافة المناشط الإنسانية اليومية ، كما تؤثر بالصحة أو المرض ، لذا فهو يؤمنون بها فى تفسير كافة الأحداث التى يتعرضون إليها[١]

وأهــم الأرواح التى يؤمن بها الدينكا هى دينج ديت ، والشخص العادى من الدينكا تقــوم عقــيدته على أساس بسيط هى الارتباط والاتصال بالأرواح تاركاً لها مهمة الاتصال بالعالم السماوى.كذلك يعتقد الدينكا فى وجود قوى روحية ذات طبيعة أدنى أقرب ما تكون بعالم الأرواح الأرضية (السحر).

يعد النظام السياسى لقبيلة الدينكا نظاماً لا مركزياً ، فالقبيلة ككل لم تعرف فى تاريخها السياسى وحدة سياسية أو قيادة مركزية كتلك القيادة الموجودة عند قبيلة الشلك.ويرتبط النظام السياسى ارتباطاً وثيقاً بالمعتقدات الدينية السائدة فى المجتمع ، حيــث يعتــبر "أيــول" وهو جد ومؤسس قبيلتهم وصاحب قدرات وخصائص فوق الطبــيعة ويشــكل أولاد أيــول أى ســلالته المباشرة بين الدينكا قيادة دينية على المســتويات المحلــية ، ويعرف هؤلاء بزعماء الحراب، وهؤلاء الزعماء الدينيون يلعــبون دوراً هامــاً فى الحياة العامة فى وقت الحرب والسلم ، ففى وقت الحرب يتولى هؤلاء الزعماء السلطة الدينية والسياسية [٢]

وبالــرغم من أن مجتمع الدينكا يفتقر إلى نظام تمايز واضح فى المكانة أو الثروة فإن هناك تقسيماً لعشائر الدينكا يلعب فيها النظام الطبقى دوراً هاماً ، حيث تتدرج السلطة فى المجتمع وتعد العائلة هى أصغر وحدة وأكثرها أهمية.

---

(١) Leinhard T. godfery : Divinity and experience "The Religion of the Dinka, the calarondon press oxford 1961, p. 28

(2) عباس أحمد : دينكا أعلى النيل ، النظم الاجتماعية والتغيرات المرافقة للمد العربى ، مرجع سابق ، ص ص ٧٢، ٧٣.

وتنقسم عشائر الدينكا إلى نوعين هما:

١- عشيرة Kic .

٢- عشيرة Bany أو المنديور.

أمـــا Kic وهـــم السواد الأعظم من الدينكا ، أو عامة الشعب ، وهؤلاء لا يمكنهم تولى مناصب الزعامة أو رئاسة الطقوس أو الاحتفالات. أما عشائر Bany أو المـــنديور فتشـــير إلى الصفوة elite أو أحفاد ايويل ، وتنتشر هذه العشائر فى أرض الديـــنكا ، ويخـــتار مـــن المـــنديور زعماء الحراب المقدسة لكل قسم قبلى. والعلاقة بين الكيك والمنديور علاقة غير واضحة ، فهذا التقسيم لا يعطى أى شكل من أشكال التمايز الاجتماعى ــ وتفتقر أهميته فى الاعتقاد بأن زعيم الحربة يجب أن ينـــتمى إلـــى عشائر المنديور[1] ويقوم النظام السياسى لقبيلة الدينكا على نمط الســـلطة المنتشـــرة diffused Authority والـــتى تتقاسمها المجموعات القرابية المتمـــثلة فـــى العشائر والبطون والمجموعات المحلية المختلفة، وهذه المجموعات القرابـــية تعمد إلى التكتل والاعتماد على القوة الذاتية للدفاع عن النفس أو الثأر من الأعـــداء ، وتحســـن الـــنزاعات بين هذه المجموعات إما عن طريق الوساطة أو الحـــرب، وفى كلتا الحالتين يلعب زعيم الحربة دوراً هاما فى حل المنازعات كبار السن فى العشيرة [2] .

وعلـــى الرغم من الدور الدينى الذى يلعبه زعيم الحربة ، إلا أنهم يلعبون دوراً أساسياً هاماً كقيادات كرزمية على حد تعبير ماكس فيبر كرد فعل طبيـــعى لسد الفراغ الكامن فى البيئة السياسية للقبيلة فى أوقات الحرب، لذلك لا توجد لدى الدينكا قيادة سياسية ، فالقيادة السياسية تتولد فقط أثناء الحروب ثم تنتهى بنهايـــة

---

(١) Deng francis Mading, 1971, pp, 8 – 9

(٢) عباس أحمد – مرجع سابق ص ٧٤.

الحــرب أو نهايــة حــياة الزعيم القبيلى ، لذلك فكانت أهم مواصفات القيادة هى الشجاعة والحكمة والثروة بجانب القدرات الروحية الخاصة [١]

ويعطــى الديــنكا أهمية خاصة لمفهوم القيادة واحترام القائد الذى يستحق الزعامة يقارب درجة القداسة الروحية المرتبطة بالمورث السلفى سواء كان حقيقة أو أســطورة ، لذلــك فليس هناك قهر من جانب الزعيم إلا عبر الخوف من القوة الروحية الخارقة[٢]

نظام الزعامة التقليدى عند الدينكا:

يــتخذ النظام السياسى فى مجتمع الدينكا شكل الزعامات ، ويقوم عدد من الــزعماء بمباشــرة وظــائف معينة ، ويختار هؤلاء الزعماء على أساس إنتمائهم العشائرى من أسلاف لهم صفة القداسة والاحترام فى مجتمع الدينكا .

وتتمــثل الزعامة فى الفترة السابقة لحكم الاستعمار البريطانى تاريخاً طويلاً ، يمــتد إلــى الــوراء عــبر تقليد طويل ، وتتسم الفترة بالعلاقات العدائية مع العالم الخــارجى ، حيــث ينظر إلى الغرباء على أنهم أرواح شريرة أو شياطين وترتبط أســاطير الديــنكا بالقصص الأسطورية عن الزعماء ، واعتقاد الدينكا فى دورهم الــروحى الذى يتم من خلال اقتفاء أكثر من عشرة أجيال سابقة ليتصل فى النهاية بالزعماء الأولين الأسطوريين[٣]

ويعتبر زعيم الحربة Spear master هو أهم رجل فى القبيلة ، وهو خير فــى الطقوس وصانع المطر Rain Maker ويطلق عليه بان بث Ban Bith كما أنه خبير فى الأسلحة ، وهو القاضى العادل والفاصل فى الخصومات ، ويرجعون إليه فى كل ما يعن لهم من مشكلات وسلطة لا تتجاوز القرية التى تعيش فيها وإليه ترجع سلامة العشيرة أو البدنة[٤]

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٧٤ .

(٢) فرانسيس دنق – صراع الرؤى – مرجع سابق – ص ١٨٩.

(٣) نفس المرجع السابق – ص ٢٣٦.

(٤) فاروق اسماعيل – الانثروبولوجيا الثقافية – مرجع سابق – ص ١٩٧.

ويلعب زعيم الحرة دوراً سياسياً هاماً فى التنظيم السياسى ، لاسيما إذا كانت عشيرة الزعيم من العشائر المسيطرة فى المجتمع ، ويرأس زعيم الحرية معسكر الماشية الذى يقام فى فصل الجفاف عندما يتحرك الدنيكا ناحية النهر [١]

وسلطة زعيم الحربة هى سلطة وراثية ، لكن ليس من الضرورى أن يرث الإبن الأكبر والده فى هذا المنصب ، إلا إذا تجاوز نصف عمر الزعيم بالإضافة إلى التدريب على إجراءات الطقوس التى كان يمارسها الزعيم قبل موته. ويجب أن تتوافر فى Ban Beth عدة صفات منها أن يكون حسن الخلق معتدل المزاج ضد مبدأ إراقة الدماء أو أى فعل وحشى آخر، كذلك يجب أن يكون الزعيم مسامحاً لا يلجأ إلى العقاب، كما يجب أن تتوافر لدية الحكمة والقدرة على تسوية النزاعات بالعدل والرحمة والقدرة على الإصلاح أكثر من الميل إلى العقاب ، ونظامهم السياسى يقوم على الديمقراطية بكل معانيها حيث يشترك الجميع فى إصدار الحكم وإبداء الملاحظات أثناء انعقاد المحكمة فى القضايا المختلفة.

وقد سمى زعيم الحربة بهذا الأسم ، لأن الحربة تلعب دوراً هاماً ومقدساً فى الاحتفالات الطقوسية مثل احتفالات تكريس طبقات العمر، وتنتقل إلى الحربة روح الزعيم عند موته حتى يأخذها زعيم آخر فتحل الصفة المقدسة فى الزعيم الجديد والتى استمدت من روح نيكانج وهذه الروح هى التى تمنحه القوة والحكمة.

ولقد أعطى Berdi[٢] نظاماً للزعامة عند الدينكا يتمتع نقوى روحية كبيرة تفوق زعم الحربة ،فحينما يتمتع أحد الزعماء من عشيرة المنديور بالاحترام الكبيرى ويشهد له الجميع بأخلاقه فإنه يسمى بزعيم السماء Ban Nial وتكون توليته للسلطة مثل زعيم الحرية بالإضافة إلى أنه يحمل على الأكتاف ممثلاً لدور رجل ميت ، ويجرى به كبار السن وهم يغنون ، وعندما يقضون به يقفز وقد عادت له الحياة ، وفى ذلك يعد رمزية متضمنه فى يقظته الزعيم بعد غفلته وكأن روح الإله قد عادت فى هذا الخلف الجديد.

---

(1) Butt, A., Op – cit, p 123.

(2) Butt I., More Nore Notes on the pading Drink , Sudan Notes & Records Vol . 29 1948, p. 46.

واجبات زعيم الحربة :

يتولى زعيم الحربة باعتباره زعيماً دينياً ودنيوياً عدة مهام لها جانبها الروحى والقيادى فى القبيلة وتتمثل هذه المسئوليات فى الآتى:

١- أول المهام الأساسية أن زعيم الحرية عند الدينكا الشماليين يكون مسئولاً عن تكريس كل الأولاد فى القبيلة عندما يصلون إلى سن البلوغ ، ويستعرضون أمامه فى ملابسهم الحربية، ولا يقوم زعيم الحرية بتعليم هؤلاء الشباب أى شيء عن الدين ولكنه يعلمهم فقط القواعد والأخلاقيات التى يسير عليها المجتمع.

٢- يحمل زعيم الحربة على عاتقه الطقوس المختلفة وتقديم القرابين لإرضاء الأرواح وكذلك إجراءه الطقوس الخاصة لمكافحة الأمراض [١]

٣- يتولى زعم الحربة دوراً قيادياً فى احتفالات السلام، والمساعدة فى حل الخلافات بين المتخاصمين ، وتسليم الدية فى حالة القتل Blood Cattle وفى ذلك يقوم بنفس الدور الذى يقوم به الزعيم ذو جلد الفهد عند النوير Leopard Skin chief –، ويقود زعيم الحرية كبار السن فى كل قسم قبلى فى عملية تسليم الدية [٢] أى أن حياة الدينكا تتشكل بالطريقة التى منحها الإله الخالق لهم، وأن زعماء الحربة يتدخلون دائماً فى حالات النزاع لإيقاف القتال والسعى إلىفض النزاع دون سفك الدماء وهذه هى الطريقة التى أرادها الإله منذ القدم عندما خلق الإنسان ، وكانت قوة الكلمات هى طريقة الحياة مع الزعماء العظام[٣] لا يسمح لزعيم الحربة بالإشتراك فى القتال بين الأشخاص ، بل يقود المحاربين الذين يدافعون عن وطنهم خارج القرية، كذلك يبارك الزعيم هؤلاء المحاربين بالاعتزال فى كوخه للإضرار بالعدو عن طريق الصلوات

---

(1) Butt, Audrey, the Nilotes of Anglo of Anglo Egyption Sudan and Uganda , op – cit. 124.
(2) Ibid, p. 125.

(3) فرانسيس دينق : صراع الرؤى ، مرجع سابق ، ص ١٨٦.

٤- واســتخدام قوتــه، وهذه الصلوات تقدم إلى نيالك Nyalich أو إلى سلفه العظيم Wa dit وتتأكد هذه الصلوات بتقديم الأضحيات أو القرابين[١]

ويعــتقد الديــنكا الشماليون أن هؤلاء الزعماء يملكون القوة على قتل أى شخص خارج قسمة القبلى مستخدماً فى ذلك وظيفته كصانع للمطر واستخدم رمحه المقدس، ويقوم زعيم الحرية أيضاً بأنواع مختلفة من النشاطات مثل رعاية البذور عــند بداية السنة الزراعية ، كذلك يقوم بالصلوات لعلاج المرض والحاق الضرر بــالأعــــداء . وهــو يفعــل ذلك بتوجيه حربته المقدسة لأى شخص يريد إلحاق الضــرر بــه. ويعهد إلى زعيم الحربة أشياء مقدسة أخرى تتضمن حبات الخرز المقدســة والمصــنوعة من بيض النعام والتى تهدى إلى Ban Bith عند توليه ، وهذه تمثل الحياة لدى كل أعضاء القسم القبلى الذى يحكمه.

كذلك يرتبط الحربة بوظيفة زعيم الحرية، المقدسة ويعتقد دينكا الشمال أنها مرتــبطة بأســطورة أيوويــل لونجار، لكن مع تفرق أقسام القبيلة تعددت الحراب ويمكــن تحويــل أي حربة عادية إلى حربة مقدسة Tong de Yai بموافقة كبير عشــيرة المنديور[2] كما يرتبط بزعيم الحربة زعامة الرابطة المقدسة وهي عبارة عــن مجموعــة من الفؤوس الصغيرة ذات مقابض لامعة توضع أمام كوخ كبير عشــيرة المــنديور وهــذه الرابطة تقى المجتمع من شر الحيوانات المتوحشة أو الأعداء[٣]

الزعامات الرسمية الأخرى الدينكا:

بالإضــافة إلى سلطة زعيم الحرية المقدسة هناك زعامات أخرى أقل من أهميتها تتمثل فى الآتى:

١- Ban Wut ويــتولى البان ووت زعامة الماشية ، وقائد للحرب ، ويكون مسئولا عن إعطاء الأوامر وحماية ماشية القبيلة أثناء الحرب.

---

(1) Butt, A., op – cit ., p 125 .
(2)Ibid, P.125.
(3) Ibid, P.125.

٢-Ban de rap : ويكــون على دراية بالطقوس السحرية ضد الطيور الصغيرة التى تهاجم المحاصيل الزراعية.

٣- Ban de rac: وهو خبير فى عمليات صيد السمك[١]

وهناك أربع طبقات على الأقل وهى الطبقات المميزة لدى الدينكا التى تلعب دوراً دينياً وسياسياً كبيراً فى المجتمع وتتمثل هذه الطبقات فى المعالجين Healers ، حيــث يخــتص كلا منهم بعلاج الإنسان والحيوان ويطلق على المعالجين Atet وتعــنى الخبير أو المختص وهم يمتلكون مهارات خاصة فى فنون العلاج وخاصة الجروح والكسور والجراحات البسيطة ، وهناك طبقة من Atet تتدرب على العناية بالماعز والماشية.

وتخــتلف المهارات بين المعالجين وفقاً لمعرفة طرق التشريح والأمراض المعديـــة فى المجتمع [٢] وقد يعطى Atet إرشادات خاصة بماشية مفقودة وبعض الحوادث اليومية ، وعند عدم الإنجاب يمكن إرجاع ذلك لعدم رضاء الجواك فإذا لم يعرف الزوج سبب ضعفه فيشار Atet [٣]

نظام طبقات العمر Age – sests system:

يعــد نظـــام طبقات العمر بمثابة عملية للتكاثر أو التوالد أو الأنقسام القبلى عـــبر الزمن ، وهى تمثل إحدى خواص أو ملامح البناء القبلى الدنكاوى ، فانقسام القبيلة يمكن إدراكه من خلال ظهور طبقات عمرية جديدة باستمرار ، وهذا النظام يضـــع الأفراد فى دوائر أو فئات تسودها الألفة والمودة والمساواة حيث يشتركون فـــى قـــيم جمالية وحربية ،ويضعف دور الأسرة ويقل الصراع الطبقى مما يساعد على حفظ النسق [٤]

---

(2) Ibid, P.125 .
(3) Calvin W. Schwabe and Isaac Makuet Kuojok pratice and beliefs of the traditional DrinkHealer in relation to provision of Modern Medicsl and Vitrinary services for the southern sudan, Human organization, Vol. 40, N. 3. 1981. p. 232.

(٣) توفيق الحسينى عبده: مرجع سابق ، ص ٦٩.

(٤) فاروق إسماعيل : الأنثروبولوجيا الثقافية ، مرجع سابق ، ص ١٩٨.

ونظام طبقات العمر هو نوع من شعائر المرور Rite de passage حيث إن إجتــياز شــعائر الــتكريس يعنى الدخول فى طبقة عمرية جديدة والبلوغ مبلغ الــرجال أى أنها الحد الفاصل بين سن الطفولة والدخول فى سن البلوغ (الأنوثة– الرجولة)[(١)]

ويعتــبر إســتخدام المجموعات العمرية والروح القتالية للمجموعات بمثابة استمرارية ثقافية فنشاطات الجماعات العمرية كانت ضمن الأليات الهامة في النظام السياسي التقليدي لكن هذه النشاطات ومعظم الوسائل التقليدية الأخري، لم تعد تعمل أو تؤدي وظيفة هامة وسط الشباب في النظام الحديث [(٢)]

وتمــر مراحل العمر عند الدنيكا في ثلاث طبقات متمايزة، تمثل كل طبقة منها مرحلة معينة من مراحل العمر، وهي بمثابة عمليات التنشئة الاجتماعية التي يمــر بها الفرد منذ الطفولة ، وحتى يصبح عضواً عاملاً في المجتمع، وأقدم طبقة اجتازت شعائر التكريس هى أرقى الطبقات الاجتماعية وأكثرها أهمية فى حين أن أخر المجموعات مروراً بهذه الشعائر لدخول الطبقة العمرية أصبحوا أحراراً يحق لهم المشاركة فى استعراض الثيران وفى الرقصات الجماعية والاقتراب من الفتيات فضلاً عن أن الجماعة القرابية تعول عليهم فى الحرب وفى الدفاع عنها.

يعطــى المجــتمع الدنكاوى أهمية بالغة للتمايز العمرى ، حيث يعد الأفراد ومــنذ الطفولــة لاجتياز مراحل متباينة تمثل كل منها طبقة عمرية، فمنذ سنوات الطفــل الأولى يحرص الآباء على استثارتهم واشتراكهم فى مشاجرات مع الأفراد مــن خلال خلافات مفتعلة ، وهذه المشاجرات تستهدف تدريب الأطفال على القتال أو المصــارعة فــى سن مبكرة ، فضلاً على أنها تعمل على تقوية روح التضامن والولاء للجماعة القرابية، ويصبح معيار الشجاعة هى المحدد الأكثر كفاءة [(٣)]

---

(1) **Jok Madutn Jok: Op- cit ., P . 148 .**

(٢) فرنسيس دنيق: مشكلة الهوية فى السودان ، مرجع سابق ص ١١٥.

(٣) فاروق إسماعيل : الأنثروبولوجيا الثقافية ، مرجع سابق ذكره، ص ١٩٩.

ويتم تكريس طبقات العمر عند الدنكا على ثلاث مراحل أساسية هى:

أولاً: المرحلة الأولى:

مرحلة الطفولة حتى سن السابعة وفى هذه المرحلة يمر الذكر بعملية الختان. ولا يستثنى منها الأبله أو المريض وتلك العملية من الأهمية فإذا لم يختن الطفل تعرض للنقد الاجتماعى والسخرية (١)، وفى هذه المرحلة يتبع صغار الصبية كبارهم فى العناية بالماشية ، ويقوم الصبية الكبار بتعليم الصغار حلب الماشية والماعز ، وعندما يبلغون سن الثامنة يرافقون أباءهم فى رحلاتهم إلى النهر لصيد السمك ، أما الفتيات فيتعلمن أعمال المنزل بواسطة الأمهات ، ولا يؤدين أعمال تتعلق بالماشية(٢)

ثانياً: المرحلة الثانية:

حيث يصل الأولاد إلى سن البلوغ عند الثالثة عشر، ويتم تميزهم بجرح قطعى فى الجبهة ، وبذلك يستطيع الأولاد فى نفس المرحلة العمرية أن يشاركوا بعضهم البعض فى اللهو ، ويصحب ذلك عدداً من الاحتفالات والمشاجرات باستخدام سيقان السرغوم ، وهذه العملية تعد تكريساً مبدئياً قبل الدخول فى التكريس الحقيقى وأهم ما يميز مظهر الدنكاوى فى هذه المرحلة العمرية هى نزع بعض قواطع الأسنان (٣)

ثالثاً: المرحلة الثالثة :

وهى مرحلة التكريس الرسمى أو الحقيقى وتبدأ فى سن ١٤ سنة وحتى ١٨ سنة، وفيها تقام حفلات التكريس ، ويبدو هنا دور الزعيم المقدس فى هذه العملية ، حيث يقوم بتكريس الإناث والذكور فى القبيلة عندما يصلون إلى المرحلة العمرية التى تؤهلهم لذلك، وبذلك يكون هؤلاء طبقة عمرية واحدة لها علاماتها المميزة من خلال التشليخ الذى يختلف بين كل قبيلة من قبائل الدنكا(٤)

---

(١) نفس المرجع السابق – ص ١٩٩ .

(٢) توفيق الحسينى عبده: الحياة الاجتماعية لقبيلة الدنيكا، دراسة أنثروبولوجية اجتماعية ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، كلية الأداب ، جامعة القاهرة، ١٩٦٥، ص

(3) Jok Madut Jok: op, cit ., p. 148.

(4) Butt, A., The Nilotics of Anglo Egyption sudan and water 100 place London 1962., p. 126.

وعندما يصبح الأولاد رجالاً لا يطلق عليهم "أبو كراك بوك" ويعنى ذلك التوقف عن حلب الماشية ، وأصبح دورهم عمل حبال البهائم ، وأحياناً تنظيف حظيرة الماشية ، أما حلب الأبقار يعد من المحرمات على الرجال ، وإذا اضطر الدنكاوى فى هذه الفئة العمرية لحلب الماشية فى غياب البنات والأولاد فإنه لا يتذوق هذا اللبن ، وتناديه الفتيات باسم الثور المحبب له[1]

ويبدأ الاحتفال بدخول الطبقة العمرية بعزلة الأولاد بعيداً عن جماعتهم القرابية وهذه العزلة تعتبر بمثابة تدريب على تحمل أعباء الحياة والتدريب على الدفاع عن النفس، وفي نهاية الشهر بعد موسم الجفاف يرجع الشباب إلى القرية حيث تقام وليمة كبيرة ، ويعطى لكل ابن ثور يصبح صديقاً له وتناديه الفتيات باسم ثوره، كما يعطى الفتى قارباً وحربة ورمحا لصيد فرس النهر ، ويكون الشباب قد اختاروا أثناء عزلتهم زعيماً من بينهم يتقلد رئاسة طبقة العمر ، وبعد هذه الفترة يمكن للشباب مراقصة الفتيات ومغازلتهن واختيار زوجات المستقبل، وعندئذ يتطلع كل فتى إلى أن يكون عضواً عاملاً فى العشيرة[2] ولا يمضى وقت طويل حتى تدخل طبقة العمر فى مشاجرات مع طبقات العمر الأعلى وتعرف باسم Bioc ويعتبر ذلك بمثابة تدريب على القتال قبل تولى دورهم كمحاربين أى أنه بمثابة تعبير عن التنافس بين الأجيال[3] .

ولكل طبقة عمرية جديدة راع أو أب وعادة ما يكون أحد الأفراد الذين يتمتعون بمكانة عالية فى البدنة، وهو الذى جمعها الاسم التقليدى ويستمد من أسماء الثيران التى تستخدم فى شعائر التكريس ، وقد تسمى الطبقة العمرية بالإشارة إلى النحل أو النسر الأعظم أو البقرة أو التمساح ، وقد يمتنع الأب عن الإذن باجتياز

---

(1) Jok Madut Jok: op, cit, p. 148.

(٢) توفيق الحسينى عبده: مرجع سابق ص .

(٣) فاروق إسماعيل : مرجع سابق ص ٢٠١.

العشيرة لوجود وباء أو ضعف إنتاجية الأرض أو عدم توفر الأسماك فى البحار أو الخيران أو المستنقعات حيث يعتبر السمك الغذاء الرئيسى للشباب خلال ممارسة الشعائر التى يحرم أثناؤه اللبن ومنتجاته[١]

ولنظام طبقات العمر عند الدنكا أهمية عسكرية حيث أنه يوحد الشباب فى نفس المرحلة العمرية ويقربهم ، وهذا يترك عندهم ذكريات للأيام الصعبة التى قضوها معاً ، كذلك يجعلهم أكثر قدرة على الدفاع عن أنفسهم وبذلك يصبحون قوة كبيرة يمكن الاعتماد عليها ضد الغارات التى تشنها القبائل الأخرى المجاورة [٢]

ويمكن إرجاع أسباب العنف داخل قبيلة الدنكا لتوزيع المهام والأدوار بين الأجيال والشعور بالعزلة لدى الأعضاء والشباب من مجموعة المقاتلين المكتسب من وضعهم كمقاتلين ومدافعين عن مجتمعهم ضد أى عدو، وقد اكتسبوا هذا الوضع المميز نتيجة تدريبهم منذ الصغر على فنون الحرب والرعى وممارسة الألعاب والرياضة البدنية ويجد هؤلاء الشباب التشجيع من الكبار الذين ينظرون إليهم بإكبار وإعجاب.

ولتحقيق دورهم المميز يبالغ المحاربون الشبان فى عدوانيتهم وفى استعدادهم للحرب والقتال – لدرجة قد يؤدى فيها أقل استفزاز – كالتعدى على حدود منطقة الرعى أو مصادر المياه أو حتى لآى سبب أخر بسيط مثال ترديد أغنية مسيئة من الخصم – إلى اندلاع نزاعات دموية ، وحينما تندلع الحروب والصراعات القبلية ، يشارك كل أعضاء القبيلة من الرجال القادرين على القتال وتساندهم النساء فى ذلك والجنود المثاليون فى قبيلة الدنكا هم من بلغوا السن التى تؤهلهم ليكونوا ملمين بفنون الحرب والإنجاب أى ما زالوا شباباً قادرين على الحرب وتحمل تبعاته والدفاع عن القبيلة، ومع هذا فإن الشباب ممن تم تدريبهم حديثاً ولم يتزوجوا بعد، أو حديثو العهد بالزواج يكونون شغوفين لإظهار رجولتهم [٣].

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٢٠١

(٢)Seligman C. G, pagan Tribes of Nilotic sudan , Rout Ledge , London, 1932 , p. 171.

(٣) فرانسيس دينق : صرار الرؤى ، نزاع الهويات فى السودان، مرجع سابق ص ١٨٥.

وبتحلــيل نظام طبقات العمر عند الدنكا يعد هذا النظام نظاماً سياسياً وعسكرياً فى المقام الأول ، حيث يقوم الزعيم الدينى والدينوى (زعيم الحربة المقدسة) بتكريس الشــباب فــى الطبقة العمرية ومباركتها ، كذلك تدريب الشباب على فنون الحرب والقــتال وهذا يعطى للقبيلة وضعاً مميزاً بين سائر القبائل ورغم أن الزعماء عند الدنكــا دعاة سلام وليسوا دعاة حرب أو إغارة وهذه من الصفات التى يجب على الزعيم التحلى بها حتى يتولى الزعامة ويتم تنصيبه ، إلا أن القادة الذين يخططون ويوجهون المعارك من بين الكبار والأكثر مسئولية فى إدارة الحرب وهم ينحدرون فــى الغالب من عشائر تحظى بالنفوذ الروحى المقدس، ومن خلال مشاركتهم فى مــباركة الجماعة العمرية يعكسون مهاراتهم الحربية ولا يأتى دور الزعماء كدعاة سلام إلا فى مراحل متأخرة تكون الجماعات العمرية قد بدأت دوراً فعالاً فى الدفاع وإظهار القوة السياسية والعسكرية للقبيلة.

كذلــك يقــوم نظام طبقات العمر بدور اجتماعى هام فتقسيم الأعضاء إلى طبقات عمرية متميزة يسود بينها التفاهم والرؤى المشتركة خلال معسكرات العزلة ، ومن ثم تقوم بين هؤلاء الشباب علاقات اجتماعية كبيرة ونظام للتحريم لا يتمكن بمقتضاه أى منهم الزواج بابنه الآخر لأنها قد أصبحت ابنه له، وعلى الرغم من أن الفتــيات يقعــن تحت هذا التقسيم العمرى ، لكن نشاطاتهم غير واضحة بالمقارنة بالذكور الذين يعتبرون انفسهم تنظيمات سياسية وعسكرية[١]

صناعــة المــطر Rain Making:

تعــد صــناعة المطــر من أهم الوظائف التى يقوم بها البان بث أو زعيم الحربة، لذلك يحرص الدنكاوى على تقديم القرابين من أجل سقوط المطر، وعملية صناعة المطر لها طقوس خاصة يقوم بها البان بث فى فترات الجفاف الشديد والتى يــتعرض لهــا إقليم الدنكا ، أيضاً مع بداية فصل المطر ، حيث يطلب من صانع المطر التوسل إلى روح جوك المسماه "ليربيو" Lerpio لإسقاط المطر، و أحيانــاً

(١) فرانسيس دينق: المرجع سابق ص ١٨٥.

يـــرفض صانع المطر ذلك متعللا بأن ليربيو تسمعه وبذلك يطالب بتقديم القرابين والأضحية ممثلة فى ثور يبتهل به إلى الروح لتنزل المطر.

ويقوم صانع المطر Rain Making بهذه الإجراءات داخل مكان المطر أو الكهف المخصص لذلك ، وبجانبه كهف آخر ويعتقد أن روح جوك (ليربيو) يقيم فـــيه إقامـــة دائمـــة وبداخل الكوخ الثانى توجد الحربة المقدسة مستندة على عمود يعـــرف بـــ Rit ، وتعلق عليه قرون الثيران المضحى بها من أجل ليربيو وخلف الكـــوخ توجد شجرة تسمى Akok لا يجوز قطعها أو إتلافها ، وهذه الشجرة تعد أقـــل أجزاء الكوخ المقدس قيمة ، لكن وجودها ضرورى لأن الروح تترك الكوخ وتأتى إليها أثناء الاحتفال بصناعة المطر [١]

ويـــبدأ الاحتفال بالمطر بتقديم القرابين إلى الروح ليربيو لإقناعها بالتوسط لدى الإله دينج ديت Deng Dit لارسال المطر، ويكون ذلك فى شهر ابريل تقريباً ، وفى الصباح يرسل ثورين ويتركان حول الكوخ ويقوم صانع المطر بربطهما فى الـــ Kit ، ويقـــوم الرجال والنساء والأولاد بالرقص على أنغام الطبول، والغناء حـــول الكوخ متوسلين إلى الروح لإنزال المطر ، ثم يتوقفون بعد ذلك عن الغناء والـــرقص[٢] وينـــتظر أعضاء القبيلة حتى يتبول الثوران ، ومن يستطيع الاقتراب منها بدلك جسده بالبول.

وينصـــرف كـــل أعضاء القبيلة فيما عدا كبار السن ، ويقوم صانع المطر بذبح الثورين مستخدماً حربته المقدسة، ثم يجمع الدم فى وعاء ويوضع على النار ، ثم يقوم كبار السن وزعماء العشائر بأكل لحم أحد الثورين فى نفس اليوم ثـــم

---

(١) Seligman, C. G, op – cit, p. 198
(2) Ibid, p. 199.

يطهى الثور الآخر فى إناء ومعه الدهون لكى يوضع فى كوخ ليربيو ، وتعتقد الدنكا أنها لا تفسد إلا إذا أكلتها الحشرات أو الفئران ، وتعلق قرون الثورين على العمود Rit (١) وقد يلجأ الدنكا إلى إلبان دى دينج Ban de Deng وهو أقل مكانة من ألبان ديث صانع المطر ، ولا يحمل روح عظيمة مثل البان ديث ويطلق عليه زعيم المطر. ويخص زعيم المطر "البان دى دينج" بمباركة آلات الزراعة ومساعدة البان بث فى احتفالات صناعة المطر .

ويقوم زعيم المطر بممارسة بعض الطقوس السحرية التقليدية فى الكوخ الخاص به ، ويقوم بإحضار ماء فى إناء من أقرب مجرى مائى ويعلقها فى كوخه بعد ثقبه من أسفل حتى ينزل الماء على الأرض ، ثم يذهب إلى الكوخ ويغلق الباب ويضع رأسه أسفل الإناء ، ويردد الابتهالات التى تحميه من المطر(٢)

ويعتقد الدنكا أنه بعد هذا الإجراء تتجمع السحب ويسقط المطر، وإذا لم يحدث ذلك يقوم البان دى دينج بتقديم القرابين وذبح ماعز أو شاه أو ثور بعد أن يسكب الماء على ظهره، ويتضرع إلى نبالك لإسقاط المطر ، ثم يقذف بالماء فى الهواء حتى ينزل المطر ، كذلك يمكنه إيقاف المطر بالتوسل إلى نيالك ويقوم بدفن الإناء فى حفرة ويتوقف المطر.

الإجراءات القانونية Traditional Legal procedure:

يمتلك كل مجتمع مجموعة من القواعد تسمى قانوناً وقواعد يطلق عليها أعرافاً ، وكلاهما قضايا تتعلق بمعرفة كيف يتوقع الناس تجاه بعضهم البعض ،

ويرتكز القانون فى المجتمعات الأفريقية على جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة ، حيث تلعب الروابط القرابية Kinship وكذلك الملكية property دوراً

---

(1)Ibid, p. 199.
(2)Butt, A., op – cit., p. 130.

هامـــاً فى القانون باعتبارها التزامات تعاقدية contractual obligation تشكل الحياة الاجتماعية [١].

يساوى مجتمع الدنكا بين الأفراد فى الحقوق والواجبات ، ولذلك فالكل أمام القـــانون سواء ، ويقوم زعماء الحراب بتطبيق القانون فى كل قسم قبلى ويعاونهم فـــى ذلـــك كـــبار السن ، لما يتمتعون به من القدرة على الوساطة والتحكم وفض المنازعات ودرايتهم بوسائل فض المنازعات. وما يتطلبه الموقف من آراء ومن ثم يتمتع هؤلاء الزعماء بالسلطة والتأثير وحق اتخاذ القرارات ، ومرد ذلك إلى الاحترام والسيادة التى يتمتع بها القادة لأنه بمثابة أب العشيرة أو البدنة [٢]

ويسود عند الدنكا نظام المحاكم ، فلكل زعيم قبلى محكمة خاضعة له تمثل تســـعة أفرع ومن ثم يشمل أرض الدنكا تسعة محاكم هى محكمة لوياك – Ajak Lugic–Kwale ومحكمة أجاك ومحكمة Kwek ومحكمة Ador ومحكمة جوك ومحكمـــة علياب ومحكمة Akot[٣]، وتأخذ المحاكم عند الدنكا شكلاً خاصاً ، حيث تـــتخذ المحاكمـــة شكل مناقشة لتقدير قيمة الضرر الذى لحق بالشخص ، ولا يلجأ الدنكـــا إلى السجن أو الإعدام ، أى أنه ليس لديهم نظاماً عقابياً شديداً ، لكن العقاب يـــأخذ شـــكل تعويـــض يدفـــع بالماشية أو الماعز ، ويختلف مقدار التعويض تبعاً للأحوال الاقصادية والاجتماعية لكل من الجانى والمجنى عليه [٤]

---

(1) Rouland Norbert, Legal Anthropology , Translated by philipe G. planel the Athlone press, London 1994, p. 18.

(٢) فاروق مصطفى: مرجع سابق ، ص ٢٣٥.

(3) Johnson Douglas the upper Nile province A Report on people government in the southern sudan , British Academy , Oxford, 1995, p. 524.

(٤) فاروق إسماعيل: مرجع سابق ، ص ٢٣٥.

ويلعب حلف اليمين دوراً هاماً بل وسمه مميزة فى كثير من المجتمعات الأفريقية ، ويعتمد عليه فى الفصل فى المنازعات التى تتعلق بالقضايا المجهولة كالقتل والسرقة وإدعاء ملكية الغير والاغتصاب [1].

واليمين عند الدنكا نوع من اليمين الملزمة ، حيث يذهب الراغب فى أداء اليمين إلى الحداد ويلعق مطرقته قائلاً " إذا فعلت كذا سوف ألقلى حتفى" وقد يلعق بعض قبائل الدنكا أسورة حديدية ، أو يتم أداء اليمين بالقفز فوق رمح مخاطبن" دينج ديث"[2].

ويدفع التعويض عند الدنكا فى الحالات الآتية :

١ – حالات القتل:

يحاول كل من الجانى والمجنى عليه تسوية النزاع بينهما عن طريق وسلطة زعماء الحراب ومحاولة التقريب بين المتنازعين ، ويساعد زعماء الحراب فى ذلك كبار السن من عشيرة المنديور ، وقد يستغرق ذلك عدة أيام ، وعند الاتفاق على التسوية بين المتنازعيين ، يسلم ما يشبه التعويض بعد لمسها بآلة خشبية ، ثم يشعل النار ، ويذبح ثور من ماشية التعويض ، ويقسم الثور إلى نصفين ، ويقدم لكل فريق نصف مطهى ثم يتبادل الطرفان الطعام معا، وبذلك ينتهى العداء بينهما.

وقد يأخذ التعويض شكلاً آخر يتمثل فى تسليم فتاة إلى عائلة المجنى عليه، وذلك فى حالات التجاور بين الأطراف المتنازعة ، وتنتهى الخصومة بذبح ثور يقدم مع الفتاة ويقسم نصفين وتعود الفتاة مع عائلة القتيل وتتزوج أحد اقاربه وينتسب الأطفال من هذا الزوج إلى القتيل[3] وبذلك تعد روابط المصاهرة هنا أحد الأسباب لإنهاء العداء بين الجماعتين لارتباطهما معا بروابط النسب.

---

(١) محمد عبده محجوب : أنثروبولوجيا المجتمعات البدوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، أسكندرية ١٩٧٦ ، ص ٢٣٧.

(٢) فاروق إسماعيل مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

(3) Berdi, op – cit. p. 49 .

وقد تتطلب الجرائم الكبيرة مثل جرائم القتل نوعاً من قرابين الطهارة شأنهم فى ذلك شـــأن الكثـــير من الجماعات القبلية ، فإذا أمكن الكشف عن شخصية الجانى فإن الأمر يعـــرض علـــى الزعيم ، وفى أحوال أخرى يلجأ الجانى إلى بيت الزعيم للاحتماء به خوفـــاً مـــن أقـــارب المجنى عليه ، لذا لا يستطيعون النيل منه طالما كان فى حماية الزعيم[١].

ويتولى زعماء الحربة السعى بين أطراف النزاع من خلال دفع التعويض أو الدية والتى تقدر بحوالى ٣٠ بقرة.

والديـــة هـــى المقـــابل النقدى أو العينى الذى يدفع فى مقابل التنازل عن حق الثأر أو العداوة والقبول بتسوية سليمة لمنازعات القتل أو فى حالات الاعتداء البدنى التى تؤدى إلى إلحاق العجز الكلى بأعضاء الجسم[٢].

٢- جرائم الزنـــا :

يتمـــتع مجـــتمع الدنكـــا بالحرية الكاملة بين الاناث والذكور لذا فالعلاقات الجنسية خارج الزواج أمر غير مسموح به ، وقد يؤدى إلى نتائج سيئة للغاية ممثلة فى ‘حـــداث ضرراً بالغاً بالأشخاص الذين يرتكبونه ، مثل الاصابة بالأمراض الجلدية أو المـــوت أو العقم ، والزنا سبباً فى الطلاق لكن ينفذ فيه ما تسمى بشعائر الانفصال بين طرفى العلاقة حتى يقضون على أثره.

وتقضى شعائر الانفصال باستخدام أحد الثيران أو الأبقار لتحرير الآثمين من نتائج فعلـــتهما، ويقـــوم زعيم الحربة بالتوسل من أجل الغفران ، ويقف المذنبان بالقرب من بركة مليئة بالأمطار فى حضور الأقارب ، وبدفعان إلى البركة للإغتسال ، كذلك تدفع البقرة إلى البركة وتغمر عدة مرات بالمياه ويعتقدون أن ذلك يطهرهم[٣].

---

(1) Berdi, op – cit. p. 49

(٢) محمد عبدة محجوب – انثروبولوجيا المجتمعات البدوية – مرجع سابق ص ٢٣٩ .

(٣) فاروق إسماعيل – مرجع سابق – ص ٢٣٢

٣- جرائم الاغتصاب:

هـــى مـــن الجــرائم الــتى تدفع فيها تعويضات لوالد الفتاة غير المتزوجة والــتعويض فى جرائم الاغتصاب يساوى التعويض فى جرائم القتل أى حوالى ٣٠ بقرة إذا ماتت الفتاة قبل ولادة الطفل نتيجة الاغتصاب. أما إذا تم زواج المذنبين ، فـــإن المهر يعتبر تعويضاً لوالد الفتاة عن جريمة الاغتصاب ويختلف عندما تكون المرأة المغتصبة متزوجة، حيث يدفع التعويض إلى الزوج(١).

وعلـــى الـــرغم من المكانة الكبيرة التى يتمتع بها زعماء الحراب المقدسة ســـواء مـــن الناحية الدينية أو الناحية السياسية ، كذلك المكانة التى يتمتع بها كبار الســـن لا سيما فى عشيرة المنديور فإن الكثير من أعضاء مجتمع الدنكا يرفضون الأحكام التى يقرها الزعماء ، وهذا لا يقلل من دور القادة الدينيين وكبار السن فى تحقيق التوافق بين الأنماط السلوكية والمعاييرؤ السائدة فى المجتمع.

التغير فى النسق السياسى عند الدنكا :

* الــنظام السياسى التقليدى للدنكا نظام لا مركزى يقوم على نمط السلطة المنتشرة التى تتقاسمها المجموعات القرابية وقيادته المختلفة.

ولقــد تغــيرت مفاهيم الدنكا عن السلطة والقانون تغيراً واضحاً ، وقد حــدث التغــير الأول فى القرن ١٩ أثناء الحكم المصرى التركى وظهور المهدية كحركة معادية للأتراك وكحلف ضد عدو مشترك ، ويعد تجاوب الدنكا مع المهدى مــثالاً جيداً للطريقة التى كان يميل إليها الدنكا فى تبنى واستيعاب العناصر العربية داخــل إطــار ثقافــتهم وكانوا يعتقدون أن المهدى ظهر لتحرير سكان البلاد من الاضــطهاد الأجنــبى وقد صور الدنكا المهدى بأنه يمثل روح دينج المطر والبرق وهما دليلاً القدرة الألهية

---

(1) Seligman , op – cit. p. 127.

وعــرف باســم (ابن دينج) والتغير الثانى كنتيجة للاستعمار المصرى الانجلــيزى ، وهذه التغيرات لم تكن تغيرات طبيعية أى نابعة من المجتمع نفسه ، فلقد ظهر بعض الزعماء نتيجة الاضطرابات كذلك شكلت القيادة فى بعض العائلات نتيجة للحرب أو السلام(١).

فتقليدياً شكل النظام السياسى من خلال البدنة ، وكل جماعة تعتبر وحدة حــيوية ، ويدور النظام السياسى والسلطة حول الحاكم الأعلى parmount chief والــزعماء المساعــدين له وكبـــار السن ، والقيادة السياسية محددة ومشكلة من خلال النظام الدينى(٢).

ويعتــبر الزعيم عند الدنكا أبا يوحد كل أعضاء مجتمعه فيما بينهم مع أسلافهم ويتمثل ذلك فى شعائر تنصيبه ، والذى يختاره المجتمع باعتباره رمزاً ومع ذلك فهناك نزاع حول السلطة داخل العائلات البوليجاينية وهذه النزاعات أكثر حدة بيــن العشائر المسيطرة أى التى يتمتع بمكانة اقتصادية ودينية كبيرة فى المجتمع ، وقد يكون الصراع بين الأب والابن أو بين الأخوة(٣).

وقــد حاولت الحكومات المتعاقبة فى حكم الدنكا بناء نظام سياسى مركزى عــن طريق خلق قيادة سياسية محلية من خلال الرتب والسلطات التى أضفتها على القــيادة القبلية من عمد ومشايخ وهى مسميات للسلطة عند العرب الشماليين ، ومع ذلــك ظــل الــنظام السياسى للدينكا فى جوهرة نظاماً لا مركزياً كما ظلت القيادة السياســية قيادة غير مستقرة ، حتى جاء المد الغربى فى أعالى النيل الذى أدى إلى تكــريس وتدعــيم واســتقرار الســلطة فى أيدى القيادة القبلية السياسية وكان ذلك للأسباب الآتية:

---

(١) **فرنسيس دنيق – صراع الرؤى مرجع سابق – ص ٧٤.**

(2) Deng francis mading : the Dinka : the Dinka of the Sudan < Rinhart and Winston New York , 1972. p. 110

(3) Deng , F.M., Ibid, P . 112 .

أولاً: تقلــص دائرة التضامن والتعاون بين المجموعات القرابية نتيجة للنظام الاقتصادى الحديث القائم على الفردية والمسئولية الذاتية على خلاف النظام الاقتصادى التقليدى الذى يقوم على التضامن القرابى، ومع افتقار المجموعات القرابية الرأسية للتضامن والتماسك وقلل ذلك من دورها السياسى وفى المقابل زاد من أهمية القيادة السياسية القبلية وأدى إلى تدعيم سلطتها ونفوذها[1].

وهــناك أمــثلة تعزز اختفاء التضامن بين الوحدات القرابية واختفاء الدور التقليدى للزعماء الدينيين والسياسيين فى المجتمع وظهور سلطات جديدة لم تكن موجودة من قبل.

وفى عام ١٩٧٠ حدثت جريمة قتل فى أحد فروع الدينكا وكان القتيل من فرع أتيت كلاهمــا ينتمــيان إلى عشيرة باردم ، ولم تتحرك السلطة التقلدية ممثلة فى زعماء الحــراب وكبار السن لإجراء الصلح وفض النزاع بين الفرعين ، ومن ثم تحركت الســلطات الحكومية وحكم بالسجن على القاتل ، وهذه الأحكام لم تكن معروفة من قــبل فى المجتمع ، وهذا الحادث لم يؤثر على العلاقات بين المجموعتين القرابين التى ينتمى لها القاتل والمقتول، وأصبح الأمر كله وكأنه مسئولية فردية بعد أن كان فى الماضى مسئولية جماعية مشتركة.

ثانياً: تأثــر القيادات الدينية التقليدية ممثلة فى زعماء الحراب بالمد العربى الإسلامى مما جعل هذه القيادات تفقد بعض نفوذها وتأثيرها فى المجتمع على خلاف ما كان عليه الحال فى الماضى ، عندما كانت هذه القيادات تتمتع بدرجة كبيرة من النفوذ يوازى القيادات السياسية القبلية فى الشمال من العمد والمشايخ[2].

---

(١) عباس أحمد : دينكا أعالى النيل ، مرجع سابق ، ص ١٤٩

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ١٥٠

وقد أدى دخول الإسلام إلى بعض مناطق الدينكا مثل منطقة الرنك إلى هبوط نسبى متفاوت الدرجة فى مكانة ودور القيادة الروحية التقليدية ، مما أدى فى المقابل إلى ارتفـــاع نسبى فى مكانة ودور القيادة السياسية الرسمية بل وتحولت بعض القيادات الرســـمية إلى قيادات روحية من نوع جديد بعد التحول إلى الإسلام ألا وهم شيوخ الدين الذى عرف الواحد منهم (بالفقى) وهو شيخ دينى له مكانة مميزة فى المجتمع بحكـــم معرفـــتة بأحكـــام الدين والعمل بها ، وبحكم ارتباط الناس به واللجوء إليه للمشـــورة فى الأمور الدينية والدنيوية المتصلة بالصحة والمرض والنجاح والزواج وشتى الأمور.

ومـــن ثم جمع الزعيم السياسى بين السلطتين السياسية والدينية وتمكن من تكريس هذه السلطة واحتكارها بدرجة لم تكن موجودة من قبل المد العربى والإسلامى.

ووظـــيفة الفقـــى – تكاد تكون موازية لوظيفة الزعيم الروحى (زعيم الحربة) فى الـــنظم التقليدية ، والفرق بينهما أن وظيفة الفقى وظيفة مكتسبة بينما وظيفة الزعيم التقليدى وراثية.[1]

وكان اعتناق المسيحية يتضمن تغييراً شاملاً فى كـــل جوانب النظـــــــام الاجتماعى، ألا أن المسيحية لم تتابع الدور السياسي للأديان التقليدية وأصبح الدين شأناً خاصاً بحياة الفرد الروحية ، لا علاقة له بالحياة السياسية ، ومع ذلك تقلص دور الزعيم الروحى التقليدى فى ظل المسيحية[2].

ثالثاً: خلـــق الـــنظام الاقتصـــادى الحديـــث فى أعالى النيل مجموعة متحالفة من القادة السياسيين المحليين وكبار التجار والمستثمرين وهى مجموعات ذات مصالح متبادلة ومشتركة اكتسبت صفة دينية وسياسية.

---

(١) نفس المرجع السابق ن ص ١٤٠.

(٢) فرانسيس دنيق : مشكلة الهوية فى السودان، مرجع سابق ، ٤٤.

ويقـــوم تنظيم مجتمع الدنكا على أساس المنطقة والعشيرة والنسب ومجموعات العمر العاملة.

ويـــتكون المجـــتمع من أفرع قبلية تسمى ومفردها ووت وتعنى جزئياً معسكراً للأبقار وتعرف عند العرب "بالعمودية" ويرأس كل منها زعيم يعرف باسم Beny المعـــروف عند العرب بالعمدة، وينقسم كل فرع إلى اثنين أو ثلاثة (شياخات) لكل مـــنها زعيم يعادل ما يسمى بالشيخ عند العرب ، ومع هجرة الأفراد وأقامتهم حيث يشاءون وبمرور الزمن تداخلت العشائر والأنساب متخطية حدود المناطق التقليدية ، لكن داخل تلك الأقسام يعترف بالنسب ككيان سياسى يتزعمه رئيس العشيرة [1].

ويرتـــبط النظام السياسى الحالى فى الدنكا بنظام قانونى ، حيث يتركز هذا النظام حول رؤساء العشائر ، وهم همزة الوصل بين الحكومة والأهالى.

وظهـــر عـــند الدنكا نظام المحاكم الحديثة التى رأسها مجموعة من الزعماء الذين يخضعون لسلطة الرئيس الأعلى للعشيرة.

ويختار الزعماء الفرعين وقادة العشائر من البدنات ، وداخل هذه التقسيمات الكبيرة توجد سلطة العائلة وتكون تحت قيادة القادة الفرعين فى مناطق معيشتهم[2].

وهـــناك سلطة لبعض الأشخاص المختارين حيث يقومون بجمع الضرائب المقررة وتقلـــيدياً كانت التنظيمات السياسيـــة تدور حول سلطة الزعماء المحليين التقلديين الذيـــن أخذوا مكانتهم واحترامهم فى المجتمع الدنكاوى من خلال زعامتهم الدينية الـــبارزة والمستمدة من روح الإله العظيم ، وقاد هؤلاء الزعماء مجتمعهم المحلى بحكمـــة شديدة وبقليل من المواجهة ، وكانت أوامراهم مقبولة لأن لها صفة القداسة فى المقام الأول.

وقـــد امـــتدت الســـلطة التقليدية المحليين الدينين إلى التحكم فى القرارات الخاصة بتحركات القطعان والصينن فى موسم الجفاف.

---

(١) فرانسيس دنيق : الصراع الرؤى ، مرجع سابق ٢٣٧.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٢٣٧ .

ولقـــد تغير هذا الدور السياسى فى الحكم وتقسيمات السلطة الفرعية، واقتصر دور هـــؤلاء الـــزعماء التقليديـيـــن على مشاركة الزعماء فى عملية اتخاذ القرار وعلى الرئـــيس الأعلى "العمدة" أن يعمل مع كبار السن فى حالات الأمن والحرب وجمع الضرائب واختيار الزعماء الجدد.

لذلك فإن نظام الحكم عند الدينكا حالياً يعتمد على حرية الكلام والمفاوضات مع عدم تعارضها مع سلطة الرئيس وتأثيره فى حكم العشيرة وعلى الرغم من الديمقراطية العالـــية فى نظام الحكم وراثى داخل العشائر المسيطرة وأيضاً العشائر التى تتمتع بالسلطة الدينية والسياسية والاقتصادية فى نفس الوقت[1].

(1) Jok Maadut Jok : op- cit. Ip. 151.

الخلاصــة

نلخــص مـــن العرض السابق إلى أن هناك ارتباطاً قوياً بين النظام السياسى عند الديـــنكا والـــنظام الديـــنى ، حيث يتولى الزعيم فى النظام التقليدى السلطة الدينية والديـــنوية ، كذلـــك يرتـــبط النظام السياسى ببعض الانساق الأخرى فى المجتمع الاقتصادية والسياسية والتى تتأثر بنظام القرابة والنسب فى المجتمع.

وعلـــى الـــرغم من أن المجتمع قد حدثت فيه تغيرات جوهرية لا سيما من الناحية الدينـــية والسياســـية نتـــيجة الحكم المصرى التركى أولا ثم دخول المهدية وأخيراً الانجلـــيز ، وكانـــت أقـــوى التغيرات هى دخول المسيحية التى أثرت فى جوهر الديانات التقليدية فلم يعد لزعيم الحربة (بان بث) نفس الدور الذى كان يقوم به فى النظام التقليدى.

ومـــع دخـــول الـــزحف العربى للجنوب تغيرت السلطة والزعامة التقليدية وأصبح زعماء الدنكا يقومون بنفس الدور الذى يلعبه العمدة والشيخ عند القبائل العربية فى الشمال – وظهرت سلطة جديدة مختارة وهى سلطة الفقى.

والشـــيء الوحـــيد الـــذى احـــتفظ به الدينكا هو أن الزعامة ما زالت فى العشائر المســـيطرة مثل المنديور ، وإن كانت هناك سلطات محلية مختارة تقوم كلها على الانتشار وليس التمركز للسلطة.

كذلك لم يعد لنظام طبقات العمر دور قوى فى البناء السياسى ولكنه فقط تقليد للنظام القديم.

والدنكـــا من الشعوب التى لا يمكن استيعابها ولكنها يمكنها أن تستوعب أى أنظمة بداخلهـــا وحـــدث ذلك مع دخول المهدية حيث لقب بابن دينج ، كذلك يعتبر الدنكا أنفسهم أكثر تديناً وقيماً من الشعوب الأخرى لذلك يقاوم الدنكاوى أى استيعاب داخل الثقافات الأخرى حتى لو فرض ذلك استخدام القوة والتضحية من أجل المجتمع.

المراجـــع العربيـــة

١ - بوك قاك : نظرة تاريخية لثقافة الدينكا (جانق) وتراثهم – ثقافات سودانية – العدد التجريبى – المركز السودانى للثقافة والاعلام – القاهرة ١٩٩٥.

٢- توفـيق الحسـينى عـبده – الحـياة الاجتماعـية لقبـيلة الدنكا – دراسة أنثروبولوجـية اجتماعـية – معهد البحوث والدراسات الأفريقية – كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٦٥.

٣- حليمة عبد الرحيم – ثقافات سودانية – العدد التجريبى – المركز السودانى للثقافة والإعلام – القاهرة ١٩٩٥.

٤- ديـار ديـنق : ندوة أشكالية الثقافة فى السودان – ثقافات سودانية – العدد الخامس – المركز السودانى للثقافة والإعلام ١٩٩٩.

٥- سامى سالم وفيصل محمد صالح ، مفهوم ثقافة السودان بين القديم والجديد – ثقافـات سودانية – العدد الخامس – المركز السودانى للثقافة والإعلام – القاهرة ١٩٩٩.

٦- سعاد على شعبان – مربو الحيوان فى أفريقية ن نشرة الدراسات الأفريقية – العدد – معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة سنة.

٧- شـمس الدين السنوسى : الصوفية فى السودان، ثقافات سودانية ، المركز السودانى للثقافة والإعلام – العدد الرابع – القاهرة ١٩٩٨.

٨- عـباس أحمد – دينكا أعالى النيل – النظم الاجتماعية والتغيرات المرافقة للمد العربى – دار العلم – دبى ١٩٨٦.

٩- عبد الهادى الجوهرى : دراسات فى علم الاجتماع السياسى – مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ١٩٨٥.

١٠- عون الشريف قاسم – موسوعة القبائل والإنسان فى السودان وأشهر أسماء الإعلام والأماكن – الجزء الثانى ح – ز – أفروقراف للطباعة والتغليف الخرطوم ١٩٩٦

١١- فرنسيس دينق : صراع الرؤى – نزاع الهويات فى السودان – ترجمة عوض حسن – مركز الدراسات السودانية – القاهرة ١٩٩٩.

١٢- فرنسيس دينق: مشكلة الهوية فى السودان _ أسس التكامل القومى – ترجمة محمد على جادين – مركز الدراسات السودانية – القاهرة ١٩٩٩.

١٣- ماجدة فتحى رفاعة: مفهوم السلطة فى المجتمعات الأفريقية مع التطبيق على قبائل الهوسا واليوربا والأيبو ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة ١٩٩٥.

١٤- محمد عبد الغنى سعودى: السودان – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة ١٩٨٥.

١٥- محمد عبده محجوب – أنثروبولوجيا المجتمعات البدوية – الهيئة المصرية العامة للكتاب – اسكندرية ١٩٧٦.

١٦-محمد عبده محجوب – الأنثروبولوجيا السياسية – مقدمة لدراسة النظم السياسية فى المجتمعات القبلية – ط ٢ – الهيئة المصرية العامة للكتاب – اسكندرية ١٩٨١ .

١٧- محمد عمر بشير : مشكلة جنوب السودان - خلفية النزاع - ومن الحرب الداخلية إلى السلام - ترجمة هنرى رياض وأخرون - دار الحيل بيروت ١٩٨٣.

١٨- ميان جولفكور دول - قبيلة جانق ، حول التسمية الصحيحة لقبيلة الدنكا - وأقسامهم الجغرافية - ثقافية سودانية - العدد التجريبى - المركز السودانى للثقافة والإعلام - القاهرة ١٩٩٥.

المراجع الأجنبيـــة :

1- Berdi, 1. More on the pading Dinka, Sudan Notes & Records, Vol 29 , 1948.

2- Butt, Audrey , the Nilotes of aAngllo Egyptian Sudanand Uganda, water place , London 1962.

3- Coluin W. schwabe and Isswac, Makuet Kuojok: practiceand Beliefs of the traditional Dinkan Healer in Roligion to provision of Modern Medical and veterinary services for the southern sudan , Human Oranization, Vol . 40 , no 3. 1981.

4- Deng F, m., Tradition and Modernization of challenge for law among the Dinka of the sudan,Yale University press, London 1971.

5- The Dinka of the sudan Rinhart and Winston, New York 1972.

6 - `Hoggarb , Richard, Richard : People cultures, oxford University press, New York 1992.

7- Johnson , Douglas : the upper Nile province "Areport on people government in southern Sudan . Brithish A cademy, oxford 1995.

8- Johnson , Douglas :Nuer prophets , A History of prophency from the upper Nile in the Nineteenth and Twentieth centuries, Clare Adon press, oxford 1997.

9- Jok Muidut Jok : woman sexuality and social Behaviour in western Dinka , the Impact of work on Repoductive Health in southern Sudan , ph . D. in Anthropology , Univ: of california, Los Anglos, 1996.

10- Kuper Adams – Kuper Jessica social Science Encyclopedia2, edit , Rouledge, London 1996.

11- Leinhardi , Godfry Divinityu and Experience
"The Religion of the Dinka the clarondon press,
oxford , `1961.

12- Levinson David & Ember Melvin , Envycopedia of Cultural Anthorpology , vol . 3, Ahenery Holt company, New York 1996.

13- Mawson , A N. Bringing what people want : Shrine politics Among the Agor Dinka, Africa , vol 61, No 4, 1991, pp 354 – 369.

14- Michell , christoper R., Managing conflict in Africa , Brookings Instition press, washington , 1997.

15- Rouland Norbert , Lefal Anthropology, Transalted by philippe G. planel, Athlone press 1994.

16- Seligman C. G: Tribes of Nilotic Sudan Routledge, London 1932.

17- Sindima , Harvery J., Religious and political Ethics in Africa Greewood press, London 1998.
Stephanie F. Beswick , Violence and political consolidation in south sudan A; hisstory of the Dinka and history, Mixhigan state Univ., 1998.

قيادات الدنكا العسكرية في أزمة الجنوب

د. عبد القادر إسماعيل [١]

تمثل الحركة العسكرية الجنوبية الوجه الآخر للحركة السياسية على الساحة الجنوبية، والتي يمكن القول أنهما كانا نتاجا طبيعيا للسياسة البريطانية في السودان، فقد حرصت السياسة البريطانية في السودان على إيجاد جيل وكوادر سياسية تربت وتعلمت في مدارس الإرساليات التبشيرية في السودان لتكون النوأة الأولي للحركة الحزبية والسياسية في مواجهة شمال السودان.

وإذا كانت الحركة السياسية والحزبية في جنوب السودان قد تشكلت بنيتها الأساسية آبـان الاسـتعمار البريطانـي ، فقـد وجدت على الساحة السياسية السودانية بقوة واضـحة اعتباراً من حكم الفريق عبود(١٩٥٨-١٩٦٤) ، إلا أن حركة الأحزاب السياسية بين جموع القبائل الجنوبية، غلبت عليها قبيلة الدنكا، بحكم تفوقها العددي علـى باقي القبائل مما كان مثاراً للخلافات والصراعات المستمرة بين القبائل، وقد أثـرت هـذه الهيمنة كذلك على تشكيل القوات العسكرية الجنوبية في عام ١٩١٨، عـندما تشـكلت الفـرقة الاستوائية في جنوب السودان على يد ونجت ووضع لها الأهـداف المحـددة فـي الجنوب، والتي تركزت في استمرار الهيمنة البريطانية الاستعمارية والتحكم في اتصال الشمال بالجنوب.

وبذلـك التقـى الاتجاهان السياسي والعسكري، ليبلورا شكل العلاقة بين الاقليمين، خـلال الفـترة الانتقالية من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٦ بعد توقيع مصر وبريطانيا اتفاق السودان، إذ بدأ التمرد في توريت في أغسطس ١٩٥٥ قبل استقلال السودان، وعبر عـن نفسـه بتشكيل انيانيا-١، كقوة جنوبية مسلحة واستمر هذا الوضع حتى اتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ الذي يمثل بداية فترة السلام النسبي بين الشمال والجنوب، إلا أن الحركة العسكرية الجنوبية المعارضة استمرت خلال الفترة من ١٩٧٢ حتى ١٩٧٦

(١) دكتوراه تاريخ - معهد البحوث والدراسات الأفريقية

عندما تكونت أنيانيا- ٢، واتخذت لها مواقع خارج حدود السودان، تراقب وتنتظر، لحيــن ظهورها مرة أخري في الحركة الشعبية والجيش الشعبي، لتحرير السودان بقيادة أحد زعماء الدنكا وهو جون جارانج، بعد صدور قوانين سبتمبر ١٩٨٣.

وبالتالــي يمكــن القــول أن العسكرية الجنوبية ظلت مشتعلة برؤي مختلفة داخل وخــارج السودان وقد سيطرت على الحركة الجنوبية العسكرية قيادات قبيلة الدنكا، شــأنها فــي ذلك شأن الحركة السياسية بحكم التفوق العددي لهذه القبيلة وبذلك فإن خطة البحث تعرض للدراسة .

الحركة العسكرية فى الجنوب والتوجهات نحو السلام فى خمس فترات :

أولاً: الفــترة مــن ١٩٥٥- ١٩٧٦ وظهور حركة أنيانيا وقيادات الدنكا العسكرية خلالها .

ثانــياً: الفترة من ١٩٧٦ – ١٩٨٣ والإيجاد و جذور أنيانيا- ٢ الحركة العسكرية بقيادة الدنكا .

ثالثا: الحركة الشعبية والجيش الشعبى لتحرير السودان منذ عام ١٩٨٣ وقيادة الدنكا لها .

رابعــا: الصــراع القبلى والإقليمي داخل الحركة الشعبية والجيش الشعبى لتحرير السودان ١٩٩١

خامســا: توجهــات السلام المختلفة كنتيجة للعسكرية الجنوبية ومفاوضات الإيجاد للسلام ١٩٩٧

الدنكا : ــ الموقع والسكان :

يشــغل شعب الدنكا مساحة كبيرة من الأرض فى جنوب السودان ، وتعتبر أكــبر القبائل عدداً وإن شئت قل أنها أكبر القبائل النيلية . حيث يبلغ تعدادها طبقا لإحصــاء عام ١٩٥٦ مليون نسمة وتعتبر قبيلة الدنكا بصفة عامة أكثر القبائل قوة وغــنى وثروة ولقد ازداد تعدادها بشكل كبير بعد عام ١٩٥٦ فهم يمثلون فى شرق بحــر الغزال ١,٠٩٩,٩٨٠بينما فى مديرية البحيرات تعتبر هذه المديرية أن أغلب سكانها جميعا من الدنكا فيما عدا عددا قليلا حيث بلغ تعداد الدنكا فى هذه المديرية

٧٧٢,٩١٣ وبذلــك يصبح مجموع الدنكا فى بحر الغزال وحدها ١,٨٧٢,٩٣ بينما يصل تعداد الدنكا فى أعالي النيل ٤١٨,٠٠٠ بما يعنى أن مجموع الدنكا فى جنوب الســودان يصــل إلى ٢,٢٩٠,٨٩٣ أى بنسبة ٤٤% من تعداد السكان فى الجنوب حيــث يصل تعداد سكان الجنوب ٥,٢٧١,٢٩٦ وبذلك يمكن القول أن الدنكا تقترب مــن نصف عدد سكان جنوب السودان . ورغم هذا التعداد والمساحة التى تشغلها قبيلة الدنكا فانه لا يمكن القول بأن الدنكا تعيش فى جنوب السودان متجاورة بعضها مــع الــبعض . حيث تمثل النوير بالنسبة للدنكا عامل فصل بينهما ويضم الجنوب ٥٧٢ قبيلة .

ورغــم أن الدنكا تتفوق عدديا ويعيشون على مساحة من الأرض تمتد بين السوباط إلى بحر الجبل حتى بحر الغزال غربا وحتى الحدود الحبشة شرقا وكنتيجة لأنهــم يشغلون مساحة كبيرة ، لذلك أطلق عليهم تسميات مختلفة منها شعب النيل الأبيض ، شعب بحر الجبل و شعب بحر الغزال .

ولعل تلك الأوضاع التى عاشت فيها قبيلة الدنكا سواء من حيث التعداد أو المساحة التى شغلتها من الأرض فى جنوب السودان لم تمثل بالنسبة لهما عاملا من عوامــل الــترابط القوى بينهما تحت نظام سياسي واحد حيث حالت تلك الأوضاع دون أن تكــون هناك وحدة سياسية بينهما أونظام سياسي يستطيع أن يجمع بينهما كنتــيجة لتعدادهم واتساع الرقعة التى يشغلونها .. وإن شئت قل بأن هذه الأوضاع كانت من العوامل التى أشعلت بعض الحروب والقتال بينهما لسنوات طويلة وبذلك تمرســت الدنكــا علــى الحرب والقتال منذ فترات بعيدة ومنذ القرن التاسع عشر وضعت قبيلتى الدنكا والنوير كنتيجة لما جرى بينهما من حروب بأنهم جيش العداء المتواصل .

ديانات الدنكا :

إن الدنكــا مــن القــبائل التى يمثل الدين بالنسبة لهم مبدأ مهماً فى حياتهم اليومية ويشير سلجمان انهم اكثر القبائل تدينا ، ويلعب الدين فى حياتهم دورا مهما ومؤثــرا ، وألهــه الدنكا متعددة ورغم تعدد هذه الألهة إلا إن الإله الأكبر يسمى "

نـــيالك" ومعـــنى هذا اللفظ" العلى الأعلى الذى يسكن السماء هو الذى خلق الكون ونظمه وهو الذى يرسل السحاب "

والدنكا لهم معتقداتهم المختلفة فى إطار الدين حيث يعتقدون فى لعنة السماء وفى نفس الوقت يؤمنون بالبركات التى تحل من السماء والتى يصبغها الوالد على أبنائه . أو كاهن القبيلة أو أى من الأشخاص الذى يمثل سلطة هامة بالقبيلة كما أن الحسد أحد معتقداتهم الأساسية . ويعتبر من الأشياء التى تسبب خلافات عديدة بينهم ، ونتـــيجة لكـــل تلـــك المعـــتقدات فقد كان للقادة الدينين أثر مهم على حياة القبيلة والأفراد وأصبحوا يمثلون قوة حقيقية داخل القبيلة .

وإنطلاقـــا مـــن ذلـــك أصبحت طاعة الزعيم الديني واجبة، وأصبح يمثل بالنسبة لأفراد القبيلة زعيماً دينيا، وسياسياً، إلا أنه رغم الدور الديني في حياة الدنكا إنما يغلب عليهم روح العدوة ويتصفون بالعدوانية والعنف وعقدة البقر والتباهي به وبحيازته وملكيته أمر يتعايش مع الدنكا وبصورة دائمة، ويري فرنسيس دنيق هذا الإطار بأن هذا الوضع لا يخل بالتوازن الاجتماعي عند الدنكا لأن الدنكاوي بصفة عامـــة يميل إلى الحفاظ على أصوله وتراثه، ويبتعد دائما عن التغيير ويرجع دنيق رغبة الدنكا في الاحتفاظ بذاتهم وعدم ميلهم للتغيير إلى الحقبة الاستعمارية وتكريس الانعزالـــية لديهم ورغم ذلك فإن روح القتال، والإقدام والممارسة على القتال التى استمرت حتى تم التمرد على الشمال ولدت معهم كنتيجة للحروب بينهم وبين القبائل المختلفة وخاصة النوير.

وأي مـــا كـــان الأمر فإنه رغم أن الدنكا من الشعوب التي تحافظ على تراثهم وعلـــى أصـــولهم إلا أن المســـيحية والإســـلام دخلت إليهم واستطاعوا أن يعتنقوا المسيحية ويتعايشوا معها، إلا أن المبشرين لعبوا دور مهماً وأصبح مؤثرا فيما بعد، حيث عملت الإرساليات التبشيرية على نشر المسيحية، وتنصير القبائل المختلفة في جـــنوب السودان، فيما عرف" بسياسة الدخول الهادي للمبشرين في البلاد، ووضع كل من "كرومر" ونجحت السياسة التي رسمت نفوذ الإرساليات التبشيرية.

وأي مـــا كـــان الأمر فإن سياسة التبشير كان لها انعكاسها في أزمة للجنوب حيث سعت الإرساليات التبشيرية إلى خلق كوادر حزبية، وسياسية مهدت الطريق لظهور القـــيادات العسكرية فيما بعد ظهور أزمة الجنوب، وكان المخطط الغربي هو إيجاد تلـــك الكـــوارد التي تربت وتعلمت في مدارس الإرساليات التبشيرية لتكوين النواة الأولـــي والطلـــيعة فـــي مواجهـــة شمال السودان ولخلق توازن قوي بين الإسلام والمســـيحية مستخدمين بذلك العديد من القيادات الجنوبية لذا الغرض ويحكم التفوق العددي كان للدنكا التواجد المستمر سواء على طريقة الحركة السياسية أو العسكرية واعتـــبر الـــبعض أن قـــادة التبشير كانوا السبب المباشر وراء ظهور أول حركة عسكرية في الجنوب عام ١٩٥٥ فى مواجهة شمال السودان[١]

* **الجذور الأولي لتكوين القيادات العسكرية الجنوبية ١٩١٧-١٩٥٥**

ســـعي ونجـــت صاحب نظرية "سيأتي يوما في الجنوب سيتم الاختيار بين العربية والقـــرآن والإنجليزية والإنجيل" إلى تشكيل فرقة عسكرية جنوبية تكون قوامها من الجنوبيـــن وقد كانت الفرقة الاستوائية أصبحت مؤهلة تأهيلا عسكريا كقوة يمكن الاعـــتماد علـــيها عـــام ١٩١٨ بعـــد أن تم استبعاد الجنود الشماليين من الجنوب وحرصـــت انجلترا أن يبني التشكيل العقائدي للفرقة على أسس دينية وأن تقام فيها الشـــعائر المسيحية، على أن تصدر للفرقة الأوامر العسكرية باللغة الانجليزية ويتم رســـم السياسة العامة للفرقة بحيث لا يكون هناك بقايا للغة العربية بينهم وحرصت بريطانـــيا وقـــتها ألا يكـــون هنا أية ظلال وتأثيرات عربية على الفرقة الاستوائية الجنوبـــية.وأيـــى ما كان الأمر فقد تشكلت الفرقة في كل من توريت، وملكال وأن كانـــت الفـــرقة الاســـتوائية قـــد شكلت في توريت من جموع القبائل الصغري في المديرية الاستوائية فإنه يمكن للجزم أن الفرقة الاستوائية في ملكال كان عمادها

---

[١] ابراهـــيم عكاشـــة علـــى التبشير فى جنوب السودان رسالة دكتوراه غير منشورة ،جامعة القاهرة ، كلية الآداب ١٨٩٩ ديسمبر ١٩٧٨ ص ٥٤ وما بعدها .

- محمد عبد الغنى سعودى : مرجع سابق ص ٣٨

الأساســي قبيلة للدنكا، بحكم تفوقها العددي في كل من أعالي النيل، وبحر الغزال وبالتالي فأنه يمكن القول بأن القيادات العسكرية الدنكاوية قد تشكلت قدرتها العســكرية وحركتها الإستراتيجية منذ البواكير الأولي لنشأة الفرقة الاستوائية عام ١٩١٨.

وبذلــك يكــون التخطيط السياسي لجذور المشكلة السودانية قد صار في اتجاهين أساسيين :

١- تكوين كوادر سياسية تربت وتعلمت في مدارس الإرساليات التبشيرية لكي تقود الحركة السياسية والحزبية.

٢- وتكويــن الكــوادر العســكرية من خلال تشكيل الفرقة الاستوائية في كل من توربت، وملكال، وبالتالي التقي الخطان عند نقطة واحدة سياسيا، وعسكريا لمواجهة شمال السودان[١]

ظهور حركة أنيانيا وقيادات الدنكا العسكرية ١٩٥٥-١٩٧٦:

- **تمرد الفرقة الاستوائية ١٩٥٥:**

وقــد آتــت بذور تكوين الفرقة الاستوائية نتائجها عسكريا بعد (٣٧ عاما عندما تم تمــرد توريت عام ١٩٥٥ في مواجهة الشمال وحدثت معركة) راح ضحيتها ٢٦١ مــن ابناء الشمال ورغم أن الفرقة الاستوائية الجنوبية كانت تستهدف الشماليين في المقــام الأول إلا أن ٧٥ مــن أبناء الجنوب قد لاقوا حتفهم في هذا التمرد، وبدأت الشــرارة الأولــى لتكويــن العســكرية الجنوبية المتمردة حيث كان تمرد الفرقة الاستوائية عام ١٩٥٥ البداية الأولي للحركة العسكرية الجنوبية في مواجهة الشمال، وتعمق الفكر القتالي لدي القيادات الجنوبية كرد فعل طبيعي للسياسة الشمالية نتيجة للتمرد واستجابة حكومة السودان وقتها بالموافقة على أن يتم دراسة الفكر المقترح مــن قــبل الجنوبيين وهو إقامة اتحاد فيدرالي في السودان، وبذلك يمكن القول أن

---

[1] **محمد عمر بشير :مرجع سابق ص ٨٠ وما بعدها .**

عبد القادر إسماعيل : مرجع سابق ص ١٢٧ .

الشـــمال ساعد دون فهم لحقيقة مجريات الأمور على إيجاد قيادات عسكرية جنوبية تـــدرك بأن الحرب والقتال هي الوسيلة للوصول للهدف،ورغم انتهاء التمرد إلا أن القـــوة الجنوبية المشكلة من الفرقة الاستوائية لم تستسلم بكاملها بل أن هناك بعض قياداتها التي لجأت إلى الأحراش والغابات لقتال الشماليين مدركين أنه لا مناص من أن تكـــون الحرب والقتال هو السبيل الوحيد لإجبار الشماليين على سماع أصواتهم ورغبتهم في الحفاظ على هويتهم.

وبذلك تكون السياسة البريطانية قد أثمرت ثمرتها من خلال الاتجاهين، الاتجاه العســـكري بتكوين الفرقة الاستوائية، الاتجاه السياسي بتكوين الكوادر السياسية في مـــدارس الإرســـاليات التبشيرية، ونتيجة للحكم العسكري للفريق عبود آبان الحقبة التاريخـــية ١٩٥٨- ١٩٦٤وهجـــرة الجنوبييـــن بشكل جماعي وتكوين المنظمات السياســـية فـــي بلاد المهجر للمطالبة بالإنفصال عن شمال السودان بدأت الحركة العســـكرية تعلو شيئا فشيئا بعد ظهور رابطة السودان المسيحية، والاتحاد الوطني الســـوداني ســـاكدتو ثـــم حزب ساتو بعد ذلك وفشلهم في الوصول إلى حل سلمي فظهرت" حركة أنيانيا ١ ثم "أنيانيا ٢ " ثم الحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير الســـودان فـــي سلســـلة متواصـــلة أجـــبرت القيادات الشمالية للجلوس إلى طاولة المفاوضات.

أنيانيا(١) ١٩٦٣ والتكوين العسكري القبلي :

كـــان لحـــركة انيانـــيا عند تكوينها وضعا خاصا يختلف كليا وجزئيا عن أوضاع الجـــيوش النظامـــية العاديـــة، فقد كانت أقرب إلى التكوينات القبلية منهـــــا على القـــوات النظامـــية، حيث أنشئت على شكل فرق مستقلة لا يوجد بينهما نوعا من الـــترابط فـــي المديريات أو المناطق المختلفة ولكنهم جميعا حملوا اسماً واحداً هو انيانيا، ورغم ذلك فلم تكن هناك رؤية ثابتة أو نظاما عاما لتجنيد قوات الانيانيا في مواجهة شمال السودان. بـــل حكمـــت الحـــركة في البداية الرغبات الشخصية لدي الجنوبيين في قتال الشماليين، وعلى من يرغب في حربهم التوجه ناحية الغابة لكي ينضـــم لحـــركة انيانـــيا أو لأقرب جماعة بالمنطقة على أن يحدد له القائد المحلي للمـــنطقة الموقـــع الذي سيعمل منه والمنطقة والدرجة العسكرية التي سيتعامل من

خلالهـــا[١] ولذلك كانت تشكلات حركة انيانيا أقرب إلى الوحدات القبلية في مناطقها المختلفة بما يعني أن تشكلات الانيانيا في كل من أعالي النيل، وبحر الغزال غلبت علـــيها قبـــيلة الدنكـــا بحكـــم التفوق العددي لها، ومعرفة بعضهم بمسالك ودروب المديرية من خلال القبائل المختلفة وخاصة قبيلة الدنكا – وعندما بدأت الحركة في الظهـــور على هيئة وحدات مستقلة في مناطقها – وعندما بدأت العمليات العسكرية قامـــت أحـــد التشكلات في بحر الغزال برشق مستشفي روميك بالحجارة وحصلوا على المستلزمات الطبية .[٢]

لم يحدث أن توحدت الحركة إلا تحت أمر جوزيف لاجو بعد عزل الجنرال أمـــيلو ناقـــتح [٣] ورغم ذلك فإنه لم يحدث أن قاد أحد قيادات الاستوائية من الأنيانيا مجموعة من أعالي النيل أو بحر الغزال.[٤]

بمـــا يعنـــي أن الصـــراع القبلي والإقليمي كانت لها رؤية حاكمة على التشكيلات العسكرية القبلية لحركة انيانيا كنتيجة للتكوين العسكري القبلي في المناطق المختلفة بما يؤكد بأن مجموعات الدنكا القتالية في مناطقها يقودها دنكاوى وكذلك التشكيلات العســـكرية في الاستوائية يقودها أحد قيادات القبائل الصغري وأن حدث عكس ذلك يـــؤدي إلى الصراع القبلي والإقليمي بينهما خاصة وأن القبائل الصغري دائمـــــة الشكوي من هيمنة قبيلة الدنكا على مجريات الأمور في جنوب السودان ورغم أنه عـــند تكوين البدايات الأولي للعسكرية الجنوبية في مواجهة شمال السودان لم يكن

---

1 محمد عمر البشير : مرجع سابق ص ١٣٠ وما بعدها .

عبد القادر اسماعيل السيد ، مرجع سابق ص ١٢٢

2 أبيل ألبر : مرجع سابق ، ص ١٣٨

Mohmed Omer Basher : Sauthern Sudan from camnfleet to Ptace Karatam p . 36

3 يونان لبيب رزق وآخرون : مشكلة جنوب السودان، مركز بحوث الشرق الأوسط، سلسلة دراسات عن الشرق الأوسط، مطبعة جامعة عين شمس، بدون تاريخ، ص ٧٦

4 أبيل ألبر : مرجع سابق ، ص ١٣٨

وارد علـــى الإطـــلاق اسم الآتياتيا فقد إقترحوا تسميات مختلفة منها، جيش حرية الأرض، أو جـيش أزاتـيا السري، ومحاربس حرية كل أفريقيا، إلا أنه في النهاية اســتقر الأمر على اسم انيانيا والتي تعني بلغة قبيلة المادي سم الثعبان[1] ، وبعد ان استكملت الحركة بعض مقوماتها العسكرية بدات تنشط في مواجهة حكومة الشمال وســعت لمحاولة السيطرة على مدينة واو في بحر الغزال، ورغم أن هذه المحاولة بأءت بالفشل إلا أنها تركت رد فعل مهما في الأوساط المحلية والإقليمية، والعالمية حيث أعطت المشكلة أبعاد جديدة ومثلث الواقع رؤية جديدة للمشكلة السودانية وهى الســلاح بجوار الحوار السياسي وتلقفت بعض دول الجوار السوداني الحركة سعيا وراء مدهـا بالســلاح والعــتاد والمال إيقاف المساعدات السودانية لبعض حركات التحرر لدول الجوار السوداني .

وأعلنــت الحركة العسكرية أهدافها " لقد بلغ الصبر مداه وفى يقيننا أننا لن نصــل إلى شئ إلا باستخدام القوة وسنقوم من الآن وصاعدا بتحرير أنفوسنا إننا لم نطلب الرحمة من أحد ولن نمنح رحمتنا لأحد "

القيادات العسكرية الدنكاوية :

١- بيرنا ندينوماو:

يمثل بيرناندينوماو أحد قادة الدنكا وزعمائها فى مديرية بحر العزال وهو خريج مدرسة الفرقة الاستوائية عام ١٩١٨ وقد تمكن بيرناندينوماو من تكوين الفرقة فى عــام ١٩٦٤ مــن قتل الجنود الشماليين وإغلاق الطرق وسعت جنوبا إلى محاولة الاستيلاء على مدينة واو فى بحر الغزال .

ورغم أن الحركة الأولى للقيادة العسكرية الجنوبية بقيادة بيرناندينوماو قد باءت بالفشــل وقبض عليه وصدر ضده حكما بالإعدام، إلا أن الحركة كانت تمثل النواة الأولـــى للحــرب فـــى مواجهة الشمال وكانت أن قيادات الدنكا قد أصبحوا قوة لا يستهان بها قادرين على تجميع القبائل حولهم .

---

[1] Wakoson Elias Nyanlell : The Orlgion and derelopment of the Any- nia Movement . 1955-1972 In Mohamed Omer Basher . southren sudan . Regionlasim and Regioniasim and religion . p.p. 127 . 204 .

٢- فيليب ورل :

أحـــد قيادات الدنكا العسكرية والذى زامل بيرناندينوماو فى حركة عام ١٩٦٤ وقد حوكم فيليب ورل وأعدم مع بيرنا ندينوماو . وأى ما كان الأمر فقد بدأ التوجه الجديد من خلال قيادات الدنكا العسكرية على ساحة القتال السودانية للوصول لحل المشـــكلة الجـــنوب وبدأت تتصاعد المشكلة الجنوبية من الرؤية العسكرية كنتيجة لإيمان بعض الشماليين فى ذات الوقت بضرورة الحل العسكرى لمشكلة الجنوب .

واستمرت قيادات الدنكا فى بحر الغزال فى قتالها ففى ديسمبر ٦٦ هاجموا قـــرية جـــور . وقتلوا قرابة ٩٠ شخصا بقتال ضار وقتلوا سبعة من العاملين فى معســـكر ادارة الأشـــغال بجانب أنهم قتلوا سبعة من رجال البوليس وأربعة مدنيين واســـتطاعوا أن يستولوا على ٨ بنادق و٤ مدافع وماكينة و١٢٠٠ طلقة وحصلوا على الملابس العسكرية وفى نفس الشهر ١٤ يناير وعلى مسافة ٥ أميال من مدينة واو قـــتلوا ٥ جـــنود فـــى أعالى النيل وأغلبهم كانوا قيادات دنكاوية بحكم تشكيلا الأينانيا . فقد استطاعت قيادات الدنكا العسكرية هناك أن تقوم بحصار حول المدينة وحدثـــت اشتباكات متعددة بينهم وبين قوات الجيش واستطاعت قوات الجيش وقتها تدمير محكمة تابعة للمتمردين ... وقد أصبح واضحا أن القيادات العسكرية الجنوبية فـــى أزمة وبدأت توجة ضرباتها إلى المدنيين المتعاونين مع الشمال بجانب قوات الجيش والبوليس . وقد تأثرت المدن فى أعالى النيل من ضربات القيادات الجنوبية .. واســـتطاعت تلك القوات اغتيال وليم دنج فى واو ومعه ٦ من معونيه فى كمين نصب لهم طريق واو . ورميك ٥ مايو ١٩٦٨.

وعلـــى أى حـــال فإن الوضع فى السودان ككل وليس فى الجنوب كنتيجة للضـــربات العســـكرية لـــم يشـــهد نوعا من الاستقرار والذى استمر منعكسا على الحكومـــات الســـودانية من ١٩٦٥ إلى ١٩٦٨ بسبب الجوار السودانى رؤية للحل الســـلمى خاصة كنتيجة للمساعدات الأجنبية وقتها من كل من أثيوبيا ودول الجوار السودانى وإسرائيل .

العسكرية الجنوبية واتفاق أديس أبابا ١٩٧٢:

دون شــك كانــت ضربات الاينانينا موجعة بالنسبة لشمال السودان عندما قام جعفر غــيرى بثورته فى مايو ١٩٦٩ كانت أولى التوجهات بصفة عامة هى الحوار مع ثــوار الجــنوب بمــا يعــنى أن العسكرية الجنوبية كانت هى الطريق إلى طاولة المفاوضــات وكــان جوزيــف جارانج . ومادنج دى جارانج . وجوزيف لاجو . والســفير عابديــن اســماعيل همــا محور الحركة للذهاب إلى طاولة المفاوضات وأســفرت اللقاءات وموافقة الأنيانيا للدخول فى المفاوضات وطالبت الحركة وقتها بضرورة .

١- وقف الأعمال العدائية مع عدم إنشاء كبارى وإنشاء نقاط عسكرية جديدة .

٢- تعيين فــريق مــراقبين مــن منظمــة الوحــدة الأفــريقيـــــــــــة.

٣-ضـــرورة اعــتراف حكومــة الســودان بالأنيانيا كممثل وحيد للجنوب فى المحادثات.

٤- أن تكون المحادثات خارج السودان وتحت إشراف منظمة الوحدة الأفريقية.

٥- كما طالبت الحركة بضرورة إطلاق سراح المعتقلين السياسيين وعلى رأسهم كلمنت إمبورو.

وأكــد مادنج دى قرنق أن الأنيانيا على استعداد بوقف إطلاق النار حتى بدأت الخطوات الجادة من قبل الحكومة لتنفيذ وتشير كل الدلائل بأن مطالب الأنيانيا كانت تؤكــد علــى يد قوتها بجانب أن فتح الحوار من قبل الثوار الجدد فى السودان كان يعــنى رؤية متعددة لكنها فى النهاية هى الإحساس العام باستنزاف موارد السودان كنتــيجة لوجــود العســكرية الجنوبــية والذى انتهى إلى إتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ واستيعاب الأنيانيا فى الجيش الوطنى للسودان .

قيادات الدنكا العسكرية ٦٩-١٩٧٢

*** مادنق دى قرنق ١٩٧٠**

فى عام ١٩٦٥ أثناء اشتداد العمليات العسكرية للأنيانيا اتهم مادنق دى قرنق أثــناء وجودة فى ملكال بأنه ينوى إعلان الحرب على الدولة حيث كان وقتها يعمل

علـــى جمع الأسلحة والذخيرة المختلفة سعيا وراء مد قوات الأنيانيا بها ونتيجة لهذا الاتهام وخشية أن يحاكم تمكن وقتها من الهرب إلى أثيوبيا .. وقد أصبح **مادنق دى قـــرنق** ممـــثلا لحـــركة تحرير جنوب السودان فى لندن وقد مثل مادنق دى قرنق الموقـــف المـــتطرف فى الحركة فى مواجهة شمال السودان.. ورغم أنه كان قائدا عســـكريا إلا أنه فى ذات الوقت كان يرأس جريدة قراس كيرتين Grass Curtin وتلـــك الصحيفة كانت لسان حركة أنيانيا وحكومة الثورة . وقد استطاع مادنق دى قـــرنق أن يؤكد لحكومة نميرى بأن قوات الأنيانيا على استعداد لوقف إطلاق النار فى حالة قبول شروطها . وفى ذات الوقت كانت الحركة تسعى للضغط على القوات الحكومية من خلال زرع الألغام فى مواجهة الدبابات عام ١٩٧٠ .. ورغم إدراك الأنيانـــيا أنها لن نستطيع أن تملى شروطها . إلا أنه لم تدرك وقتها التوجه الجديد لنمـــيرى ناحية الغرب بعد القضاء على الانقلاب الشيوعى عام ١٩٧٠ بم يعنى أنه يمكن أن تفقد الأنيانيا أقوى حلفائها فى الغرب.

*** الرقيب كوتين :**

أحد قيادات الدنكا العسكرية فى مديرية أعالى النيل وكان يعسكر مع جنودة بالقرب من جزيرة الزراف وكان يحمل رتبة الرائد أثناء حركة أنيانيا رغم أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب . ورفض عند التسوية أن يستوعب برتبة رقيب . وتمرد مع مجموعة من رجالة إلا أن طارد وقبض عليه وعند محاولة الهرب قتل.

*** جون أوير جوك ١٩٧١:**

أحـــد قـــيادات الدنكـــا وهو من مدينة يور كانت بينه وبين أبيل الير صداقة قديمة وزمالة دراسة انضم لحركة أنيانيا فى محادثات أديس أبابا ١٩٧٢.

*** وليم كون وينج :**

أحد قيادات حركة انيانيا فى أعالى النيل وكان يحمل رتبة فى الأنيانيا أعلى من الرتبة التى استوعب من خلالها فى الجيش الوطنى قاد حركات عسكرية عديدة

فـــى مواجهة الشماليين وافق على اتفاق أديس أبابا وطارد الرقيب كوتين حتى قتله إلا أنه فى النهاية ترك جيش السودان والتحق بجيش تحرير السودان عندما شعر أن نميرى قد هدم الاتفاق من أساسه .[1]

* **الرائد جمز أويانق ١٩٧٥:**

رغـــم ما تم فى عملية دمج قوات الأنيانيا فى الجيش الوطنى كنتيجة لاتفاق أديـــس أبابـــا ١٩٧٢ إلا أنه يمكن القول انه ذلك الوضع لم يتسبب بالمعنى المفهوم حيـــث تمكنـــت قوات الأنيانيا التشكيل القبلى من كافة التمرد والعصيان حدث ذلك خلال تمرد أكوبو ١٩٧٥ حيث احتل المتمردون المعسكرات لفترة تجاوزت خمسة أيام إلا أن ثمانية من الجنود قادوا التمرد كان يقودهم عريف جمزبول اشترك معهما عـــدد اثنيـــن مـــن الضباط هما الرائد جمز أديانق والذى شغل موقع قائد للمنطقة بالإنابـــة بجانب الملازم بنسون كور ولما فشل التمرد تمكنا من الهروب إلى أثيوبيا وتمكن الجيش من السيطرة على الموقف وسحق التمرد .

على أى حال ظلت القيادات العسكرية من قبيلة الدنكا حتى بعد اتفاق أديس أبابـــا ١٩٧٢ تسعى إلى عرقلة الاتفاق والتمرد عليه فى بحر الغزال فى مدنية واو عـــندما عقـــد مؤتمـــر للشرطة فى شهر فبراير ١٩٧٦ وحضر المؤتمر لفيف من قـــيادات الشـــرطة فـــى الشمال امتنع عن الحضور العميد أمونويل أبور – وقائد الشـــرطة ويسان أوجاى وعدد من الضباط الذين يفترض عنهم أنه قد تم استيعابهم بـــالقوات الوطنية وكان هناك تخطيطا عاما وقتها لهروب قوات الأنيانيا المستوعبه بقـــيادة النقيـــب أنويت يوم ١٦ فبراير من المعسكرات وتم فى النهاية القضاء على الـــتمرد وأعـــدم أتويت بعد هروبه إلى جمهورية أفريقيا الوسطى وسلموه للحكومة السودانية وأعدموه .

ففـــى ٢٤ يناير ١٩٧٤ وبعد اتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ بما يقرب من عامين وجـــدت قـــوات من العسكرية الجنوبية التى تم استيعابها فى قوات الجيش الوطنى

---

[1]– أبيل الير : مرجع سابق ص ١٣٠.

نفس المرجع ص ١٤٥ –وما بعهدها وأيضاً عبالقادر إسماعيل مرجع سابق ص ٣٠.

تــرفض اتفــاق السلام وقامت بشبه حرب عصابات حيث حدث نوع من الهجوم والإعتداء بالقنابل اليدوية فى مدينة واو بجانب الهجوم على سكن للضباط أدى إلى مقــتل جــندى وجرح العديد من الجنود ورغم أن معالم الإعتداء ضاع وسط رؤية متخــبطة بين مؤيد ومعارض لاتفاق السلام إلا أنه يمكن الجزم بأن بعض القيادات الجنوبية كانت رافضة للسلام بين الشمال والجنوب مما يؤكد بأن القوات المستوعبة هــى الــتى قامت بهذا العمل حيث استمر هذا الوضع حتى عام ١٩٨٠ حينما ألقت مجموعــة مــن الجنوبيين بالقنابل اليدوية على بعض الشماليين فى شهر رمضان المعظــم أثناء تناولهم الإفطار وقد مهدت هذه الأعمال وغيرها لظهور حركة أنيانيا ٢ والحركة الشعبية والجيش الشعبى لتحرير السودان .

أنيانيا (٢) ١٩٧٥ وموقفها من الحركة الشعبية لتحرير السودان :

كمــا كانت ظهور حركة أنيانيا الأولى نتيجة طبيعية لتمرد ١٩٥٥ وهروب بعض العسكريين إلى الأحراش والغابات .

كــان ظهور حركة أنيانيا ٢ وليدة تمرد أكايو ١٩٧٥ حيث كانت تستهدف أنيانــيا ٢ اســتقلال الجــنوب السودانى كان القائد الدنكاوى . صمويل فالى تون ، والرائد . وليم عبد الله شول . والذين قادوا التمرد ١٩٧٥ ومعهم ثلاثة عشر رجلا وعندما فشل هجوم أكوبو هربوا إلى أثيوبيا وعاشوا هناك لمدة ثمانى سنوات على حدود أثيوبيا وتشكلت أنيانيا ٢ [1]. من قوى المعارضة التى رفضت اتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ .

وفى يونيو عام ١٩٨٣ قامت الكتيبتين ١٠٤،١٠٥ بقيادة جون جارانج بالتمرد والوصــول إلى حدود أثيوبيا ونظموا أنفوسهم تحت مسمى أنيانيا ٢، وقد اختلفا كل مــن صــمويل تون . وجون جارانج . نظر لأن كل منهما كانت له رؤية خاصة بالحركة . وحيث دب التناقض على القيادة وأصبحت هناك قيادتان صمويل تون ، وليم عبد الله شول وهما من قبيلة النوير يقودهما سياسى مخضرم هو أكوت أتم من

[1] – John Garng speaks . op. cit . p.20.

قبيلة الدنكا و اعتبروا أن القيادات العسكرية جزا لا يتجزأ من القيادة السياسية والتى رفضـــها جارانج . وبالتالى اصبح جون جارانج قائد للجناح الأخر حيث اعترضت مجموعة أخرى بقيادة جون جارانج ومعهم وليام بنون يانج . والرائد كرانيو كواتن بـــول : وكانت نتيجة هذا الخلاف صدام بين المجموعتين وصلت إلى شرق أعالى النيل وساعد أثيوبيا وقتها جون جارانج على منافسة وكنتيجة لذلك التحالف بين كل من جون جارانج وأثيوبيا أعلن صمويل انوت أنه عدل أهداف الحركة من انفصال جنوب السودان إلى وحدة السودان وظل فى تحالف مع حكومة السودان عام ١٩٨٤ وفى حلبة الصراع وقتها فقد صمويل فالى حياته[1]

وعاشت حركة انيانيا الجناح المنسق فى تحالف مع قوات نميرى وسوار الذهب بعـــد ذلـــك كان الصادق المهدى الذى أقترح وقتها أن يكون للأنيانيا جانبا سياسيا واذاعة خصصت لهم .

وعلى أى حال فان تحالف صمويل أقوت مع حكومة السودان فى ١٩٨٤ ساعد حركته فى مواجهة جون جارانج حيث حصل على السلاح والعتاد والأموال وأشار صمويل بأنه يتحالف مع حكومة السودان كنتيجة طبيعية لسيطرة الحركة الشيوعية علـــى حـــركة الجـــيش الشعبى لتحرير السودان وكنتيجة طبيعية لسيطرة القيادات العسكرية الدنكاوية عليها وقد صادف ذلك هوى فى نفس حكومة نميرى حيث كانت تعتـــبر أن قبـــيلة الدنكا هى التى تتولى المعارضة العسكرية والسياسية فى مواجهة الحكومة وسعت الحكومة وقتها إلى القول بأن الحركة الشعبية لتحرير السودان هى رؤية خاصة بالدنكا فى مواجهة قبيلة النوير . إلا أنه فى النهاية انضمت أنيانيا (٢) تدريجيا فى الجيش الشعبى لتحرير السودان .

١-ابيل الير : مرجع سابق ص ١٤٧ ومابعده

* **قيـــــادات الدنكـــا في أنيانيـــــا :**

١- صمويل فالى نوت:

ينتمـــي صمويل فالي توت أصلا إلى قبيلة الدنكا، ولكن صمويل فالي توت بحكم الاســـتيطان الطويل في مناطق النوير، تنتمي إليهما، وأي ما كان الأمر فقد عمل لفترة طويلة في أنيانيا ونافس جون جارانج حتى خسر حياته في أحد المعارك.

٢- وليام نيون باتج:

قـــائد عسكري في حركة انيانيا إلا أنه طبق عليه ما تطبق على صمويل فالي نوت كنتيجة للاستيطان الطويل في مناطق النوير حيث انتمي إليهما.

٣- جوزدن مورتان ماين:

أحـــد قـــيادات الدنكا في الانيانيا ويعتبر من أشد المتطرفين في مواجهة شمال السودان حيث رفض اتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ **وانبثق رفضه من سببين أساسيين :**

١- عدم نقله في حكومة الشمال.

٢- وقوفـــه وصـــراعه مع جوزيف لاجو لإدراك جوردن بأن جوزيف أغتصب قـــيادة حركة انيانيا من قيادات الدنكا إلا أنه بعد التصديق على اتفاق أديس أبابا غادر الخرطوم.

٣- النقيـــب جـــون جارانج حركة الجيش الشعب لتحرير السودان
وقيادات الدنكا العسكرية ١٩٨٣:

فـــي عام ١٩٧٢ كان النقيب جون جارانج يشعر بنوع من المعاناة تجاه المحادثات الســـرية التى تدار في آديس أبابا ١٩٧٢ فكتب إلى جوزيف لاجو يقترح عليه على أن يكـــون هـــناك ثلاثة جيوش في السودان، جيش للجنوب وجيش للشمال، وجيش مشترك بين الشمال والجنوب ورغم أن المفوض وقتها تبني بعض وجهات نظره إلا أنه شعر بخيبة أمل.

ولكـــنه استمر قدما وكتب إلى بعض قادة الانيانيا بضرورة استمرار الحرب ورغم إدراكه بأن العدد الذي اقتنع بفكرة قليل فقد ابلغ قائدة وقتها في بور بأنه قواته غير

جاهــزة للأستيعاب، وفي النهاية انصاع لاتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ وقبل الاستيعاب هو وقواته، إلا أنه كان ضمن فريق يرفض الاتفاق جملة وتفصيلا . [1]

الحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان :

يــتولى قيادتها جون جارانج ويتولى القيادة العسكرية العليا ويتولى في ذات الوقــت الجــناح العســكري المسمي بالجيش الشعبي لتحرير السودان ويمثل هيكل الحــركة لجــنة تنفيذية من المدنيين بينما تضم قيادات عسكرية من جبهات القتال لمعرفة اللجنة بالأوضاع الخارجية لكسب دول المنطقة بجانب إيجاد جمعية للإغاثة وإعــادة التوطيــن ومتابعة أوضاع المهاجرين والمشردين وكلما سيطرت الحركة العســكرية علــى مــنطقة ما تقيم فيها الإدارات المدنية بينما يوجد جزء آخر في الحركة يتولى الإعلام من خلال الإذاعة ويطلق عليها إذاعة الجيش الشعبي لتحرير الســودان. فــي مارس ١٩٨٤ نادي جون جارانج كل السودانيين لتأسيس الحركة وأوضح الطريق للمستقبل [2].

حدد جون جارانج أهداف قيام حركة الجيش الشعبي لتحرير السودان في الأسباب التالية: ــ

- أشــار أن نمــيري علم على تقسيم الشعب السوداني إلى شمال، وجنوبي، وغربي، وشرقي.
- فــي الجــنوب سيس الناس تبعا لقبائلهم وأطلق أسماء اتحاد دنكا الاستوائية العظمي، متحدث باري مسلمين ومسيحيين، عرب، وأفريقين.
- حل اتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ والمجالس الجنوبية والحكومات بمعرفة نميري وغير الدستورية ١٩٨٠، ١٩٨٢، ١٩٨١.

---

[1]- ابيل الير : مرجع سابق ص ٢٤٦ ومابعدها.

[2] – John Garang speaks . op.cit.p.5.
John Garang speaks . op.cit.p.2.

-- رؤية جون جارانج سودان متجه تحت نظام اشتراكي الذي يعطي الديمقراطية، والحقوق الإنسانية لكل القوميات وتضمن الحرية لكل الأديان.

- والسودان الموحد الاشتراكي يمكن أن يفتح بواسطة صراع عسكري فوري لأن الصراع السلمي كان دائما يقابل بالقوة والقتل العشوائي للشعب.

جون جارانج وقيادة أول عمل عسكري ١٦ مايو ١٩٨٣:

في أول عملية عسكرية لحركة الجيش الشعبي لتحرير السودان قاد جارانج قواتـــه في طوال هاجرت، ومدينة الناصر، ويشير جارانج بأنه إستطاع هو وقواته أن يكـــبدوا قـــوات الشماليين خسائر فادحة كانت تتمثل في[1] القتلى والمصابين من الشماليين.

م	عدد القتلى من الشماليين	المصابين
١	١٢٠	٦٠

القتلى والمصابين من الجنوبيين :

م	عدد القتلى من الشماليين	المصابين
١	١٢	٣٠

وفـــي هذا الإطار يؤكد جارانج بأن قواته المهاجمة كانت ١٥٠ مقاتل، وفي مدينة الناصر استطاع جارانج أن يكبد "الشماليين" الخسائر التالية

القتلى والمصابين من الشماليين:

م	عـــدد القـــتلى مـــن الشماليين	المصابين	المعدات التى دمرت	حاملة جنود
١	١٢٠	١٧٣	٣ لوريات مهربة	١

[1] John Garang speaks . op.cit.p.23

القتلى والمصابين من الجنوبيين:

م	عدد القتلى من الشماليين	المصابين
١	٤	٩

مقدم كيرو تيوكواتن بول:

وتحـــت أمـــر هذا القائد الدنكاوي في حركة جيش تحرير السودان ومعه مقدم وليم ذبـــوت بـــالى، والمقدم كاوا ماكوير جهزت هذه المجموعة لهجوم عند الكيلو ٢١٥ علـــى قناة جوذجلي على باخرة نيلية في دالكي وفي ٢٢ فبراير ١٩٨٤ ثم ضرب ملكال بالقنابل، وخلال اسبوعين استطاعت الحركة أن تكبد حكومة نميري الخسائر التالية [1]:

م	قتلى	جرحي
١	١٠٦٩	٤٩٠

أما الجنوبيين فكانت خسائرهم كالتالي:

م	قتلى	جرحي	فدائي
١	٣٠	٥٩	٢٢١

المعدات

م	دبابات	لوريات	بلدوزرات	وقود	رافعة
١	٩	٨	٢	٢	٢رافعة كبيرة

وبذلـــك تمكـــن قـــوات الجـــيش الشعبى لتحرير السودان من إيقاف العمل فى قناة جونجلى .

---

[1] - John Garang speaks . op.cit.p . 23.

جارانج والدعم العسكرى الخارجى:

ولكـــن من أين تمكنت حركة جون جارانج من أحكام قبضتها على الحركة وكيف وصلت إليها المساعدات التى جعلتها تقدم على كل تلك الأوضاع العسكرية.

أعلـــن معمـــر القذافـــى عام ١٩٨٥ فى قلب العاصمة الخرطوم أنه هو الذى خلق جرانج على الساحة العسكرية فى السودان وأنه أمد الحركة بالعتاد والسلاح وأنه فى ذات الوقـــت قـــادر على قتل الحركة إذا لم يوافق جارانج على السلام والحوار مع الحكومة بشأن الجنوب.

وأكـــد القذافى أن الموقف الليبى سوف يتعدل تجاه جارانج والحركة الشعبية نظراً لأن جارانج عدل موقفه وتحولت الحركة إلى حركة عنصرية ضد العروبة . وكان القذافـــى يستهدف وقتها حكومة نميرى بما يعنى أن ميلاد الحركة الشعبية لتحرير السودان جاء بموافقة الدول العربية فى مواجهة شمال السودان ونميرى وقتها وبذلك يمكـــن القول أن الحركة صنيعة ليبيا فى مواجهة السودان. ولم يدرك القذافى وقتها أن جارانج قد خرج من تحت عباءة ليبيا وقد سعت حركته كنتيجة للمساعدات التى حصـــل علـــيها مـــن منجستوهلاماريام وأثيوبيا حيث قدمت أثيوبيا لحركة جارانج الأســـلحة . والأموال . وأجهزة الإعلام فى مواجهة شمال السودان. وتمكن جارانج بقدراتـــه التنظيمـــية والعســـكرية من فتح مكاتب فى بعض الدول الغربية والعربية وعلى رأسها مصر.

وعـــندما ســـقط منجســـتوهلاماريام. وامتنعت ليبيا عن المساعدات كانت المـــنظمات الإنســـانبية الدينية أحد الأسس الرئيسية فى تقدم الدعم للحركة، إلا أنه يمكـــن القول أن الحركة فقدت بعض توازنها كنتيجة لايقاف الاعانات الواردة من أثيوبـــيا وغلق مكاتبها ورغم ذلك فإن الأسلحة كانت متعددة لدى الجيش الشعبة فقد تضـــمنت صواريخ سام ٧ نجحت هذه الصواريخ فى إسقاط أكثر من خمس عشر

طائـــرة للقـــوات الشمالية خلال سنتين منذ ٨٦، ١٩٨٨ بجانب مفرقعات وبنادق ، وغيرها حتى أنها تمكنت من الحصول على دبابات وناقلات جنود.[١]

علـــى أى حـــال فـــإن حكومة السودان تتهم العديد من البلدان بمد الحركة الشعبية بالسلاح وترى المصادر الجنوبية أن الجيش الشعبى لتحرير السودان تمكن فـــى فترة وجيزة من أن يكتسب عطفاً وتأثيراً لأغلب الدول الأفريقية . فدولة مثل تشـــاد ساعدت الحركة كنتيجة لموقف القذافى عام ١٩٨٨ وبالتالى فان المساعدات الـــتى قدمـــتها السودان لحركة أرتيريا هى المنطلق للمساهمات العسكرية لأثيوبيا للحـــركة الشـــعبية لـــتحرير السودان وفى المقابل قادت الحكومة السودانية القبائل المختلفة وأنشئت المليشيات فى مواجهة الحركة.[٢]

ولقـــد لعبـــت هـــذه المليشيات دوراً مهماً فى مواجهة كل من قدم مساعدة للحركة الشـــعبية لتحرير السودان وبدأت تنفذ عملياتها العسكرية فى الاستوائية وسط قبائل مـــندرى . وأشولى . ومادى وفى بحر الغزال وسط قبائل الفرتيت واجهت الدنكا . والجـــور قبائل الفرتيت وساعد الجيش السودانى قبائل الفرتيت أما عن المراحيل أو الرحل فقد تطور القتال بينهم وبين الدنكا والنوير إلى عمليات هجومية وقتالية وكان المـــراجل متمـــيزون بأســـلحتهم وأستطاعت حكومة السودان أن توفر لهم السلاح والتدريب فى مواجهة الحركة الشعبية ، وعلى أى حال فان كل تلك المجموعات لم تكـــن لتحصـــل على مرتبات منتظمة من الحكومة السودانية ولكنها اعتمدت على مسالب ومغانم الحرب فى مواجهة الجيش الشعبى لتحرير السودان.

الخلافات القبلية وانعكاسها على الحركة الشعبية لتحرير السودان ١٩٩١:

بيـــنما كانـــت الحركة الشعبية لتحرير السودان تحقق بعض من الانتصارات على الجـــيش السودانى وتسعى الحكومة السودانية إلى إنشاء المليشيات وتجنيد المراحل دب الخلاف بين الحركة فى الداخل وانقسموا لى مجموعتين أطلق عليهما

---

[1]- **عبدالملك عودة مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة الانفصال، السياسة الدولية. مركز الدراسات السياسية الاستراتيجية. الأهرام. القاهرة، العدد ١٠٩ لسنة ١٩٩٢ ص٢١.**

[2]- **ابيل الير : مرجع سابق، ص٢٥٤.**

. مجموعـــة الناصـــر . ومجموعة توريت والتى كان يقودها كل من لام أكول . د. ريـــك عشار . ويجدر الإشارة هنا بأن ريك عشار قد نال قدر من التعليم فى كلية الهندســـة ببريطانـــيا وكان يقود الجيش الشعبى فى منطقة بابينو وفى عام ١٩٩١ أعلنـــت تلك المجموعة المشار إليها اختلافها الجذرى مع جون جارانج وأعلنت أن تعتزم الانفصال تماماً عن الحركة الشعبية لتحرير السودان. وقد قام ثلاثة من قيادة الحـــركة لام أكول . دريك عشار . والقائد العسكرى جوردن كوانج بالاعلان عن الانفصـــال فـــى بـــيان سلم للأذاعة البريطانية وأوضحوا أن انفصالهم جاء كنتيجة طبيعية لعدم وجود رؤية ديمقراطية داخل الحركة ورفضوا فى ذات الوقت استمرار جـــون جـــارانج فى قيادة الحركة بصورة مستمرة وطالبوا بانتخاب القيادة بجانب ضـــرورة اخـــراج المســـجونين والمعتقلين فى سجون جارانج والذين زج بهم فى الســـجون كنتـــيجة لاعتراضهم على الأوضاع داخل الحركة الشعبية . وطالبوا فى ذات الوقـــت بضـــرورة أن تكـــون الرؤية واضحة عن أهداف الحركة مستقبلاً . وطالبـــت الحـــركة فى رؤيتها الجديدة بضورة إنشاء دولتين فى الشمال والجنوب بدستورين منفصلين وبحقوق السيادة.

وكان من نتيجة ذلك أن تم القتال بين الطرفين وتكسرت كل محاولات الوفاق بينهما علـــى صـــخور جنوب السودان . وكانت حركة د. ريك مشار تأمل أن تنال تأثير القوى الغربية فى سحق جون جارانج عندما تطالب بفصل الجنوب عن الشمال.

وكنتـــيجة لحـــركة ريك مشار قامت القوى المؤيدة لجارانج ١٩٩١ بتأييد جارانج وأكـــدت علـــى ضرورة أن تقوم حكومة السودان بالغاء قوانين سبتمبر وفى حالة رفضـــها لذلـــك أعلنت عن أهداف استراتيجية جديدة بقيادة جارانج فى حالة رفض حكومـــة السودان الفكر المطروح من قبل الحركة فى إطار السودان الموحد طالبت الكونفدرالـــية بيـــن الشـــمال والجـــنوب أو حق تقرير المصير للجنوب من خلال الاستفتاء.

وكنتـــيجة لذلـــك ظهرت مجموعة أخرى من القادة السياسيين فى ذات التوقيت فى قصر أدير فى ايرلندا وهم بونا ملوال. فرنسيس دينق. كلمنت حانرا . ديفيد شان .

وجــوردن مورتات . وإصدار إعلان باسم ادير حول المستقبل المتوقع للسودان فى ثلاث خيارات:

١- إعـــادة ترتيب فلسفتنا القومية والمبادئ الدستورية والبرامج العلمية بحيث تخلو مـــن العنصرية. والتميز والعرقية. والثقافة الدينية لكى يشعر الجميع بروح الانتماء والمساواة.

٢- فى نطاق وحدة دستورية أو أسمية تسمى فيدرالية أو كونفدرالية.

٣- فى حالة الفشل فلن يتبقى سوي تقسيم السودان.

<u>ما خلفته الحرب الأهلية ٥٥ – ١٩٨٣:</u>

أدرك نمـــيرى عــندما كـــان يقوم بتقسيم جنوب السودان إلى ثلاثة أقاليم ، وثلاثة بـــرلمانات مـــا يمكن أن يؤدى به الموقف لو أن الجنوب ثار على تلك الأوضاع . وكانـــت مقولاتـــه : "بأننى أريد أن أنقذ الجنوب من نفسه وأن من يرفع السلام فى الجنوب عليه أن يقاتل سبعة عشر عاماً أخرى" ولعلها كانت مقولات صحيحة حيثما زال القـــتال مستمراً.. وقد يصعب على كافة الأجهزة المحلية إحصاء عدد القتلى. والخــراب والدمـــار الذى لحق بالسودان منذ تمرد توريت وحتى اتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ تشير المصادر إلى ١٧٠ (مائة وسبعون ألفاً) قتيل. بينما المصادر الجنوبية تؤكـــد أن هناك نصف مليون من المدنيين قتلى. وفى ذات الوقت فإن جون جارانج يؤكـــد مـــن أن القتلى وصلوا إلى مليون ونصف المليون شخص وتلك الأرقام هى القتلى المدنيين بينما تقديرات قتلى الجيوش من الطرفين بين خمسمائة جندى. بينما تؤكـــد المصـــادر الجنوبية أن القتلى بلغ ألفين من الأنيانيا وجميع هؤلاء القتلى من المدنييـــن والعســـكريين بجانـــب المشردين واللاجئين والدمار والخراب الذى لحق بالممـــتلكات وغـــيرها[1] جعـــل الحـــياة فـــى الجنوب والسودان بصفة عامة أمر لا يحتمل .

١- ابيل الير : مرجع سابق، ص٢٦٥ ومابعدها.

ما خلفته الحرب الأهلية ٨٣ – ١٩٨٨:

فقد كلا من الطرفين أكثر من أربعة آلاف قتيل من العسكريين وأن كان عدد القتلى العسكريين يصل إلى هذا العدد فان القتلى من المدنيين يقتلون بعنف فى المواقع المختلفة كنتيجة طبيعية لزرع الألغام وغيرها بجانب تعمد كل من الطرفين قتل المدنيين من الجانبين وقد قدر عدد قتل المدنيين كنتيجة للحرب المباشرة ٦ ألاف شخص بينما المدنيين الذين ماتوا كنتيجة طبيعية لظروف الحرب من مجاعة وأوبئة . وحروب قبيلة قد يزيد عن ٦ الاف شخص وقد قدرت بمائتي ألف شخص عام ١٩٨٨ بجانب التكلفة الاقتصادية حيث وصلت ٢,٥ مليار جنيه سوداني سنوياً.

مؤتمر كوكادام ١٩٨٦:

فى ٢٦،٢٧ مايو ١٩٨٥ أعلن جارانج أنه مع وحدة السودان وسلامة أراضيه وأكد بأن حركة تحرير شعب السودان وجيش تحرير السودان يرغبان فى فتح حوار مستنير حول المشاكل الجنوبية للسودان. وأكد بأنه طالما بقيت تلك المشاكل بلا حلول مرضية فانه لن يكون هناك استقرار أو وحدة أو تطوير وأشار بأنه آن الآوان أن يتعامل السودانيون مع الأسباب الجذرية لمرضهم السياسى بدلاً من التهرب من مواجهة الحقيقة والتقت إرادة جارانج مع إرادة التجميع الوطنى بما يعنى أن جارانج كان يرغب فى التوجه نحو السلام بأسس جديدة.(١)

وأى ما كان الأمر فانه قد أوضح لقاء كوكادام حجم المشاكل التى يعانيها السودانز وأكد بضرورة الالتزام بالبحث عن السلام من خلال التشاور والحوار والذى قد يؤدى فى النهاية إلى عقد مؤتمر دستورى للبلاد مع ضرورة إنشاء لجنة للمتابعة والاتصال.

وقد أكد المجتمعون بضرورة أن يرتبط انعقاد المؤتمر السنوى القومى بالغاء قوانين الشريعة الإسلامية بجانب القوانين المقيدة للحريات.

١- منصور خالد: الأزمة السياسية فى السودان وطريق المستقبل، السياسة الدولية العدد ٩٤ لسنة ١٩٨٨ ص١٨٨. منصور خالد: النخبة السودانية وادمان الفشل، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣، ص٣٥ ومابعدها.

وأى ما كان الأمر فان المؤتمر رغم تغيب بعض القوى السياسية عن المؤتمر كالجبهة الإسلامية . والحزب الاتحادى الديمقراطى إلا أنه كان رؤية جموع القوى السياسية الاتجاه للسلام.

وأكـد الصـادق المهدى عام ١٩٨٦ عندما تولى رئاسة الوزارة من خلال حكومة ائتلافية بين الأمة والاتحاد فى الالتزام بالاتفاق مع جارانج شخصياً والرؤية الجديدة التى طرحتها جارانج فى اتفاق كوكادام كانت ضرورة المشاركة فى السلطة مشـمولة الحوار عن السودان ككل وليس الجنوب مع ضرورة وضع حد لاحتكار السلطة فى السودان على أساس أنها المدخل الحقيقى للسلام فى السودان.

إلا أن الحكومـة السودانية ظلت تقاتل حركة جارانج غافلة الاتفاق حتى تم إسـقاط طائـرة مدنـية بمعرفة حركة جارانج وتم إيقاف أى اتصالات مع الحركة كنتيجة لهذا الحادث.

*** الحزب الوطنى الاتحادى ورؤية السلام ١٩٨٨:**

كانت القيادات الحزبية ممثلة فى الحزب الوطنى الاتحادى قد رأت ضرورة تحريك عملـية السـلام ممثلة فى الحزب الوطنى الاتحادى قد رأت ضورة تحريك عملية السـلام فقامـت بإجراء اتصالات مباشرة مع جون جارانج فى نوفمبر ١٩٨٨ فى أديس أبابا وأسفرت هذه الاجتماعات إلى عدد من النقاط.

١- ضرورة تجميد مواد قوانين سبتمبر.

٢- إلغاء الاتفاقيات العسكرية بين السودان ودول الجوار.

٣- رفع حالة الطوارئ.

٤- وقف إطلاق النار.

٥- تشكيل لجنة لإعداد المؤتمر الدستورى.

٦- على أن ينعقد المؤتمر فى ٣١ ديسمبر ١٩٨٨.

إلا أن المـناورات السياسية بين الأحزاب الشمالية حالت دون تنفيذ تلك الرؤية الخاصة التى تمت بين الحزب الاتحادي والحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير

الســودان حيــث إعترض الصادق المهدى على بعض بنود هذا الاتفاق وتصاعدت العمليات العسكرية.

*** البشير وثورة الإنقاذ الوطنى ومشكلة الجنوب:**

أكــدت ثورة الإنقاض فى ٣٠ يونيو ١٩٨٩ بأن مشكلة الجنوب هى أول المشكلات على أجندتها إلى المبادئ التى تناولتها كافة الثورات والحكومات السودانية المختلفة وهــى السعي للسلام عن طريق المفاوضات وقف اطلاق النار من جانب واحد من قــبل الجيش السوداني وإعلان العفو العام عن كل المحاربين منذ عام ١٩٨٣ وقد قامت ثورة الإنقاذ باتصالات مع قوات جارانج أدت إلى محادثات عام ١٩٨٠ واتفق علــى ضــرورة إســتمرار الاتصال وعقد لقاءات لتحديد نقاط الإتفاق والاختلاف وانطلاقاً من ذلك سعت حكومة البشير إلى تأكيد الرؤية من خلال.

*** عقد مؤتمر الحوار الوطنى حول قضايا السلام بالخرطوم عام ١٩٩٠.**

عقــدت الحكومــة هــذا المؤتمر تأكيداً منها على سعيها نحو السلام حيث أوصى المؤتمر على ضرورة الحفاظ على وحدة التراب السودانى وإعتبار أن المفاوضات واللقاءات والحوار هو الطريق والمنهج للعمل على حل المشكلة وأكدت ثورة الإنقاذ على ضرورة توصيل الاعانات للمتضررين من الحرب فى الجنوب. إلا أن حكومة (البشير- الترابى) عندما استتب لها الأمر عادت وأكدت على عدم إلغاء أو الرجوع عن تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان.

- إجراء إستفتاء على ذلك فى المناطق التى يسكنها أغلبية من غير المسلمين.
- الحكم الفيدرالي هو الطريق لتوزيع السلطات بين المركز والأقاليم.

وأكــدت رؤيــتها فى محاولة تحسين علاقتها مع دول الجوار لمنع وصول الإمــدادات المــتمردة وســعت إلى دعم حركات التمرد فى مواجهة أثيوبيا حركة تجرى.

البشير الترابى والعسكرية الجنوبية ١٩٩٠:

رغــم ســعى البشير الترابى لوضع رؤية للتفاهم بين حركة جارانج والحكومة فقد شــهدت مديرية أعالى النيل قتالاً عنيفاً بين قوات جارانج والقوات الحكومية حيث

تمكنت قوات جارانج التى أطلق عليها النجم الساطع والمقسمة إلى ثلاث كتائب هى . بلغـــام فاشودا . وشمس. من عمل كمين للقوات الحكومية فى خور نيبول والتى تـــبعد ٦ أمـــيال عـــن غرب مدينة كاكا واستطاعت القوات الجنوبية أن تكبد قوات حكومة البشير الخسائر التالية:

م	لورى	شاحنات	سيارات تويوتا	مدافع	مدافع هاون	مدفـــع صغير	مدافع رشاشة	متفجرات
١	٩	٢	١	**٤ أربيجى**	١,٨٢	١,٥٦	١	٥ صناديق
								TNT

وكانت أسباب الإشتباك هى محاولة قوات البشير إخلاء المنطقة من بعض مخلفات الحـــرب ولكـــن الإشتباك إستمر أربعة عشر ساعة كلف الحكومة ٥٦ قتيل ولذلك أعلـــن حـــزب الأمة الإنقاذ لا يستوجب أن تتحدث عن السلام فى السودان كنتيجة للقتال الدائر فى الجنوب وما تم عرضة على جارانج من قبل حكومة البشير الترايى هو نوعا من السلام الهزيل نتيجة مشاركة رمزية فى حكومة دكتاتورية [١].

<u>مواصلة جهود السلام مع حركة جارانج ومحادثات السلام فى نيروبى ١٩٩٠:</u>

سعت نيجيريا إلى أن تلعب دور هاما فى عملية السلام فى السودان كنتيجة لـــتولى الرئـــيس ابراهـــيم بابانجيدا رئاسة منظمة الوحدة الأفريقية واستمر الحوار اعتبارا من ١٩٩١ حتى مايو ١٩٩٢ للتفاهم على عقد اللقاء .

أى مـــا كـــان الأمـــر فـــان الأطراف الثلاث " حكومة السودان" وحركة جارانج . ونيجـــيريا" ســـعوا لمحاولـــة الوصول إلى حل على طاولة المفاوضات على النحو التالى:

الحكومة السودانية رأت بأنه لن تطبق قوانين سبتمبر الشريعة الإسلامية على الولايـــات الـــتى بها أغلبية غير مسلمة والجنوب تحديدا مع حركة الدعوة للأديان والحكومـــة الســـودانية فـــيما يخـــتص بفكـــر الفيدرالية فهو مطروح على طاولة

---

[١]– سعيدة رمضان : جريدة الوفد، الأحد ٢٢ يوليو، ١٩٩٠، ص٦.

المفاوضـــات ولا يوجـــد ما يمنع مع تحديد العلاقة بين الرؤية المركزية فى الحكم والمناطق المهمشة فى السودان .

وفـــى ذات الوقـــت الـــتى سعت فيه منظمة الوحدة الأفريقية بقيادة ابراهيم بابانجـــيدا للحل كانت الحكومة السودانية تصعد هجومها على حركة جارانج حيث تمكنت من تحقيق بعض الانتصارات فى فصل الجفاف فى الجنوب فى نفس الوقت كانـــت تقـــوم الحكومـــة باتصالات مع مجموعة د.ريك مشار . وأكول لام. بعض العواصـــم الأفريقية وألاوربية . وأغلب الظن أنها لم تنتهى إلى شئ كنتيجة طبيعية لـــرفض جـــارانج حلـــول مجموعـــة أكول لام . وريك مشار الجلوس إلى طاولة المفاوضـــات . خاصـــة وأن الانطلاقـــات الفكرية لمجموعة ريك . وأكول . هى استقلال الجنوب . وقيام دولة ومجلس ينسق مع دولة الشمال [٢].

- **لقاء أسمرا ١٩٩٥ التجمع الوطني الديمقراطي :**

تؤكد دائما الحركة الشعبية والجيش الشعبي لتحرير السودان على ضرورة القضـــاء علـــى نظـــام البشير الترابى .. وترى أن المفاوضات أو الحوار معها أو الحديث هو جزء من القتال فجون جارانج يشير بالقول بأن لسانى جزء من أسلحتى فلماذا أجرد نفسى من هذا النوع من السلاح . ونرى ضرورة أن يتم تقوية التجمع الوطنى الديمقراطى حتى يتمكن من أن يطح بالجبهة الاسلامية . وأكد جارانج على ضرورة خلق تجمع وطنى ديمقراطى يضم كافة القوى السودانية والمعارضة لنظام الجبهة الاسلامية .

ثانـــيا تطوير القدرات الضرورية لإزالة نظام الجبهة . وأشار جارانج بضرورة أن تكـــون هـــناك رؤيـــة للبديل لكنه دحض كل القوة السياسية على الساحة وأكد بأن الحركة الشعبية والجيش الشعبى ليست هى البديل عن الجبهة الإسلامية فى الحكم . كمـــا حـــزب الأمـــة والحـــزب الاتحادى أصبحا غير مؤهلين لذلك كما أن الرؤية المعاصـــرة علـــى الساحة السودانية كالحزب الشيوعى وغيرها أيضا غير مؤهلة

---

[2]– عبدالملك عودة : مستقبل جنوب السودان بين وحدة الدولة أو الانفصال. السياسة الدولية العدد ١٠٩ يوليو ١٩٩٢ ص.

للـــتعامل مع الأوضاع العالمية والطريق لاسقاط النظام كما استقر عليه الوضع فى السـودان هـو أحد أمرين الانقلاب العسكرى ، أو الانتفاضة الشعبية .. ورغم أن الانقلابـات العسكرية فى الأغلب تكون عسكرية بحته وأن جاز القول بأن إنقلاب نمـيرى كـان أيديولوجـيا يميل بفكرة إلى اليسار حتى عدلت توجهاته بعد انقلاب ١٩٧١ فإنه يمكن القول أن إنقلاب ١٩٨٩ انقلاباً أيديولوجياً بحتاً مرجعته الأصولية الاسلامية واستخدم الجيش فى ذلك للإستيلاء على السلطة ويرى جارانج أن الجبهة الإسلامية البشير الترابى تعمل على تحطيم السودان خاصة القوات المسلحة ولذلك فان اجتماع اسمرا كان يستهدف توجهات محددة فى مواجهة حكومة البشير الترابى [١]مؤكـدا فـى الـبداية على عدم خلط الأوراق من الدين والسياسة وأشار التجمع الوطـنى الديمقراطى على الرؤية الدستورية للسودان . بضرورة أن تكون المبادئ والمعايير المعنية بحقوق الانسان والمتضمنة فى المواثيق والعهود الاقليمية والدولية فحقق الانسان جزءا لا يتجزأ من دستور السودان وأى قانون أو مرسوم أو قرار أو اجراء مخالف لذلك يعتبر باطلا وغير دستورى .

١) يكفل القانون المساواة الكاملة بين المواطنين تأسيسا على حق المواطنة واحترام المعتقدات والتقاليد وعدم التميز بين المواطنين بسبب الدين أو العرق أو الجنس أو الثقافة وسيبطل أى قانون مخالف لذلك ويعتبر غير دستورى .

٢) لا يجوز لأى حزب سياسى أن يؤسس على أساس دينى .

٣) تعترف الدولة وتحترم تعدد الأديان وكريم المعتقدات .

٤) تؤسـس الـبرامج الاعلامية والتعليمية والثقافية والتوجية على الإلتزام بمواثيق وعهود حقوق الإنسان الإقليمية والدولية .

٥) يلـتزم التجمع الوطنى الديمقراطى بصيانة كرامة المرأة السودانية وقد قام التجمع بالتوقيع على تلك الرؤية حول الدين والسياسة على النحو التالى – الحزب

---

[١]– جون جارانج : رؤيته للسودان الجديد وفقا بالوحدة والهوية، فى ضوء زيارته لمصر ٢٤ نوفمبر ــ ٥ ديسمبر١٩٩٧.

الاتحـــادى الديمقراطى – حزب الأمة – الحركة الشعبية والجيش الشعبى لتحرير السودان – تجمع الأحزاب الأفريقية السودانية – الحزب الشيوعى للقيادة الشرعية – النقابات . مؤتمر ابجه – قوات التحالف السودانية – الشخصيات الوطنية .

وعلـــى أى حـــال فان مقررات أسمرا ١٩٩٥ تؤكد بأن الرؤية للحركة الشعبية والجـــيش لتحرير السودان كانت واضحة على تلك المقررات بعد رأى المجتمعين وكلهـــم يعملـــون على اسقاط النظام أن القوى التى تحمل السلاح فى مواجهته هى الحركة الشعبية والجيش الشعبى لتحرير السودان وهى بالتالى التى يمكن أن تساهم فـــى خلخلة النظام . ولكن هل يمكن القول أن ما يحدث الأن على الساحة السودانية من القوى الساسية المختلفة فى الشمال . والجنوب بأن مرجعته تعود بنا إلى الحركة السياسية السودانية على مسرح الأحداث عندما كانت تسعى السودان لنيل استقلالها عن كل من مصر والسودان . فوعدت الجنوبيين بما لا يحدث وجاءت النتائج دائما مخيـــبة لأمـــال الجنوبيـــن !! الواقع أن مسرح الأحداث آبان عام ١٩٥٦ لم تكن العســـكرية الجنوبـــية قـــد ظهرت على سطح الحياة وسعت لفرض رؤيتها فكانت المـــناورات السياســـية الشـــمالية والعســـكرية السودانية والقمع هو السبيل لفرض الـــتوجهات الســـودانية أما الآن فان العسكرية الجنوبية أصبحت تمثل خطورة على أوضـــاع الســـودان الداخلية . والخارجية محليا . وإقليميا . وعالميا. وبالتالى فان القـــول ســـوف ينطبق مع الأوضاع السياسية عند وضع الترتيبات النهائية للتسوية الشاملة وبالتالى فانه يمكن القول أن الأوضاع اختلفت فى السودان .

- **مفاوضات الإيجاد للسلام ١٩٩٧ :**

كانـــت مفاوضات الإيجاد للسلام قد بدأت عام ١٩٩٤ ولكنها توقفت كنتيجة للخرف حول اعلان مبادئ الإيجاد . وقد توقفت المحادثات نتيجة لسببين رئيسيين فى إعلان المبادئ :

الأول : حق تقرير المصير

الثانى : العلاقة بين الدين والدولة

وعلـــى ضـــوء ذلـــك رفضت حكومة الانقاذ الاستمرار ولكنهم عادوا عام ١٩٩٧ وطالبوا الاستمرار فى المحادثات وكان صعبا أن يقبلوا باعلان المبادئ الذى رفضه عام ١٩٩٤.

***موقف الحركة الشعبية والجيش الشعبى من مفاوضات الإيجاد عام ١٩٩٧ :**

أعلنـــت الحركة الشعبية موقفها مع وحدة السودان وتعنى الوحدة فى مفهوم الحركة بأنه مفهوم حق تقرير المصير للسودان – ويرى جارانج أن الوحدة وتعنى بالوحدة مـــنهجا محـــددا لذلـــك وهو فصل الدين عن الدولة بجانب اقرار حرية الأديان – وكنتيجة لرفض الجبهة الفكر المطروح عن فصل الدين عن الدولة طرحت الحركة الـــرؤية الكونفدرالـــية وحـــق تقريـــر المصـــير ويـــرى جـــارانج أن حق تقرير المصير.والكونفدرالية وجهان لعملة واحدة وطالب جارانج بحق تقرير المصير وفق مقـــررات اسمرا حتى تشمل كل مناطق البلاد . ويرى أن ذلك هو المعنى الحقيقى لوحدة السودان (١).

<u>إعلان المبادئ لدولة الإيجاد :</u>

١- الـــتزام الطرفيـــن بالوســـائل السلمية محل النزاع مع تأكيد حق تقرير المصير لجنوب السودان لتحديد مستقبلة عن طريق الاستفتاء .

---

(١) – دولة الايجاد:

- **هى المنظمة الحكومية للتنمية ومعالجة الجفاف**
- **Inter governmental on Development (I.G.A.D)عضويتها سبع دول من دول القرن الأفريقى وهى:**
- **كينيا ، أوغندا، أثيوبيا ، جيبوتى، وشكلت الايجاد فى نوفمبر ١٩٩٣.**
- **وقد انبثق من منظمة الايجاد لجنة مكونة من أربع دول لبحث تسوية سلمية لمشكلة جنوب السودان والدول هى (كينيا ــ أوغندا ــ أثيوبيا ــ أريتريا).**
- **وقد توصلت دول الإيجاد إلى ما يسمى باعلان المبادئ لم توافق عليها حكومة السودان عام ١٩٩٤ ثم عادت وأعلنت موافقتها عام ١٩٩٧ وعلى ذلك بدأت المفاوضات الأخيرة فى أكتوبر، نوفمبر ١٩٩٧.**

٢- إعطاء أولوية لإيجاد حل يبقى على وحدة السودان وفق مبادئ مضيئة فى الإطار السياسى والقانون الاجتماعى للبلاد

٣- السـودان مجتمع متعدد الثقافات والأعراق ، الإثنيات والأديان ويجب التأكيد التام على استيعاب كل أشكال التنوع هذه .

٤- التأكـيد علـى حق تقرير المصير على أساس الفيدرالية والحكم الذاتى لأهالى السودان المختلفة .

٥- الدولة السودانية يجب أن تكون دولة ديمقراطية علمانية بأنه يجب فصل الدين عن الدولة ، على أن يمكن للدين والعرف أن يكونا أساسا لقوانين الأحوال الشخصية .

النتائـج :

١- نجاح السياسة البريطانية فى ايجاد وخلق كيان عسكرى مستقل عن الشمال استطاع أن يتواجد على الساحة الجنوبية وكان من أهم نتائجة هو الوصول الـى اتفاق أديس أبابا ١٩٧٢ حكم ذاتى اقليمى وهو الذى ظلت تتطلع إليه القـيادات الجنوبـية منذ جوبا ١٩٤٧ والمطالبة المستمرة بالفيدرالية نظاما لحكـم الجـنوب دون جـدوى من قبل شمال السودان . فكانت الأنيانيا أو الجلوس إلى طاولة المفاوضات .

٢- رضـوخ الشـمال لمطالب الجنوبيين ووعدهم بمناقشتها كمطلب الفيدرالية والـذى جـاء بعـد تمرد ١٩٥٥ جعل الجنوبيين يدركون أن لغة السلاح وتكويـن قـوى عسكرية فى مواجهة الشمال هى السبيل للوصول إلى حل للمشكلة .

٣- روح القـتال والممارسـة الـتى تربوا عليها منذ البواكير الأولى والقتال المسـتمر بيـنهم وبين القبائل الأخرى مثلت الجذور الأولى لروح التمرد والإقدام بجانب رغبتهم للحفاظ على أصولهم وتراثهم .

٤- إيجـــاد كـــوادر عســـكرية دنكاوية جنوبية مسيطرة على الحركة العسكرية الجنوبـــية بجانـــب سيطرتها على الحركة السياسية كنتيجة طبيعية لتفوقها العددى بين القبائل فى كل من أعالى النيل وبحر الغزال .

٥- إقـــدام الدنكـــا علـــى تكويـــن حركة أنيانيا كأول حركة عسكرية مناهضة لسياسات الشماليين فى الجنوب وقيادتها وإشعال الحرب فى الجنوب .

٦- سيطرة القيادات العسكرية الدنكاوية على أنيانيا ١ ، وانيانيا ٢.

٧- قـــيادة الدنكـــا لحركة تحرير الشعب والجيش الشعبى لتحرير السودان جاء كنتـــيجة طبيعـــية لتكويـــن جذور العسكرية الأولى الانخراط فى الحركة العسكرية اعتبارا من تمرد ٥٥ وحركة أنيانيا ١،٢ وبالتالى أصبحت قبيلة الدنكـــا بحكـــم تفوقهـــا العددى مهيمنه على شئون جنوب السودان سياسيا وعسكريا .

٨- رفض قطاع كبير من قيادات الدنكا خارج إطار السودان لاتفاق أديس ابابا ١٩٧٢ صار كنتيجة طبيعية لإحساسهم بقدرتهم العسكرية وقيادتهم للحركة كجوردن مورتات ماين وجون جارانج نفسه وبالتالى فان التكوين العسكري لقبيلة الدنكا أعطاهم الإحساس بالتفوق العسكري .

٩- أجبرت العسكرية الجنوبية القوى السياسية المختلفة فى شمال السودان ممثلة فى التجمع الوطنى للجلوس على طاولة المفاوضات وصدر اعلان كوكادام فى ٢٤ مارس ١٩٨٦ . والذى صدر عن بيان يؤكد بأن المشكلة السودانية ليســـت مشكلة اقليمية لكنها مشكلة قومية . بجانب إلغاء قوانين سبتمبر – عقـــد المؤتمر الدستورى . وإلغاء الاتفاقيات العسكرية بين السودان والدول المجاورة .

١٠- لفت القتال المستمر للعسكرية الجنوبية أنظار دول الجوار السودانى مثل : كينـــيا ممـــثلة فـــى الرئيس أوباسانجو ونيجيريا ممثلة فى الرئيس ابراهيم بابانجيدا بجانب بعض القوى السياسية الأفريقية إلى تحريك الموقف والعمل على حل المشكلة وتقدموا بمبادرات للحل .

أ- وقف إطلاق النار

ب- وتشكيل كيل حكومة إقليمية قومية

ج - حل مشكلات اللاجئين

ء- اعتبار اتفاق كوكادام أساسا لحل المشكلة الجنوبية .

١١- إصــرار الحركة العسكرية الجنوبية فى كل محاولات الحلول السلمية على إلغــاء الاتفاقــيات العسكرية المبرمة بين السودان ودول الجوار . وتحديد مصر . وليبيا لإدراكها أن مصر وقتها لا تدعم قضية الجنوب .

١٢- اتجاه الجزب الوطنى الاتحادى إلى اجراءات مباحثات مع جون جارانج فى أديس أبابا نوفمبر ١٩٨٨ كنتيجة لمحاولة الحد من تخفيف العنف العسكرى المتبادل بين الطرفين وانتهت المباحثات إلى ضرورة :

أ - تجميد مواد الشريعة الإسلامية

ب- إلغاء الاتفاقيات العسكرية لدول الجوار

ج - رفع حالة الطوارئ

ء- وقف إطلاق النار

١٣- مـبادرة منظمة الإتحاد لإيجاد حل للمشكلة الجنوبية وإجبار حكومة البشير الـترابى عـام ١٩٩٧ علـى قبول رؤية الحركة الشعبية والجيش الشعبى لتحرير السودان .

وأخـيراً إن حــل مشــكلة جنوب السودان . يستوجب أن يمتلك المسئولين مســاحة كبيرة من التحلى بالصبر والمثابرة ووضع الأسس والبراهين لإعادة الثقة إلــى نفوس الجنوبيين ، الذى يؤدى بالتالى إلى التبادل الثقافى والإحساس الوطنى السودانى ككل حتى ينظر جموع السودانيين جميعا عليهم أن يدركوا انهم شركاء فى الحل لكن مخطط الانفصال والحقد والطائفية والقبلية . إن السودانيين جميعا عليهم أن يدركوا أنهم شركاء فى الحل لكن يجب ان يسيروا كقوى مستنيرة تدرك حقائق العصر ومتغيراته ، وتدرك ما يختلج فى نفوس الجنوبيين وما يشعر به الشماليون .

علينا أن نبدأ بتذويب الفوارق وتقوية إحساس الفرد بالمجتمع وانتمائة للقومية السودانية يكمن فى احساس السودانيين بوطنهم وأنهم جميعا متساوون أمام القانون ، وأن وطنهم واحد فيه يتجانس الفكر والحركة والعطاء الإنسانى ، حتى يبتعدوا عن تقسيم السودان وإلا فإن دول الجوار ستتأثر بهذا التقسيم وسوف تصل مخاطرة لتلك الدول ومن ثم تزيد من تحركاتها ضد السودان وعلى الجميع أن يدركوا ذلك قبل فوات الأوان .

تم بحمد الله تعالى طباعة الكتاب الخاص
بهذه الندوة بقسم التصوير
بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة

تحت إشراف

السيد/إبراهيم أبو العينين	(أمين المعهد)
السيد/حسانين محمد عبد العال	(رئيس قسم التصوير)
السيد/محمد صلاح الدين غازى	(فنى تصوير)
السيد/أحمد عبد المقصود أحمد	(فنى تصوير)

رقم الإيـــداع
٢٠٠٣/١٦٩٧٤